

صَحِيحُ الْإِخْبَارِ عَمَّا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَشَارِ

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الله بن أبي بكر

الجزء الأول

الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ

مَقْدَمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ

حَظِيَّتْ أَجْزِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ بِأَهْتِمَامِ الْبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ إِذْ أَنَهَا مَنَبَعُ النَّصَاحَةِ وَمَصْدَرُ الْإِلْهَامِ
لِكَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَى أَطْلَالِهَا وَنَاجَوْا شِعَابَهَا وَوَدَّيَانَهَا وَجِبَالَهَا ، وَخَلَدُوا فِي
شِعْرِهِمْ كَثِيرًا مِنْ مَعَالِمِهَا .

غَيْرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ مَا كَتَبَهُ الْأَقْدَمُونَ عَنْهَا كَانَتْ لَا يَخْلُو مِنْ نَقْصٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَى
الْأَوْهَامِ الْجَمَّةِ الَّتِي تَابِعَ فِيهَا بَعْضُ الْآخِقِينَ مَنْ سَبَقَهُمْ .

لِذَا فَعِنْدَمَا قَامَ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِإِصْدَارِ كِتَابِي "صَحِيحُ الْأَخْبَارِ عَمَّا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ
مِنَ الْآثَارِ" ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي اعْتَمَدَ فِيهِ فِي تَحْدِيدِهِ الْمَوَاضِعَ - بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَوْلَفِينَ
الْفَنَاتِ - عَلَى الدِّرَاسَةِ الْمِيدَانِيَّةِ وَذَهَبَ فِي التَّحْقِيقِ بَعِيدًا مِمَّا كَلَّفَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُهْدِ
وَهُوَ جُهْدٌ لَا أَسْتَرْسِلُ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ وَإِنَّمَا أَدْعُ الْحَدِيثَ عَنْهُ لِغَيْرِي .

أَقُولُ : لِلْمَنَهِجِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الْمَوْلَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتِقْبَالُ الْكِتَابِ مِنَ الْقُرَاءِ بِتَشْجِيعٍ
وَإِقْبَالٍ كَبِيرَيْنِ . وَلَمْ يَمْضِ إِلَّا وَقْتُ يَسِيرٍ حَتَّى نَفَذْتُ الْكِمِّيَّةَ الْمَطْبُوعَةَ وَتَوَالَتْ عَلَيْنَا
الظُّلُمَاتُ مِنَ الْقُرَاءِ الْكِرَامِ لَا قِتْنَاءَ نُسَخِ مِنْهُ مِمَّا أَضْطَرَّنَا إِلَى إِعْطَاءِ الْكِمِّيَّةِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي كُنَّا
قَدْ أَحْفَظْنَا بِهَا لِأَنْفُسِنَا ثُمَّ لَمْ نَجِدْ أَحِيرًا بَدَأَ مِنَ الْاعْتِذَارِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ ذَلِكَ الْإِقْبَالُ الَّذِي نَعْتَرِبُهُ وَالتَّشْجِيعُ الَّذِي نَشْكُرُهُ وَنَقْدَرُهُ خَيْرَ ثَمَنٍ
تَقَاضَاهُ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ مُقَابِلَ مَا بَدَّلَهُ مِنْ جُحُودٍ فِي تَأْلِيفِهِ .

مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ عَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ أُعِيدَ طَبْعُ الْكِتَابِ تَلْبِيَةً لِرَغْبَةِ الْقُرَاءِ
الْكَرَامِ وَرَأَيْتُ أَنْ يُزَوَّدَ بِخَرَائِطٍ جُغْرَافِيَّةٍ تُحَدِّدُ الْمَوَاضِعَ الْمَهَامَةَ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا بِجَانِبِ بَعْضِ
الْإِضَافَاتِ الْآخَرَى لِيَكُونَ النِّفْعُ أَعَمَّ وَالْفَائِدَةُ أَشْمَلَ وَأَكْبَرَ .

وَلَكِنْ ظُرُوفًا دِرَاسِيَّةً - آنَ ذَاكَ - وَطَبِيعَةً أَعْمَلِ - بَعْدَ ذَلِكَ حَالًا بَيْنِي وَبَيْنَ

مَا أُرِيدُ وَوَجَدْتُ أَنْتِي أَمَامَ أَحَدٍ أُمِرْتِ :

فَإِمَّا أَنْ أُوجَلَ صُدُورُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ حَتَّى اسْتِكْمَالَ مَا نَوَّهْتُ عَنْهُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي تَأْخُرِهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَإِمَّا أَنْ تُعِيدَ طَبْعَ الْكِتَابِ كَمَا هُوَ عَلَى أَنْ يُنْقَذَ مَا ارْتَأَيْتُهُ مِنْ إِضَافَاتٍ فِي الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ .

وَأَخِيرًا وَأَمَّا أَهْتِمَامُ جَلَالَةِ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - بِإِعَادَةِ طَبْعِ الْكِتَابِ ، وَأَمَّا الْإِهْتِمَامُ الْكَبِيرُ مِنْ صَاحِبِ السُّمُوءِ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ سُلْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمِيرِ مَنطَقَةِ الرِّيَاضِ بِذَلِكَ وَاسْتِجَابَةُ لِلإِلْحَاحِ الْمُتَوَاصِلِ مِنَ الْقُدَرَاءِ الْكَرَامِ لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِسْرَاعِ فِي طَبْعِ الْكِتَابِ كَمَا هُوَ .

وَابْتَنَى إِذْ أَضَعُ الْكِتَابَ فِي طَبْعَتِهِ الثَّانِيَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ لِأَجْدَدِ الْوَعْدِ بِتَنْفِيذِ مَا نَوَّهْتُ عَنْهُ مِنْ إِضَافَاتٍ فِي الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - شَاكِرًا لِلْقُدَرَاءِ الْكَرَامِ أَهْتِمَامَهُمْ وَتَشْجِيعَهُمْ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

عبدالله بن محمد بن بليهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.. ويعد.

فإن من فضل الله على الإنسان العالم جعل تراثه العلمي للمعرفة الإنسانية والاستفادة البشرية مابقي للعلم طالب ينشد المعرفة ويطلب الفائدة العلمية، وذلك ما هو حاصل والحمد لله بالنسبة إلى مؤلفات والذي - رحمه الله - .

ولما كان الطلب قد تزايد على كتاب [صحيح الأخبار] عما في بلاد العرب من الآثار [بخاصة ومؤلفات الوالد بعامه.

ولما كانت جميع طبعات [صحيح الأخبار] قد نفذت، والطلب متصل بإلحاح، فقد عازمت على إعادة نشر هذه المؤلفات بادئاً بهذا السفر الجليل [صحيح الأخبار].

وتمتاز هذه الطبعة الرابعة بخروجها في خمسة أجزاء على النحو الذي كان في الطبعة الأولى التي أشرف عليها المؤلف نفسه - رحمه الله - وكانت أجزائه في الطبعتين الثانية والثالثة مجموعة في مجلدين وجعلها في خمسة مما ييسر الأمر على القارئ.

وإني لأرجو من الله العون والتسديد، وأن يكون نشر هذا الكتاب مدعاة لأن يدعو القارئ الله بالرحمة والمغفرة لمؤلف هذا الكتاب النافع الفريد في بابيه، وأن ينالني من طيب الدعاء ما يكون هوناً لي في هذه الدار، وزخراً في الدار الأخرى.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

عبد الله بن محمد بن بليهد

مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد.

فإن من المعلوم لدي كل مثقف أن الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد كان أول من اهتم بتحديد الأماكن والبقاع في جزيرة العرب في عصرها الحديث. وأنه أول من طبق ما ورد من الأماكن والبقاع في الشعر العربي على أماكنها محدد بحدودها، مع بيان ما ناله منها شيء من تغيير، أو تحريف، مبيناً ما وهم فيه الأقدمون كال(منى) الواردة في معلقة لبيد، وكا (عسيب) الوارد في قول إمرئ القيس:

ومزايا أخرى اتسمت بها مؤلفاته، ومنها هذا الكتاب [صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار] الأمر الذي جعل الباحثين يقبلون عليه حتى نفدت طبعاته الثلاث، فصار لزاماً عليّ - وأنا ابن من خدم تراث الشيخ ابن بليهد - أن أتبنى نشر هذا السفر الجليل بأمرأ وإذن من ابنه، الشيخ عبد الله بن محمد بن بليهد.

وكل مانرجوه أن نكون وفقنا لخدمة بلادنا من طريق خدمة تراث علمائها الذي خدموا به هذه البلاد موطناً وفكراً، وذلك بعض من حقهم وحق الوطن علينا. أعاننا الله بالتوفيق والسداد وإصلاح الأعمال والأفعال والأقوال.

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُحْمَدُ اللهَ تعالى على نعمائه ، وأصلى وأسلم على خاتمِ أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأحِبَّائِهِ .
أما بعد ؛ فإن الدوافع التي أثارت همتي إلى تصنيف هذا الكتاب ، والاصطبار على ما بذلت
من جهد في تحقيق مباحثه ، واحتمال العناء المُضني والفَصَب المبرِّح في سبيله ؛ ترجع إلى
ثلاثة أمور :

أولها : أنه قد كان من سَوَافِ الأفضية أن سافرَ مولاى حضرة صاحب السُّمو الملكي الأمير
المعظم فيصل آل سعود نائب مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود
وزير خارجية المملكة السعودية ، إلى أمريكا لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو في عام ١٩٤٥ الميلادى
وهناك تشرف بالسلام على سموه كثيرٌ من رجالات الأدب العربى فى المَهْجَر ، ولما آتوا من
سموه صفات العربى النبيل والحرص الشديد على مفاخر العرب وما ترمَّ أبَدُوا سموه - حفظه الله ! -
ما يشعرون به من حاجة مُلِحَّة إلى معرفة ماورد فى الأشعار الجاهلية - وخاصة المعانيات - من
الأودية والجبال والمياه والتلول والرمال والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقى منها إلى
يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعترى اسمه شئ من التغير ، وذكروا أن فى هذه المعرفة
عونا للأديب الذى يتعمَّس بدراسة آثار أولئك الشعراء الخالدة آثارهم ، الباقية على الدهر أسماؤهم .
ولمَّا دعاهم إلى إبداء هذه الرغبة ما أدركوه من أن دراسة البيئة الطبيعية التى عاش فيها
الشاعر أو الأديب أحدُ العوامل التى تُعين على فهم شخصيته ، وعلى تلمُّس بعض دواعي القول
الذى فاض على لسانه ، ثم ما قد يجر ذلك - إذا ما توغلَّ الباحثون فى الاستقصاء والتدقيق - من معرفة
شئ من خصائص لغات القبائل المختلفة ولهجاتها ، فإن لم يؤد هذا إلى تمييز تام بين لغات القبائل
فقد يؤدى إلى نوع من التمييز يهون فى سبيله بذل الجهد والوقت والمال ، وإن بدا اليوم هذا بعيداً
للمال فيظهر اقتناع الجهود ميسوراً قريب الحَقِّ ، إن شاء الله ، وإن لم يتيسر بآدى الأمر التمييز
بين لغات القبائل المختلفة فى مفرداتها وتراكيبها جميعاً فلن يعدم البحث الدائب الظاهر بأحد
هذين ، ولو أن علماءنا الأوائل - رحمهم الله ! - قد جعلوا بعض عنايتهم مصروفاً إلى بيان ما كان
من المفردات من لغة قوم دون قوم لكان ذلك أقرب إليهم وأدنى إلى اليسر ، ذلك بأنهم كانوا

يشافهون القبائل العربية في مساكنها ؛ ولو أنهم فعلوا لكانوا قد أسدوا يداً إلى العربية مشكورة ،
ولسكناً قد حصلنا على مغنم أى مغنم ، ولسكنهم لم يبالوا ذلك ولم يتحملوا به ؛ إذ كان أعظم وكدم
أن يجمعوا المفردات العربية ، غير عابئين بمن تسلم بها ، فاجتمع لنا تراث عظيم ، لكنه كحبات
اللؤلؤ الغالية القيمة ، لا يضمها نظام ، ولا يؤلف بين ما تشابه منها ثم ينفخه فيميزه أنواعاً وفصائل
عرفان جوهري بارع ، وليس من المعقول عند أحد أن تكون هذه الكثرة الفائقة الحد من
الترادفات والأضداد ، وهذه الأنواع الكثيرة من الاشتقاق والقلب والإبدال من لغة قبيلة واحدة .
والله سبحانه المستعان .

ومن النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى مجهولة تلك الأماكن التي انطلقت فيها قرآن
أولئك الشعراء ، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء التي سبغت فيها أخيلتهم ، وسلس لهم فيها قياد
القول ، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم ، هذه الأماكن التي تكون
البيئة الطبيعية التي درج فيها العربي الأول : ينكغم كشبانها ، ويضرب في صحاريها الفسيحة ،
ويستظل بسمائها الصافية ، ويهتدى بنجومها الزاهرة ، راضياً بذلك ، قريح العين به ، صابراً على
ما يكابد من شظف العيش وقلة وجوه الاكتساب ، مكتفياً بأنه يعيش في منازل آبائه وأجداده وفيها
مجالس أنسهم ، ومسارح لهوهم ، ومعتزك حروبهم ، وفيها نواديهم التي كانوا يتنافرون فيها
ويتفاخرون .

من النقص الملموس في الأدب العربي أن تبقى تلك الأماكن مجهولة ، وما فيها مكان إلا له
ذكريات تهز مشاعر العربي الصميم ، وتبعث في نفسه ألواناً من البطولة والمغامرة والإقدام ؛ لأنها
تقترب بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم ، والعرب هم أولئك الذين نزل كتاب الله تعالى
بلغتهم ، وبعث أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، فطافوا بأرجاء العالم المعروف لهم
يومئذ ، يحملون مشاعل النور رسلاً للإنسانية ، وزعماء للإصلاح في مختلف نواحي الحياة ، بما أوحى
إليهم دينهم وما حباهم الله به من فطرة صافية ، ومنطق عذب ، وقوة دائمة يباركها الإخلاص
في نشر ذلك المبدأ السامي العظيم ، حتى دانت لهم المشرق والمغرب ، وأحدثوا ذلك التطور الخطير
المفاجيء في العقيدة ، والتفكير ، والاجتماع . قال عطاء بن أبي رباح فقيه الحجاز ، لما وفد على
سليمان بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ، إن أهل الحجاز ونجد هم أصل العرب ، ومادة الإسلام ،

دَوَّخُوا الجبابرة ، وفتحوا الأمصار ، وأعز الله بهم الإسلام ، وأحب أن تضع صدقاتهم في فرائهم » فأعطاه ذلك .

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد ناطقة عَلَى ما وصلت إليه الأمم من تقدم في الصناعة ، والدوق ، ومقاييس الحياة ، فيجدر بنا أن نقب عن البيئات الطبيعية - بقدر الإمكان - بل نُشَاهِدَهَا عِيَانًا - إذا استطعنا ذلك - لنَفِيفَ على مَدَى مَا تُثَرِّفُ في الفكر العربي في تلك العصور ، ولنكشف تلك المساطر المغلقة ؛ فلا تظل مطوية على تعاقب الأجيال ، فقد نجد في دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيعابها ثروة فكرية لا يقدر قدرها ، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد ، يجد كل واحد منهما بغيته في بحثها ، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر وقد اكتشف في أحشائها من معادن مطبورة لَفَتَتْ إليها الأنظار بَعْدَ أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام .

وقد استجاب مولاي سمو الأمير فيصل لرغبة أولئك الأدباء المهجرين ، فأمر - حفظه الله ! - أن أكتب في هذا الموضوع - على صعوبته - مبحثاً كل ماء ، أو جبل ، أو وادٍ ، أو كتيب ، وأبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم ، وما تغير اسمه ؛ لكثرة تجوالى في نجد ، ودراسي معالمها وآثارها دراسة وافية ، وفي المثل السائر « قَتَلَ كُلُّ أَرْضٍ خَيْرَهَا » .

على أني لم أكتف بمعلوماتي الخاصة ، فقد أنشأت أسفاراً جديدة ؛ حُباً في الوقوف على الحقيقة ، إلى بلاد مختلفة منها « الشعراء » وهي بلدة متوسطة في عالية نجد ، يختلف إليها الأعراب من كل ناحية . وبلغ بي الأمر - إذا اشتبه عَلَى موضع لم أذهب إليه - أن أرسل بعض الأعراب الذين يعرفون البقاع في بلاد العرب إلى المكان الذي أنحدر وجوده فيه ، ليبحثوا عنه ويأتوني بالخبر ، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبهم . وأضرب لذلك مثلاً واحداً ، فقد أشكل على اسم « رَاكِس » هل هو باقي هذا الاسم أو دارس ؟ لأنه مقرون في بعض الأشعار « بِرَخْرِحَان » ورحرحان معروف بهذا الاسم إلى عصرنا هذا ، فطلبت من بعض الأعراب أن يبحث عن ذلك ، وحَدَّثْتُ له الأرض التي تحرَّيت وجوده فيها ؛ فركب راحلته ، وبعد شهر من ذلك وَصَلَ إليَّ فأخبرني أنه وجد جبلاً أسود ، قرب وادي الرمة - كما حَدَّثْتُ في هذا الكتاب - وحوله كثيب من الرمل يقال له الآن « أبرق راكس » والأبرق هو كثيب الرمل ، وراكس : هو الجبل .

الأمر الثاني : أني رأيت كثيراً من الباحثين في الأدب والتاريخ - حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب - يُخْطِئُونَ في تحديد بعض تلك المواضع . وعذرتهم في ذلك واضح ؛

لأنهم يُعَوَّلُونَ على المعاجم العربية القديمة ، وتلك المعاجم - مع احترامي لمؤلفيها ، واعترافي بفضلهم - لاتخلو من نقص ؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عَنْ مُشَاهِدَةٍ ، بل عَنْ نَقْلِ . ويستثنى من ذلك :

١ - الأصمعي في كتابه (مياہ جزیرۃ العرب) وهو كتاب مخطوط ، يوجد منه - فيما بلغني - نسختان : إحداهما لدى الأستاذ « رشدي ملحس » والثانية في مكتبة الشيخ « محمود الألوسي » رحمه الله !
٢ - رسالة عرام بن الإصبع السلمي الأعرابي « جبال تهامة ومحالها » التي رواها عنه أبو الأشعث الكندي . وقد نقل عنها أبو عبيد عبد الله البكري في « معجم ما استعجم » كما نقل عنها ياقوت الحموي شيئاً كثيراً ، وتوجد قطعة من أصل تلك الرسالة في إحدى مكاتب الهند ، استنسخ منها فضيلة الشيخ « محمد نصيف » نسخة ، وقد شرع في طبعها الآن ، كما ذكر لي فضيلته .
٣ - كتاب محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي عن نجد ، وهو كتاب تدل الأقوال التي نقلها عنه ياقوت على تحقيق ، ومعرفة جيدة ، ولم أطلع على أصل هذا الكتاب ، ولا عثرت له على ذكر في المكاتب .

٤ - كتاب « صفة جزيرة العرب » للممداني ، وهو كتاب جليل القدر ، مفيد جداً ، ولا سيما في ذكر اللواضع الجغرافية من الجزيرة ، وقد طبع الكتاب بمدينة بريل سنة ١٨٩١ م في مجلد أضف إليه طابعة المستشرق Müller مجلداً ثانياً لفهارسه وغيرها
وأما بقية المعاجم العربية - كمعجم البلدان ، ومعجم أبي عبيد البكري ، وأمثالها - فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت في النقل منها .

وإنك لترى العجب العاجب حين ترى ما وقع فيه بعض رجال الأدب العربي وتاريخ الحضارة العربية من أغاليط ، سببها الثقة البالغة بما سطره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع ، ولُكِّمَ تملسكني العجب - كما تملك غيري - عندما قرأت مقدمة كتاب « محاضرات الأمم الإسلامية » الذي دُجِّجَ راع الأستاذ محمد الحضري بك - رحمه الله تعالى ! - وكتاب « تاريخ الإسلام السياسي » الذي وضعه الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بك ، والبحثين الطريفيين اللذين كتبهما الدكتور محمد صبري بك عن امرئ القيس وذى الرمة ، وكتاب « مهد العرب » الذي صنفه الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وغير هذه الكتب مما يتوفر على إخراجه جماعة من زعماء الأدباء والمؤرخين .

والأمر الثالث : أن قوماً ممن أشرب الله قلوبهم حبَّ العرب والعربية ما فتئوا يُشِيرُونَ اهتمامي لهذا البحث ، ويتقاضونني الانقطاع له ، ومن هؤلاء الأماثل الأستاذ الفاضل « رشدي ملحس » فلقد كتب إلى كتاباً يقول فيه « يهمني جداً معرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المملقات العشر . وقد عنيت لأجل ذلك بجمع مانيسر تحقيقه ، وبما أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث ، وأن تكتب إلى مطولاً عما لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن ، مع بيان حدود كل منها ، وتعرفها تعريفاً وافياً » . وأرفق كتابه هذا بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه من بقاع وجبال ومياه ، ووضع كل لفظ بين قوسين ، فبعثت إليه بما عندي من المعلومات عن ذلك .

وقد رأيت يومئذ أن من الخير أن أشرك القراء معنا في هذا البحث الذي أعتقد أن كل دارس للأدب العربي - وللشعر الجاهلي منه بصفة خاصة - لا يستغنى عنه ، فنشرت فصولاً من هذا البحث في جريدة « البلاد السعودية » الغراء التي تصدر بمكة المكرمة ، وفي أثناء تلك المدة التي نشرت فيها تلك الفصول وصلني كتاب من الأستاذ الكبير المرحوم جميل داود السلمي المستشار للوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن قال فيه : بعد السلام « أَطْلَعْتُ في جريدة البلاد السعودية على تلك الفصول الممتعة التي تناولتم فيها بالبحث المواضع الواردة في المملقات ، وأرجو موالة هذه البحوث النافعة ، فقد نهافت علينا كثير من المستشرقين وأدباء العرب الموجودين في لندن ، وسألونا : هل يجمع أمثال هذه البحوث كتاب مصنف ؟ فإن عزمت على تأليف كتاب على هذا النمط فأنا أول من يساهم في طبع ذلك الكتاب » .

ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بطبعه على نفقته ، فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يدًا كبيرة ، كشأن معاليه في السارعة إلى كل مشروع نافع ، حفظ الله معاليه رائدًا لنهضة البلاد ، وساعدًا أيمن للعاملين في شتى ميادين الإصلاح .

وها أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير - بعد أن تَوَقَّرتُ على كتابته سِنِينَ طَوِيلًا - وأرجو أن أكون بهذا العمل قد سَدَدْتُ خَللاً كان ينبغي أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل ، فأكون بذلك قد أسدَّيتُ إلى قومي اليدَ التي طالما تطلُّعوا إلى من يُسَدِّدُها إليهم . والله سبحانه المسئول أن يجعل هذا العمل نافعا ، وأن يكتبه لنا في سجل الحسنات ، آمين

تصدير

بذكر الأماكن التي طاف بها أصحاب المعلقات

من المعروف أن العربي الأول لم يكن يميل إلى استيطان موضع مُعَيَّن ؛ فقد اضطرتّه عوامل التكوين ، ومطالبُ العيش ، وظروفُ الحياة ، إلى أن ينزح من مكان إلى آخر انتجاعاً لمواقع القطر ، ومنابت الكَلأ ؛ لأنَّ عليها مَدَارَ مَعَاشِهِ . والشاعر بصفةٍ خاصة من أكثر العرب تنقلاً في البلاد ، فقد دأب أكثر الشعراء على أن يَقْدَ على الملوك وسادات القبائل ، مادحاً ومستجدياً ، لما للشاعر من مكانة في نفوسهم ، وما يلقاه عندهم من الترحيب وجزيل المواهب .

وإذ كان موضوع بحثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بيان المواضع الواردة في المعلقات فنلج هنا موجزين إلى منازل أصحابها ، وإلى الأماكن التي طافوا بها في حياتهم ، ليقف القارئ - قبل كل شيء - على إشارة عن منازلهم ، وتنقلاتهم ، تمهيداً للفصول التالية .

١ - امرؤ القيس

بلدته « ذوجرة » قرية بمخلاف « السكلمك » في اليمن ، وهو رجل كان كثير التنقل في أول شبابه ، ولذلك ورد في شعره كثير من أسماء المواضع في مختلف أنحاء الجزيرة ؛ فذكر مواضع من حضرموت ، كدَثْمُون وَعَنْدَل ، ومواقع في شمال نجد كأُسَيْس والطها وتَيْمَاء السَّمَوْد ، ومواقع في عالية نجد الشمالية ، كَنَمِجٍ وَعَاقِل ، ومواقع في عالية نجد الجنوبية ، كاللَّخُول وَحَوْمَل وتَوْضِج والمِقْرَاة .

ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة في القصيدة الواحدة . بل في البيت الواحد وقد وفد على قيصر ملك الروم ، وهو يقول في هذه الرحلة :

بَسَكَي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَقَنَ أَن لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَ

وإذا كان الحديث يجر بعضه بعضاً فإني أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير من الباحثين

في المواضع ، وهو الاعتقاد بأن بلد الشاعر صاحب هذه المعلقة هي « مَراة » المعروفة في الوشم^(١) وأول من علمته وقع في هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة « أم القرى » منذ ثلاث وعشرين سنة تقريباً رحلة بعنوان « الرحلة السلطانية » . ثم أتى كاتب آخر فنشر رحلة أخرى في جريدة « صوت الحجاز » في سنتها الأولى ، قال فيها إن « مراة » هي « المقرأة » التي وردت في شعر امرئ القيس ، ثم جاء كاتب ثالث فقال في كتاب مطبوع معروف : إن امرأ القيس ولد في « مراة » وآخر من علمته وقع في ذلك الخطأ : الأستاذ أحمد حسين في كتابه « مشاهداتي في جزيرة العرب » ومنشأ هذا الخطأ : أن « مراة » قد نسبت في بعض مؤلفات القدامى إلى امرئ القيس ، ولكن اسم امرئ القيس اسم شائع في العهد الجاهلي ، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم ، وللاستاذ حسن السندوي بحث ممتع عن « المَرَاة » طبعه مع ديوان امرئ القيس ، وفي « المزهر » للسيوطي و « شعراء النصرانية » لليسوعي تفصيل عنهم . والذي وقع في مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح . ولكن امرأ القيس الذي تنسب إليه « مراة » ليس هو امرؤ القيس بن حُجْر الكندي ، صاحب المعلقة ؛ فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر « امرئ القيس » وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم ، وتميم هم سكان الوشم^(١) في العهد القديم . فمراة لبني امرئ القيس ، وثرمداء لبني سعد ، وأثيفية لبني يربوع من بني حنظلة الذين منهم بلال الشاعر ، وذات غسل لبني العنبر . وامرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مراة المعروفة في بلاد الوشم .

٢ - زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُئْمَى الْمَرْزِيُّ

ولد في بلاد قومه « مَرْزَنَة » من نواحي المدينة ، وخرجت به أمه بعد وفاة أبيه - وكان صغيراً إذ ذاك - إلى بلاد قومها بني عبد الله بن غطفان ، ونشأ فيها ، وتفتحت شاعريته على مراتع الهمّاء من رُبا نجد ، وقد أظنّب في مدح رؤسائهم ، كهرم بن سنان والحارث بن عوف . وطبعي أن يكثّر في قصائده ذكر المواطنين التي نشأ فيها من بلاد غطفان ، وهي من

(١) الوشم - بفتح فسكون - موضع في البجامة يشتمل على قرى من أشهرها : مراة ، وثرمداء ، وأثيفية ، وذات غسل ، وهي بلد المصنف ، ونسبه في بني خالد . وستذكر قريباً .

القَصِيم إلى قرب المدينة ، فمن ذلك : رَغَارٌ ، والمَرْوَرَةُ ، والنَّحْلُ ، والرَّسُّ ، والرَّيْسُ ، والقَصِيمُ ،
وجُزْنَم ، والمُتَمَلِّم ، والرَّمَتَان ، وغيرها مما ذكرناه مفصلاً عند دراسة أثر الشاعر .
قال أحد الشعراء يهجو زهيراً^(١) .

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ قُدْسٍ وَآرَةٍ أَحَلَقَكَ عَبْدُ اللَّهِ أَكْثَافَ مُبَيْلٍ
أما « قُدْسٌ »^(٢) وآرة » فهما في بلاد مَرْبِئَةَ قرب المدينة يُعرفان بهذا الاسم إلى عهدنا هذا .
وأما مُبَيْل فهو وادٍ في بلاد غطفان يَصُبُّ في الجهة الجنوبية من وادي الرمة .

* * *

٣ - - طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِئِ

وُلِدَ في شمال الجزيرة في بلاد ربيعة - وهي من العراق إلى خَيْبَرَ - وأكثَر إقامة فيها ،
وقد أَكثَرَ التَّجْوَال في بَقَاع نجد ، وذكر في مملقته المشهورة بقاعاً مترامية الأطراف : منها دِجْلَةٌ
في شرقي الجزيرة ، وَحَوَمل في غربيها ، وَشَهْمَدُ قرب نَفْيٍ في وسط نجد ، وَضَرْعَدُ الذي يسمي
اليوم ضَرْعُط يقع بين بلاد بني أسد وبين بلاد طى في شمالي نجد الغربي ، وَدَدُ في نواحي البحرين
ووفد على عمرو بن هند^(٣) ملك الحيرة من قبل كسرى ، وَحَظَى بالقرب منه ، وَلَسَكَنهُ مَلٌّ
حياته الرتيبة ، على ما فيها من مَنَاعِم الحياة ، مَهْجَاه هَجَاءٌ كَثِيرٌ منه قوله :
فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغَوْنَا حَوْلَ قَبْتِنَا نَحْوَرُ^(٤)

(١) البيت لمزرد بن ضرار الغطفاني يهجو كعب بن زهير بن أبي سلمى الزني .

(٢) قُدْس : بضم فسكون ، وآرة : بهمة فالف فراء مهملة مفتوحة ، وفيهما يقول البيهقي
الجهمي ، وهو يدل على أنهما من مساكن مزينة :

وَنَحْنُ وَقَعْنَا فِي مَرْبِئَةِ وَقَعَةٍ غَدَاةِ التَّقِينَا بَيْنَ غَيْقٍ وَعَيْمَاهَا
وَنَحْنُ جَلْبِنَا يَوْمَ قُدْسٍ وَآرَةٍ قَنَابِلِ خَيْلٍ تَتْرَكَ الْجَوَاقِئَا

ووقع في معجم باقوت « يوم قُدْسٍ أَوَارَةُ » محرفاً ، فإن أَوَارَةَ من بلاد تميم في الحِمْيَر ، وأبن
غانة من فرغانة ؟ .

(٣) هند أم عمرو : هي بنت الحارث بن عمرو القصور بن حجر آكل المرار بن معاوية بن نور ،
وهي عممة امرئ القيس بن حجر الكندي

(٤) الرغوث - بفتح الراء - كل مريض ، وقيل : المرضع من النعاج خاصة ، وربما استعملت في
النوق ، ونحور : تصوت ، وأصل الخوار - بضم الخاء ، وفتح الواو مخففة - صوت البقر خاصة ،
وربما استعمل في الإبل وغيرها .

واتهى الأمر بقتله على يد (المكمر) عامل عمرو بن هند على البحرين فانتصر له ابن عمه عمرو بن كلثوم ، فقتل عمرو بن هند .

٤ — لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ

وُلِدَ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّجَوُّالِ فِيهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِ ، وَبَعْدَ إِسْلَامِهِ ، وَلَهُ أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ فِيهَا بَقَاءً كَثِيرَةً : كَمْنَى ، وَغَوْلٌ ، وَرِجَامٌ ، وَتَدُومٌ ، وَوَجْرَةٌ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وَكَشِيبٌ جَبَلَةٌ فِي وَسْطِ نَجْدٍ ، قَالَ لَبِيدٌ :

* وَنَحْنُ غَدَاةُ الشَّعْبِ حِينَ تَحَالَفَتْ - الْبَيْتُ *

وَفِي هَذَا الشَّعْبِ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ انْتَصَرَتْ فِيهِ بَنُو عَامِرٍ عَلَى بَنِي أَسَدَ وَبَنِي ذُبْيَانَ وَبَنِي نَعِيمٍ ، وَقَتْلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ سَيِّدُ بَنِي نَعِيمٍ ^(١) :

وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي شِعْرِ بَيْشَةَ ^(٢) وَتَبَالَةَ فِي جَنُوبِ الْحِجَازِ .

وَقَدْ وَقَعَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ فِي الْحَبِيرَةِ - وَهُوَ غِلَامٌ - مَعَ رُؤَسَاءِ بَنِي عَامِرٍ ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ .

٥ — عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ التَّغْلَبِيِّ

هُوَ صَاحِبُ الْمُلَقَّةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأَخَذُ فُتَاكَ الْعَرَبِ ، وَلَدَ فِي بِلَادِ قَوْمِهِ بَنِي تَغْلَبٍ فِي شِمَالِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي بِلَادِ رَبِيعَةٍ . وَتَجَوَّلَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَنَجْدٍ . وَبَدَلَ عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي مُعَلَّقَتِهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ كَدِمَاشِقَ وَبَغْلَبَكَ وَقَبَاصِرِينَ . وَهَذِهِ الْأَمَاكِنُ الثَّلَاثَةُ قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْيَمَامَةَ ، وَهِيَ الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ : طَرَفُهُ الشِّمَالِيُّ قَرِبَ الْغَاطِ الْبَلَدِ

(١) انظر حديث يوم جبلة في تاريخ ابن الأثير ١/٢٤٣ بولاق ، وفي معجم أبي عبيد البكري ٢/٣٦٥ وفي معجم ياقوت ٣/٥٢ ويسمى أيضا «يوم تعطيش النوق» وكان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) بين تبالة وبيشة يوم واحد ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، وإليها ينسب أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي ، سمع منه أبو حاتم الرازي .

المشهور، وطَرَفُهُ الجنوبي قرب وادى الدواسر، ويقع فى الجهة الشرقية من نجد، وقد حَدَّثته فى كتابنا هذا تحديداً شافياً على شرح هذا البيت :

فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَأَشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضَلِّتِينَا

وقد ذكر خَزَاز، وأشار فى ذكره إلى إيقاد ربيعة النار فى رأس ذلك الجبل، وهو فى عالية نجد، وكان به يوم من أيام العرب بين العدنانيين واليمانية^(١)، وهو أول يوم هَزَمَتْ فيه العدنانية البنين، ثم ذكر وراط، وهو من أودية سُدير الواقع فى اليمامة، وذكر ذَا طَلُوح الذى يقال له اليوم « الطليحي »، وذكر الشامات، وهى : أَكْشِيَّةٌ بيضٌ يقال لها اليوم « شَامَاتُ زُرُود » تقع فى شمالى زُرُود فى شمالى نجد .

وقد وَقَدَ على عمرو بن هِنْدٍ مع رؤساء قومه بَنِي تَغْلِبَ .

* * *

٦ — عَنَتْرَةُ بن شَدَّادِ الْعَبْسِيُّ

وُلِدَ فى بلاد قومه غَطَفَانَ، وهى - كما ذكرنا عند كلامنا على زُهَيْر - من الْقَصِيمِ إلى قرب المدينة غرباً، يَحْذُهَا من جهة الشمال بلادُ بَنِي أَسَدَ، ومن جهة الجنوب بلادُ بَنِي عَامِرِ بن صَعَصَعَةَ .

وقد طَافَ فى جميع أنحاء نجد، وذكر فى قصيدته مواضع بعيداً بعضُها من بعض كالجِوَاءِ الواقع غربيَّ الْقَصِيمِ، والحَزْنُ الذى يقال له اليوم « الحزل » شرق الدَّهْنَاءِ، وذكر الْقَمَّانَ؛ وهو شرق الدهناء، والمُتَحَلِّمُ: جبل قرب الجِوَاءِ؛ وذكر عُمَيْرَ تَيْنِ^(٢)، وهى بلدة « عَمِيرَة » الآن؛

(١) انظر بعض خبر يوم خَزَاز فى معجم أبى عبيد البكرى ٤٩٦/٢ ومعجم ياقوت ٤٢٩/٣ وفى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢١٣ قالوا « ولولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خَزَاز » .

(٢) من عادة شعراء العرب أن يثنوا اسم البلدة أو يجمعوه، ويريدون بالثنائية جانيبه، ويريدون بالجمع عدة أجزائه، وذلك كثير فى كلامهم، وقد ثنى الفرزدق المريد فى قوله :

* عَشِيَّةٌ سَالِ الْمَرِيدَانِ كَلَامُهَا *

وجمع مطرود بن كعب غزوة فى قوله :

مِيتَ بِرُومَانَ وَمِيتَ بِسُلَمانَ وَمِيتَ عِنْدَ غَزَاتِ

فإذا اعتبرنا ثنية غزوة عنيزة من هذا القيل فهى من البلاد الباقية على اسمها إلى اليوم . هذا ، =

وذكر النخيل، وهو في جنوبي البامة؛ وذكر ذا المشيرة؛ وهو جوف الصَّان يقال له الآن «جو عسرى» وذكر الدُّحْرُصَيْن وهما دُحْرُصٌ ووَشِيعٌ مما يلي الخرج تفصل بينهما الدهناء، وذكر الدَّيْلَم، وهي الآن عاصمة الخرج، ويقال لها الآن «الدم»، وذكر الرَّدَّاع، وهو في عالية نجد.

٧ - الحارث بن حلزة النشكرى

ولد في بلاد قومه بنى يشكر في بلاد ربيعة، ونحوّل في بلاد قومه، وفي عالية نجد وجنوبها وشمالها، وفي بلاد طيء، وبلاد بنى أسد، وبلاد غطفان.

ذكر «الخلصاء» وهي في الدهناء و«برقه شماء» وهي في حمى ضرية. وذكر «المخياة» ويقال لها اليوم «محبوة» جبل رفيع في بلاد غطفان بالقرب من أمان؛ وذكر «فتق»^(١) وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد قرب بلد حائل، وذكر «رياض القطا» وهي قرب الدهناء، وذكر «الشُعْبَتَيْن» وهي باقية هذا الاسم في بلاد بنى أسد، فلما انقرضت بنو أسد نزلها قسم من قبيلة الأسلم من شمر؛ وذكر «أبلى» وهي في عالية بلاد بنى عبد الله بن غطفان، وذكر «العقيق» وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد: أعلاه قرب عُسَيْرَة، وينتهي بالقرب من المدينة، وذكر «شخصين» وهما جبلان في شمالي جبل كُثْب المشهور، وذكر «مُنْحَة» بالقرب من «بيشة» في عالية نجد الجنوبية، وذكر «الصَّاقِب» وهو جبل في عالية نجد باق بهذا الاسم إلى هذا العهد،

= وفي عنيزة قتل مهلهل بن ربيعة جسّاس بن مرة قاتل أخيه كليب بن ربيعة، وفي هذه الواقعة يقول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أينا بحنب عنيزة رحيا مدير

(١) قد ورد بلفظ «فتاق» بزنة الكتاب - في شعر الحارث بن حلزة، وفي قول الأعشى:

بكيت عرفاء محجرة الخلف غنمها عوانة وفتاق

وفي قوله أيضاً:

أتاني وغور الحوش بيني وبينه كرائس من جنبي فتاق فأبلقا

والفتق - بضم الفاء والتاء جميعاً - جمع فتاق (وانظر الهامشه رقم ٢ في ص ١٠)

وذكر « البَحْرَيْنِ ، والحِساء » ، والبحرين يُطلق على مقاطعة هَجَر ، إلى غير ذلك من المواضع التي سنذكرها مفصلة مع بيان حدودها عند ما تعرض بقصيدة الشاعر .
وقد وفد على عمرو بن هند بالحيرة ، شاعراً لبكر ، وقصته مع عمرو مشهورة .

* * *

٨ — الأَعشى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ

صاحب المعلقة المشهورة ، وُلد في بلدة مَنْفُوحَة قرب مدينة الرياض ، وكان رَحالة كثير التجوال ، وفدَّ على ملوك نَجْرَان بنى عبد المَدَان ، وعلى الفُسَّانِيَّين بالشَّام ، وعلى اللُّخَمِيَّين بالعراق ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة دالية قال فيها :

فَأَلَيْتُ لَا آوَى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَنٍّ حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدًا
مَتَى مَا تُنَاقِخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرَاجِحِي وَتُلْقِي مِنْ قَوَاضِيهِ نَدَى
فَصَدَّتْهُ قَرِيشٌ ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدْتِهِ مَنْفُوحَة ، ومات بها ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة قال « كَادَ أَنْ يُسْلِمَ » .

ورد في داليته ذكر « النُّجَيْرِ » ، وهو قصر في البين لسَكِنْدَة ، و « صَرَّخَدَ » وهو من قرى الشام ، فانظر إلى هذا التباعد بين الموضعين في قوله :

وَأُبْتَذِلُ الْعَيْسَ الْمُرَاقِيلَ تَغْتَدِي مَسَافَةً مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرَّخَدَا ^(١)
وذكر في معلقته مواضع كثيرة « كرياض الحزن » ، ويقال لها اليوم الحزل ، وذكر « دُرْنَا » ^(٢) ، وهي من قرى اليمامة ، وذكر « نُمَار » وهو في أودية اليمامة ، وذكر « النُّحَال » وهو جبل واقع على وادي الدفينة ، وذكر « الْقَسْجَدِيَّة » وهي جبال في جبل كُشْب المعروف ويقال لها اليوم « العسلجيات » ومفردها عسلج ، وذكر « الأَبْلَاء » وهي واقعة في عالية بلاد بنى عبد الله بن غَطَّان وذكر « الرَّجْل » ^(٣) وهي كثيرة في نجد ، وذكر « خَنْزِيرَا » وهو جبل في عالية نجد

(١) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، والمراقيل : جمع مرقال ، وهي السريعة السير

(٢) وذكر « دُرْنَا » في غير المعلقة أيضاً ، في قوله :

حَلْ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا وَفَادُو نِي وَحَلَّتْ عَلَوِيَّةُ بِالسُّخَالِ

(٣) الرجل - بكسر الراء وفتح الجيم - مسايل الماء ، واحدها رجلة .

الجنوبية، وذكر « رَوْضُ الْقَطَا » وذكر « كَثِيبُ الْغَيْنَةِ »^(١) وهو في شرق اليمامة يقال له في هذا العهد : « عريق بيان » والغَيْنَةُ هي القرية المسماة الآن « غَيَّانَة » وذكر « يوم الحِنُو »^(٢) وهو في شمالي الحَبَجَّة وكان يقال له « حنوقُرَاقِر » ولا يزال له هذا الاسم إلى اليوم . وبه يوم من أيام العرب لربيعه على قسم من العرب والفرس ، وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا هو أول يوم انتصرت فيه العرب من المعجم ، وبني نُصِرُوا » .

٩ — النابغة الدُّبَيَّانِي

وُلِدَ في بلاد غَطَفَانَ ، وتنقَّلَ في جميع بلاد العرب ، ووفد على الملوك اللَّخْمِيِّينَ ، وآثره النعمانُ ابن المنذر على جميع الشعراء ، ولما غضب عليه وفد على الفُصَّانِيِّينَ .
وذكر في قصائده مواضع كثيرة في نجد وغيرها : ذكر « الجليل »^(٣) وهو جبل بالشام يمتد إلى قرب رَحْصَ ، وذكر « وَجْرَةَ » وهي في عالية نجد ، وذكر « تَدْمُر » وذكر « تَوْضِيح » وهي أرض منسعة يقال لها اليوم « التوضحيات » بعالية نجد الجنوبية ، وذكر « جِاق » وهي دِمَشْقُ ، وذكر « الْمِلْح » إشارة إلى أملاح عبد الله بن غطفان ، وهي في عالية بلادهم ، وذكر « الأمرار » وهو الملح المذكور يقال لها في هذا العهد « أملاح عبد الله » وذكر « حُصَا » ويعرف الآن « بِحْمِي عَلِيَا » في عالية نجد الشمالية ، وذكر « لُصَاف » وهو مَنْهَلٌ باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذكر « ثَبْرَةَ » وتسمى في هذا العهد « وبرة » ويقع الموضعان في شرقي الصَّمَّانِ ، وذكر « لَابَةَ ضَرْغَد » التي يقال لها اليوم « ضرغط » وغير ذلك من المواضع المفصلة في هذا الكتاب .

(١) الغينة : يروى بكسر الغين وفتحها .

(٢) يوم الحنو : هو المشهور بيوم ذي قار (تاريخ ابن الأثير ١/١٩٦) ، وفيه يقول الأعشى :

فصبحهم بالحنو حنو قراقر
على كل محبوك السراة كأنه عقاب سرت من مرقب إذ تدلت

(٣) وذكر « ذا الجليل » في قوله :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستأنس وحد
وأصل الجليل الثمام - بضم التاء - وهو نبت يحشى بها خصاص البيوت ، وذكر صاحب
اللسان أن ذا « الجليل » واد لبني نعيم نبت الجليل الذي هو الثمام .

١٠ — عبيد بن الأبرص الأسدي

وُلد في بلاد قومه بني أسد ، وبَحْدَهَا بلادُ عبد الله بن غَطَفَان جنوباً وبلاد طيء شمالاً .
وجبالُ بني أسد : رَمَّانٌ وَحَبَشِيٌّ ، وَغَمَارُ الَّذِي يُقالُ له اليوم الغَمَار .
ذَكَرَ « ملحوب » وهو في بلاد بني أسد يُقالُ له اليوم « مكحول » قرب سميراء ^(١) وذَكَرَ
« القُطَيْبَات » ^(٢) وذَكَرَ أنها قرب جبل سَوَاج ، ويقع في عالية نجد الشمالية ، وذَكَرَ « الذَّنُوب »
وهي باقية بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، وتقع في عالية نجد بالقرب من الدفينة ^(٣) ، وذَكَرَ
« راكسا » وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ويقع في شمالي نجد ، وذَكَرَ « ذات فرقين » وهو
جبل له رأسان ، تراه إذا كنت في بلدة نفي ، ويمد من جبال الحِمْيَر ، وذَكَرَ « ثَعْيَبَات » ويُقال
له الآن « الثعلبي » من مياه طي ، وذَكَرَ « عَرْدَة » وهي باقية بهذا الاسم إلا أنها ذَكَرَتْ
وثبتت ، فقيل لها « عردان » وتقع في عالية نجد ، وذَكَرَ (حِمْيَرًا) وهو جبل أسود في عالية
نجد الشمالية .

* * *

وهؤلاء الشعراء العشرة كلهم من نجد ، ما عدا امرأ القيس ، أربعة منهم من ربيعة وهم :
عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد ، والأعشى . وأربعة من قيس عيلان وهم :
زهير بن أبي سلى ، وليد بن ربيعة العامري ، والنابغة الذبياني ، وعنترة بن شداد العبسي ،
وعبيد بن الأبرص من بني أسد ، وامرؤ القيس من اليمن ، وأكثر إقامته في نجد .

(١) سميراء — بفتح فكسر ممدودا — وردت في حديث طليحة الأسدي لما ادعى النبوة ، وذلك
« أنه عسكر بسميراء » وقال مرة بن عياش الأسدي :

جاءت عن سميراء الملوك ، وغادروا بها شر قن لا يضيف ولا يقري
فأما الذين ذَكَرَ أنهم رحلوا عن سميراء فهم بنو حبيب بن أسامة من أسد ، وأما الذين ذَكَرَ
أنهم استوطنوها فقبيلة من بني نصر يُقال لهم بنو حجران ، وهو بهجوم بأهم عبيد لا يتزلون الضيفان
عندهم ، ولا يقروهم إن طرَقوهم .

(٢) في اللسان ما معناه : أراد عبيد القطبية لجمع كأنه يعني الماء وما حوله (وانظر الهامش رقم ٢ ص ١٠)

(٣) وقد ورد الدفين أيضاً في شعر عبيد مكرراً ، فمن ذلك قوله :

تغيرت الديار بذى الدفين فأودية الأولى فرمال لين

ومن ذلك قوله :

ليس رسم من الدفين ببال فلولي ذروة فجني ذبال

١

أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ

امرؤ القيس

مات سنة ٨٠ قبل الهجرة (٥٦٥ للميلاد) تقريباً

هو امرؤ القيس بن خُجَر ، (سبه في بنى ثور بن مُرتع بن كندة من كهلان^(١) .
نذكر أولاً : المواضع الواردة في مملقته ، وهذا مطلعها :

١ - قَفَا نَبْلِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوضِحَ فَاَلْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَشْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأما كن فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه
المواضع في البياضة ، قال ياقوت في معجمه^(٢) : توضح والمقراة قريتان من قري البياضة ، وتبهمهم
حسن السندوبى في شرحه لهذه القصيدة ، وذكر أن جميع هذه المواضع في البياضة .

ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم ، إلا عبارة واحدة وردت في معجم
البلدان أثناء ذكر الدَّخُول . قال : إن الدخول^(٣) بئر ، ثم عزز هذا القول بقوله : حكى نصر
أن الدَّخُول موضع في ديار بنى بكر بن كلاب .

سِقْطُ اللَّوَى : السقط لغةً : يطلق على طرف كل كتيب ، أما الذى عناه امرؤ القيس في
قصيدته ، فهو سناف يقال له اليوم مشرف ، واسمه في الجاهلية شَرَاف ، كأنه كتيب من الأبارق
والزمال طرفه من جهة الغرب قريب حَوْمَل ، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول ، والدخول
وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

الدخول أما الدَّخُول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالاً الهضب المعروف بين وادى
الدواسر ووادى رَنْيَّة ، وذلك الماء تحت يدأبن نوير الشيباني اليوم ؛ وفي شعر حذيفة بن
أنس الهذلي :

فلو أَسْمَعَ الْقَوْمَ الصَّرَاخُ لَقُورِبَتْ مَصَارِعُهُمْ بَيْنَ الدَّخُولِ وَعَزَّعَرَا

(١) لامرؤ القيس بن حجر ترجمة في الأغاني ٦٢/٨ وفي طبقات الجحى ١٥ أوربة وفي خزانة

الأدب ١ / ١٦٠ وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة ٣٧ أوربة .

(٢) المعجم ٢ / ٤٥

(٣) المعجم ٢ / ٤٥

وعرعر : ماء بيطن الهَضْب بينه وبين الدخول مرحلتان للإبل ، يسمى اليوم « عراعر » .
أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية ، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول .

والمقراة : وادٍ ينصبُّ إلى جهة الجنوب بين الهضب والسوادة ، وقد حُرِّفَ اليوم إلى القمرأ ، فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم « القمرأ » في السُّن جميع أهل نجد ؛ وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة .

وتوضح : أرض قريبة من الهَضْب يقال لها اليوم « التوضيحات » تقع عن جبل الحمل جنوباً ، والحمل : جبل يقع جنوبى الهضب ، فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض : منها ما يبعد عن الثانية مرحلة ، ومنها ما يبعد مرحلتين ، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التى يقال لها اليوم مُشرف ، واسمها فى الجاهلية شَرَّاف ، قال الشماخ فى شطر بيت :^(١)

* مَرَّتْ بِنَعْنَى شَرَّافٍ وَهِيَ عَصِيفَةٌ *

وقال زُمَيْلُ بْنُ زَامِلٍ الْفَزَارِيُّ قَاتِلُ ابْنِ دَارَةَ :

لَقَدْ عَضَّنِي بِالْجَوْ كَتِيفَةٍ وَيَوْمَ التَّقِينَا مِنْ وَرَاءِ شَرَّافٍ^(٢)

قصرت له الدعوى ليعرف نسبتي وأنبأته أَنِّي ابْنُ عَبْدِ مَنْفٍ

رَفَعْتُ لَهُ كَفَى بِأَبْيَضَ صَارِمٍ وَقَلْتُ التَّحَنُّمُ دُونَ كُلِّ إِحْافٍ

وشرف هذا : هو الذى أشار إليه امرؤ القيس بقوله « بسقط اللوى » سِقْطُهُ : طرفه ،

واللوى : الأبارق منه أَكْثَبُة متراكمة ، والدخول وحومل والمقراة وتوضح : كلها تقع من جبل

السوادة فى الجنوب الغربى ، بينها وبين الهضب الذى يقال له اليوم « هَضْب آل زايد » وآل زايد :

الدواسر ، وتوضح يقال لها اليوم « التوضيحات » تقع جنوبى جبل الحمل ، وموقعها من الهضب من

جهة مطمع الشمس ، أما سبب تسمية الدخول فإنه واقع بين هَضْبَيْنِ والماء بينهما ، ولا يَدْخُلُ إليه

(١) هكذا رواه ياقوت (شراف) ونسبه للشماخ ، ولكنى بحثت ديوان الشماخ من أوله إلى

آخره فلم أجده فيه .

(٢) هكذا رواه ياقوت ، ورواه صاحب اللسان (ش ر ف) « لقد غظتني بالحزم حزم كتيفة »

وذكر أن شراف ماء لبني أسد .

إلا من بين الهضبتين ، وفي هضبة من هضابه ماء ليس بالكثير في عرض الهضبة يجتمع من الأمطار ، فلا ينقطع أبداً ، ولا يصل إليه الرجل إلا وهوجاتٍ على ركبتيه ، فتسميه البادية اليوم « الدخل » أعني هذا الرس الذي في الهضبة نفسها ، قال سعيد بن عمرو الزبيدي يذكر هضاب الدخول :

وإن يَكُ ليلي طال بالنَّيرِ أو سَجَا فقد كان بالجَمَاءِ غير طويل ^(١)
ألا ليقنى بُدَّأتُ سَعِيًّا وأهلَه بدمخ وأضراب بهضب دخول
النَّيرِ وسَجَا ودمخ كلها باقية بهذه الأسماء . سجا : ماء يحمله سمو الأمير فيصل لإبله وخيله ، وهو من أحسن مياه البادية ، والنَّيرِ ودمخ : جبلان عظيمان في عالية نجد ، فإن مرَّ لهما ذكر في إحدى القصائد زدناهما إيضاحاً .

أما هضب آل زايد فهو يقرب من الدخول مسافة يوم تقريباً ، ومن مياهه : الضيران ، والغبيضة ، وسقمان ، وصلاصل ^(٢) ، ومشينه ، وعراعر ، ومأسل ، وموَيْل .

فأما عراعر وصلاصل وموَيْل فهذه أسماءها في الجاهلية ، وما تغيرت إلى يومنا هذا ، غير أنهم جمعوا « عراعر » على نهج أسلافهم فقالوا « عراعر » وقد قال امرؤ القيس في ذكر عراعر :
سَمَّا بك شوقٌ بعد ما كان أفَصْرَا وحلَّتْ سليمى بطن قَوْ قَعْرَعْرَا
وقال شاعر من بني كلاب في سقمان :

رُعِي القُصُورَ الجُورِيَّ من حول أشْمُسٍ ومن بطن سَقْمَانِ الدَّعَادِعَ سِدْيَا ^(٣)
وقال تليد العبشمي على ذكر صلاصل :

(١) الجماء المذكورة في هذا البيت : هي ماء الجمانية المعروفة في جهة النير في غربه الشمالى .

(٢) صلاصل : ماء لبني أتمر من بني عمرو بن حنظلة ، قاله السكري في شرح قول جرير :

عفا جو ، وكان لنا محلا ، إلى جوى صلاصل من لبني

(٣) وقد أنشده ياقوت ولم ينسبه ، ووقع في ياقوت « الدعادع ديماء » ووقع في لسان العرب « الدعادع سديما » وذكر عن ابن برى أنه أنشده « الدعاع » بدال واحدة بزنة الضراب « المديما » أى الذى جادته الديمة وهو المطر الدائم ، والدعادع في الرواية الأخرى : نبت يكون فيه ماء في الصيف ، وسديم : بزنة درهم وأصله السدم ، وهو الحريص على الشيء ، ويقال : خلل سدم ، إذا كان قد أرسل في الإبل فهو يهدر بينها ، وفي شرح القاموس « أشمس : موضع ، وسديم : خلل » .

أَتَقْنَا بنو قيسٍ بجيشٍ عَرَمَرَمٍ وشن وأبناء العمود الأكابرُ
إلى أن قال :

سَقَيْنَا القليل من سمير وجمون وأفلتْنَا ربُّ الصلاصل عامرُ
ربه : يعنى راعيه الذى يسكنه ، وموقعه فى الهضب ، والهضْبُ فى القديم ابْنى عامر بن
صمصمة ، ومأسل : يأتى عليه الكلام إن شاء الله ، وفي مُوَيْسِل يقول راجز من بنى عقيل بن عامر :
ظَلَّتْ على مُوَيْسِل حَيَامِي ظَلَّتْ عليه تعلق الرماما

* * *

٢ - وقال امرؤ القيس :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
مأسل : ماء فى الهضب مجاور لتلك المواقع التى تقدم ذكرها ، وهذا الاسم يطلق على ثلاثة
مواضع فى جهة نجد الجنوبية .

أحدها : فى وسط الهضب ، وهو الذى عناه امرؤ القيس بقوله هذا .

والثانى : مأسل الجمع يقع شمالى عرض شَمَام .

والثالث : فى حِصَاة آل عُليَّان بين الركا والسوادة ، وهى التى يقال اليوم الحِصَاة : حِصَاة^(١)
آل عليان ، وحِصَاة آل حويل ، والجميع : من قحطان ؛ حِصَاة آل حويل : جبال سود ، وحِصَاة
آل عليان : جبال حمراء ، وبينهن ريعان وطرق ؛ واسمها فى الجاهلية : الحِصَاء ؛ لأن جبالها خالية
من النبات والشجر ؛ فسميت الحِصَاء لذلك ، فإن كل شئ خالٍ من النبات يقال له : أَحَصٌّ ،
وهى فى ديار بكر بن كلاب ، وفيها يقول مَعْقِل بن ربحان :

جَلَبْنَا من الحِصَاءِ كُلَّ طِمْرَةٍ مُشْدَبَةٍ فَرَجَاءٍ كالجذع جِيدُهَا
وهى التى ذكرها أخو عطاء حين رآه أخاه ، وهو مولى لبني بكر بن كلاب :

(١) الحِصَاة : هى التى فيها الوادى المشهور الذى يسمى « خيم » وفيه برّ عذبة تسمى « خيم »
وهى التى عنها جرير بقوله ، لما وفد على أمير من الأمراء فى زمن عبد الملك بن مروان فقال :

أقبلن من نهسلان أو وادى خيم على فِلاص مثل خيطان السلم
وخيم باقية بهذا الاسم إلى اليوم لم تغير . ذكرها صاحب الأغاني فى ترجمة جرير ج ٨ ص ٤١ بولاق

لَعَمْرُكَ إِنِّي إِذْ عَطَاءٌ مُجَاوِرِي لُزَارٍ عَلَى دُنْيَا مُقِيمٍ نَعِيمُهَا
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَتَنَّهُ عَلَى الْخَصَاءِ تَهْوَى ، وَأَمْسَكَتْ مَصَارِعَ حُمَى تَصْرَعْنَهُ وَمُومَهَا
فِيَا حَبِذَا الْخَصَاءَ وَالْبَرْقُ وَالْعَلَا وَرِيحَ أَنَانَا مِنْ هُنَاكَ نَسِيمُهَا
وَبَلَفَنِي أَنْ فِي جَبَلِي طَيِّبُ مَاءٍ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : مَأْسَل ، وَلِلثَّانِي مُوَيْسَل :

* * *

٣ — وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ الْبَيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيَّامٍ يَوْمٍ بِدَارَةٍ جُلْجُلٍ

دائرة جلجل الداراتُ في كلام العرب كثيرةٌ ، مضافةٌ وغيرُ مضافةٍ ، وأما دائرة جلجل التي عنها امرؤ القيس فهي باقية إلى اليوم في بطن الهضبة ، تقع في جهته الجنوبية الشرقية ، ويقال لها اليوم « دائرة جلجل » وهو الموضع الذي عنده عمرو بن الحنظل البجلي بقوله :

وَكُنَّا كَأَنَّا أَصْلَ دَارَةٍ جُلْجُلٍ مُدِلٌّ عَلَى أَشْبَالِهِ يَتَهَمُّهُمْ

وهي دائرة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم ، وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي « دائرة جلجل : من منازل حُجْر السكندى بنجد » وهذه العبارة صحيحة

* * *

٤ — وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أُسَيْلٍ ، وَتَتَّقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلٍ

وجرة : معروفة بكثرة الظباء ، وقد أطلال الكلام عليها أهلُ المعاجم ، وهي ركبة الشمالية . وأما ركبة الجنوبية فهي التي يسلكها طريقُ السيارات من شُيْرة إلى المويه ، ووجرة التي يسلكها اليوم طريقُ السيارات من عَشيرة إلى المهدي التي يقول فيها جرير :

حَيْثُ لَسْتُ غَدًا لَهْنَ بِصَاحِبٍ بِحَزِيرٍ وَجَرَةٍ إِذْ يَخْدُنَ عِجَالَا

وقال بعض العشاق :

أَرْوَاحَ نَعْمَانٍ هَلَاءَ نَسْمَةٍ سَحَرَا وَمَاءَ وَجَرَةٍ هَلَاءَ نَهْلَةٍ يَفَمِرْ

وقال أعرابي :

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحّم المقتلين ربيب
فلا نحسى أن الغريب الذي نأى ولكن من تباين عنه غريب

وقال بعض الأعراب :

أتسكى على نجد وريراً ولن ترى بعينيك ريراً ما حيت ولا نجد
ولا مشرفاً ما عشت أنقار وجرة ولا واطناً من ترهين ترى جعداً^(١)
الم تر أن الليل بقصر طوله بنجد ، وتزداد الرياح به برداً

* * *

٥ - وقال امرؤ القيس لما ذكر البرق :

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ^(٢)
قَمَدَتْ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْأَمْذِيبِ بَعْدَ مَا مَتَّامِلِ^(٣)

ضارج : جبل في بلاد بني أسد ، تغير اسمه اليوم عن هذا الاسم ، وقد اختص به بنو الصيدا
وهم بطن من بني أسد ، وقال الشاعر :

وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهى الأكَفِّ صارخاً غير أعجماً
وهذا هو الذى عناه امرؤ القيس في معلقته ، فأما ضارج الذى في البيت الثانى من قوله :
وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هُمَا وَأَنَّ بِيَاضاً مِنْ فَرَائِصَهَا دَامِي^(٤)
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ أَلْتِ عِنْدَ ضَارِجٍ بَقِيَ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضَهَا طَامِي^(٥)

(١) الأنقار : جمع نقرة ، وهى الوهدة المستديرة فى الأرض .

(٢) السنا : الضوء ، والسليط : الزيت ، والذبال : جمع ذبالة وهى الفتيلة .

(٣) بعد : بضم الباء وسكون العين على أنه فعل دال على التعجب ، وأصله بعد - يوزن كرم -
فقلت ضمة العين للباء ، وكأنه قال : ما أبعد ما تأملت ، ويرى « بعد » بفتح الباء وسكون العين
وهذه الرواية تحتل أن الأصل كما فى الرواية الأولى إلا أنه حذف ضمة العين ولم ينقلها إلى الباء ،
وتحتمل أن « بعد » ظرف ، وكأنه قال : نظرت إليه بعد أن تأملت .

(٤) البتان فى وصف حمر وحشية ، والشرية : مورد الماء ، وهما : مقصدها .

(٥) تيممت : قصدت ، والعرض : بفتح العين والهم جمعاً وبينهما راء مهملة ساكنة - الطحلب

العذيب

فهو من جبال الحجاز .

فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع : اثنان منها في جهة العراق ، وقد أكثر الشعراء من ذكرهما ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص « إذا كان يوم كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب المهجانات وعذيب القوادس ، وشرق بالناس وغرب بهم - إلخ » وهذا دليل على أن هناك عذيبين . والعذيب الثالث في بلاد عُدْرَة ، وهو الذي عناه كثير في شعره حين قال :

خَلِيلِي إِنَّ أُمَّ الْحَكِيمِ تَحَمَّلَتْ وَأَخْلَتْ بِحَيَمَاتِ الْعَذِيبِ ظِلَالَهَا
فَلَا تَسْقِيَانِي مِنْ تَهَامَةٍ بَعْدَهَا بِلَالًا ، وَإِنْ صَوَّبُ الرِّبْعُ أَسَالَهَا
وَكُنْتُمْ تَرَيْنُونِ الْبِلَادَ فَفَارَقْتُ عَشِيَّةَ بَيْتِنِمْ زَيْنَهَا وَجَاهَلَهَا
وهناك عذيب رابع بثر جاهلية قديمة يقال لها العذيب من آثار أثينية ، تقع في جنوبها عليها نخل ومزارع ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهم أهل الوشم .
وظنى أن امرأ القيس لم ينع في قصيدته إلا عذيباً قد تغير اسمه في عالية نجد ؛ لأن المواضع التي ذكرها كلها في عالية نجد !

* * *

٦ - وقال امرؤ القيس :

عَلَا قَطَنًا بِالشِّيمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذْبُلُ

علا : فعل ماضٍ نَصَبَ قَطَنًا .

وَقَطَنٌ : جبل معلوم قريب القوارة ، وهو جبل أحمر ، وعنده أكمة بيضاء يقال لها « خيمة قطن » لبياضها ، وهو في بلاد عَطَفَان ، يقع شمالاً وادى الرُّمَّةَ وغرباً أبان الأسود ، وهو لبني عبس في الجاهلية ^(١) ، قال الشاعر :

أَيْنَ أُنْتَهَى يَابْنَ صُمَيْمَاءَ السَّنَنِ لَبَسَ لَعَبْسٍ جَبَلٌ غَيْرُ قَطَنٍ

وقال شاعر من الأعراب :

سَلِّمْ عَلَى قَطَنٍ إِنْ كُنْتَ نَازِلُهُ سَلَامٌ مَنْ كَانَ يَهُوَى مَرَّةً قَطَنًا

(١) ويسكنه اليوم بنو حرب ، على اختلاف بطونهم ، وحرب : قبيلة معروفة في الجاهلية ، وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم .

أحبه والذي أُرْسِي قواعده حُبًّا إذا أعلنت آياته بَطْنًا
يَالَيْتَنَا لَا تَرِيْمُ الدهرَ ساحتَه وليته حين سرنا غربةً مَمَّنَّا
ما من غريبٍ وإن أبدى تَجَلَّدَه إلا تذكَّر عند الغربة الوطنًا
أَنْظُرْ وأنت بصيرٌ هل ترى قطنًا مِنْ رَأْسِ حَوْرَانٍ؟ مَنْ آتٍ لَنَا قَطْنَا
يَا وَنَحْمَهَا نظرةً لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ خَيْرًا ، وَلَكِنهَا مِنْ غَيْرِهِ قَمْنَا
وقال كثير عزة^(١) :

فإنَّكَ عَمْرَى هل أُرِيكَ ظلعائنا بِصَحْنِ الشَّبَا كَالْدُومِ من بطنِ تَرِيْمًا^(٢)
نظرت إليها وهي تنضو وتكتسى من القفر آلاء فما زال أفتما
وقد جعلت أشجانَ بِرُكِّ يَمِينِهَا وذاتَ الشمالِ من مُرِيْحَةٍ أَشْأَمَا
مَوْلِيَةً أيسارها قَطْنَ الحِمَى تَوَاعَدَنَ شِرْبًا من حمامة مُعْظَمًا

وهو باقٍ بهذا الاسم ، وغزوة قَطْن مشهورة ، قتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن عبد الأسد ، وذكره في المغازي كثير وفي أشعار
العرب كذلك .

والستار : جبل في حمى ضَرِيَّةَ يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضَرِيَّةَ وبين شعبي
الجليل المشهور في حمى ضَرِيَّةَ يقع في جنوب مسكة الغربي ، ويوم الستار يوم عظيم بين بكر
ابن وائل وبني تميم ، قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر بن وائل ، قَتَلَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ،
وفي ذلك يقول شاعرهم :

قَتَلْنَا قَتَادَةَ يَوْمَ السَّتَارِ وَزَيْدًا أَسْرَنَا لَدَى مُعْنَقِ
وقال جرير :

إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكَ يَا أَمِيمَ بَجِيلٍ^(٣)

(١) هي أبيات في ديوان كثير ١ / ١٦٥ وفي معجم ياقوت ٧ / ١٢٦
(٢) وقع في ياقوت « بصحن الشتا » تحريف ، وصحن الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة
وذكره ياقوت في أبيات أخرى لكثير ٥ / ٢٢٥ على الصواب .
(٣) الطب : الدأب والعادة ، وقال فروة بن مزيك :

فَمَا إِنْ طَبْنَا جِبْنَ ، وَلَكِنْ مَنَابِنَا وَدَوْلَةَ آخِرِنَا

أما القواد فليس يَنْسَى حُبَّكُمْ مادام يَهْتَفُ في الأراك هَذِبُلُ
أقيم أهلك بالسَّار وأصعدتُ بين الوريعةِ والمقادِ حُولُ

وهذا هو الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته ، وفي كتاب الأصمعي عن جزيرة العرب
« السَّار : أجْبُل سود مُنْقَادَة لبني بكر بن كلاب » والسَّار الذي ذكره الأصمعي على اسمه إلى
اليوم ، ما زال يقال له السَّار لم يتغير ، وهو قريب من الدخول وحومل ، والسَّار الأول الواقع
قريب مسكة هو الذي عناه امرؤ القيس ؛ لأنه — حين ذكره — ذكر قطناً معه ، وهو القريب
من قطن ، وذلك أقرب للصواب ، وهو باق على اسمه إلى اليوم ؟

يَذْبُل : جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم ، وموقعه في عالية نجد الجنوبية ، قال في
معجم البلدان^(١) : « قال أبو زياد : يذبُل جبل لباهلة » وهذا صواب ، وقال النابغة الجعدي
وهو مخضرم :

مَرَحْتُ وَأَطْرَافَ السَّكَلَالِيْبِ تَتَقَى فَقَدْ عَبَطَ الْمَاءَ الْحَمِيمُ وَأَسْهَلَا
فَإِنْ كُنْتَ تَلْجَأُ لِنَتَقَلَّ مَجْدَنَا لَسَبْرَةٌ فَانْقَلْ ذَا الْمَنَاكِبِ يَذْبَلَا
وإني لأرجو إن أردتَ انتقله بكفيك أن يأتى عليك ويثقلَا

أما اسم هذا الجبل فقد تغير ، ولم يعد يذكر بهذا الاسم ، وهو الذي يسمى اليوم « صبحا »
وهو واقع بين الحصاة وعرض ابني شمام ؛ وصبحا : جبل أحمر رفيع ، وتسميته صبحا تسمية
حديثة ، حدثت عند توغل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبريه ، وكان قوم من
علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى يذبُل ، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر ،
فكان فارسهم عند الطعان يقول : خَيَّال صبحا^(٢) جبلى ، ويطلق هذا الاسم على يذبُل ،
وتكرر ذلك حتى نُسِيَ اسمه الأول وصار اسمه صبحا ، وقال شاعر من العرب :

إِذَا كُنْتَ فِي الْحَصَا أَوْ فِي مَجَادَةٍ نَظَرْتُ حُدُوجَ الْحَى فِي سَفْحٍ يَذْبُلِ

والحصاء : هي المعروفة اليوم بالحصاة ، والبهادة : جبل صغير منقطع من الحصاة ، وإذا
كنت في الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مسافة قريبة ، وهي تبعد عن ثنية ابن عصام الباهلي
حاجب النعمان بن المنذر مسافة يوم ونصف يوم ، ولا يوجد في جميع المعاجم « صبحا » إلا أرض

(١) المعجم ٨ / ٥٠٢ . (٢) يريد أنا فارس صبحا الذي هو جبلى .

مسطحة ليس فيها جبال تقع شرق وادى سدير ، وقد ذكروا أنها سميت صبحا باسم رجل من العماليق يقال له « صبح » هلك ودفن فيها فسميت صبحا باسمه ، فصبحا اليوم هو الجبل المشهور في عالية نجد الجنوبية ، والذي كان يسمى بذبل فيما سبق .

٧ - وقال امرؤ القيس :

وَأُضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كَتَيْفَةٍ يَسْكُبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَتَنْبَلِ

كتيفة التى ذكرها امرؤ القيس فى هذا البيت : جبل صغير فى أعلى مُبَيْهَل ، ومبهل : وادى لبنى عبد الله من غطفان يصب فى وادى الرُّمَّة ، وهى تقع شمالى بقيعى اللهب على مسافة ساعتين وجنوبى أبان الأحمر ، على مسافة يوم ، وهى التى عنها امرؤ القيس ، وهى واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم فى جهته الشمالية الشرقية ، وكتيفة أيضا : جبل صغير بين نهلان ودَمَخ ، فى منزل بنى عمرو بن كلاب ، قال أبو جابر الكلانى :

أَيَا نَحْلَتَى وَادَى كَتَيْفَةٍ حَبْدًا ظَلَالُكَأ لَوْ كَفْتُ يَوْمًا أَنَا لَهَا
وَمَاؤُكَ الْعَذْبُ الَّذِى لَوْ شَرَبْتُهُ شَفَا لِنَفْسِي كَانَ طَالِ اعْتِلَالُهَا^(١)
مَعْنَى عَلَى طَوْلِ الْهَبَامِ غَلِيلُهُ بِذِكْرِ مِيَاهِ مَا يُنَالُ زِلَالُهَا

٨ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ مَكَائِي الْجَوَاءَ غُدِيَّةً صُبْحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُغْلَغَلِ

المسكاكى : نوع من الطير يطرب عند نزول المطر ، فتراه يصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض . فى سرعة ، وله تغريد ، وهو المعروف بأَمِ سَلَم ، واشتقاقه من المُكَاء ، وهو الصغير ، قال تعالى : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَضَرُّعًا) .

وقال الشنفرى :

وَلَا حَرْقٍ هَيِّقٍ كَانَ فُوَادُهُ يَطَّلُ بِهِ الْمُسْكَاءَ يَغْلُو وَيَسْفُلُ

والجواء : قطعة من القحيم تقع فى شماليه الغربى ، وكله واقع شمالى وادى الرُّمَّة .

(١) « كان » فى هذا البيت زائدة ، وجملة « طال اعتلالها » صفة لنفس .

والجواء : قرى ومزارع ونخيل وجبال ، وأغلب أسماء أماكمه لليوم هي الأسماء التي كانت لها في الجاهلية : فن قراء المعمورة : وُثَال ، والروض ، والعيون ، والقرى ، والشقة ، والشيخية ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى اليوم ، فأما وُثَال فقال في معجم البلدان ^(١) : هو بضم أوله ، وأطال الكلام عليه ، ثم قال « هو منزلٌ للحجاج بين البصرة ومكة » وقال « هو حصن في بلاد بني عبس بالقرب من بلاد بني أسد » وكلا القولين صحيح : أنه ينزله الحجاج ، وأنه لعبس ، قال كثير :

أرْمَى الفَجَاجَ إِذَا الفَجَاجُ تَشَابَهَتْ أَعْلَامُهَا بِمِهَامِهِ أَغْفَالِ
بِرَكَائِبٍ مِنْ بَيْنِ كُلِّ نَيْبِيَةٍ سُرُحِ الْيَدَيْنِ وَبَازِلِ شِمَالِ
إِذْ هُنَّ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ قَوَارِبِ أَعْدَادٍ عَيْنٍ مِنْ عَيُونِ أُنَالِ

وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيُّ أَخُو مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ الَّذِي قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَالِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْبَطَاحِ ، وَالْبَطَاحُ بَاقٍ إِلَى الْآنَ بِهَذَا الْاسْمِ ، مُحَذِّجٌ لِلْجَوَاءِ ، بَيْنَهُمَا وَادِي الرُّمَّةِ ، قَالَ مُتَمِّمٌ :

وَلَقَدْ قَطَعْتُ الْوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ وَأَخُو الصَّرِيحَةِ فِي الْأُمُورِ الْمُزْمِعُ
بِمُجْدَّةٍ غَنَسِي كَأَنَّ سَرَائِبَهَا فَدَنُّ تَطْيِيفٍ بِهِ النَّبِيطُ مُرْفَعُ
فَاطَتْ أُنَالٌ إِلَى الْمَلَا ، وَتَرَبَّعَتْ بِالْحَزَنِ عَازِبَةٌ أَسْنُ وَتَوَدَّعُ
حَتَّى إِذَا تَفَحَّتْ وَعُوَلَى فَوْقَهَا قَرْدٌ يَهْمُ بِهِ الْغَرَابُ الْمُوقِعُ
قَرَبَتْهَا لِلرَّحْلِ لَمَّا اعْتَدَدَنِي سَفَرُ الْهَمِّ بِهِ وَأَسْرُ الْجَمْعِ

هذا المتعلق بأُنَالٍ وذكره ، فأما الروض المجاور لأُنَالٍ فهو باقٍ على اسمه إلى اليوم ، وهو اسمه

القديم ، قال النابغة الشيباني :

خَرَجُوا إِنْ رَأَوْا مَخِيلَةَ غَيْثٍ مِنْ قُصُورٍ إِلَى رِيَاضِ أُنَالِ

قال في معجم البلدان ^(٢) : « العيون : جمع عين الماء ، وهو في مواضع ؛ ومن أشهرها عند العرب الذي على طريق مكة إذا خرجوا من واسط فينزلون في طريقهم العيون » وعيون الجواء المذكورة هي هذه التي على طريق مكة . والقرعاء التابعة للجواء . قال في معجم البلدان ^(٣) : « هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة » وذكر الخبراء عند ذكره القرعاء ، والخبراء باقية بهذا الاسم بين الجواء والقصيم ، وفي القرعاء ملازم ماء وركايا قديمة ، وكان بها وقعة بين بني دارم بن

(٣) للمعجم ٧ / ٥٥ .

(٢) للمعجم ٦ / ٢٥٩ .

(١) انظر المعجم ١ / ١٠٧ .

مالك وبنى يربوع ، وهاج بعضهم على بعض عند الماء ، والشقة تسمى اليوم بهذا الاسم ، ومنهم من يقول لها « الشقة » ومنهم من يقول لها « الشق » واسمها في الجاهلية الشقوق قال في المعجم^(١) « هو منزل في طريق مكة » وهي كما ذكر على طريق مكة . والشحبة باقية على اسمها إلى اليوم ، واسمها في الجاهلية الشَّحْبَة قال في المعجم^(٢) « بينها وبين النجاج أربع مراحل » وهذا صحيح . ثم قال « وقيل : الشحبة ببطن الرمة » وليست هي ببطن الرمة ، وإنما تقع شماليه .

أما جبال الجواء فمن : صارات ، وصارة ، وساق ، والأصابع ، والموشم ، وجميع هذه الأسماء التي كانت لها في الجاهلية باقية إلى يوم الناس هذا ، وفي صارات يقول الصمة بن الحارث الجشمي^(٣) :

ألا أبلغ بنيّ ومنّ يليهم بأن بيان ما ينفون عندي
جلبنا الخليل من تشييت إنا أنينا آل صارات فرقد
« صارة » قال في معجم^(٤) البلدان « هو جبل في ديار بني أسد » وهو كذلك ، قال لبيد ابن ربيعة العامري :

فأنجاد ذى رقد فأكناف نادى نصارة توفى فوقها فالأعابلا
وقال محمد بن عبد الله الفقعسي^(٥) :

سقى الله حياً بين صارة والحمى حتى قيد صوب المدجنات المواطر
أمين ورد الله من كان منهم إليهم ووقاهم صروف المقادير
كأننى طريف العين يوم تطالعت بنا الرمل سلاخ القلاص الضوامر
أقول لقمقام بن زيد : أما ترى سنّا البرق يبدؤ للعيون النواظر
فإن تبك للوجد الذي هيج الجوى أعنك ، وإن تصبر فاست بصائر

و « ساق » باق بهذا الاسم إلى اليوم ، وهي هضبة ملهومة شامخة إلى السماء ، وقد أكثر الشعراء من ذكره .

وقال ياقوت :^(٦) « وساق الفريد في قول الخطيئة :

(١) المعجم ٥ / ٢٨٣ . (٢) المعجم ٥ / ٣١٨ .

(٣) (٥ ، ٤ ، ٣) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

(٤) للمعجم ٥ / ١٠ .

نظرت إلى فرت ضحيا وعبرني لها من وكيف الرأس شَنَّ وواشل
إلى العير تُحْدَى بين قَوْرٍ وضارج كما زال في الصبح الأشياء الحوامل
فأتبعنهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل
وساق الجواء : موضع آخر ، وساق القروين : جبل في أرض بني أسد ، كأنه قرن غلي ،
ويقال له ساق القروين ، وأنشد الخفصى :

أقفر من خولة ساقُ فَرْوَيْنُ فالخضر فالركن من أبتانين
وساق ، والخضر ، وأبتانين : متفرعات من كان بأحدها يرى الآخر .

وأهل نجد يسمونه إلى اليوم ساق الجواء وشاهد هذا قول زهير بن أبي سلمى :
نشزنا من الدهناء يقطعن وسطها شقائق رملٍ بينهن خائل
فلما بدت ساق الجواء وصارة وفرش وحمًاواتهن القوابل
الأصابع : آكام صغار متفرقة ، وهى بهذا الاسم إلى اليوم ، فى أعلاها أحجار كالأصابع ،
وهى التى عنها حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مطلع قصيدته التى قالها فى فتح مكة حين قال :
عفت ذاتُ الأصابع فالجِواءَ إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحُصاحس قَفَرٌ تُغْفِيها الروامسُ والسماء
ويضاف إلى الأصابع مائة يقال لها اليوم « بقيعا أصبع » وتسمى فى الجاهلية بَقعاء ، قال جرير :
وقد كان فى بقاء رِىَ لسانكم وتلعة والجوفاء يجرى غدورها
وماؤها مرٌّ ، وهى لبنى عبس ، وقد تزوجت امرأة من بنى عبس فى بنى أسد ، ونَقَلها زوجها
إلى « لينة » الماء المعروف اليوم ، وماؤها عذب ، وكان زوجها الأسدَى عِنْدَ ، ففَرَّكَته ،
واجْتَوَتْ الماء ، فاختلعت منه ورجعت إلى بلادها ، وتزوجها رجل من أهل بقاء ، فقالت :

فَنَنْ يَهْدِي من ماء بقاء شربةً فَإِن له من ماء لينة أَرْبَعًا

لقد زادنى وجدًا ببقاء أننى وَجَدْتُ مطايانا بلينة ظُلْمًا

فَن مُبْلَغ تَرَبَّى بالرمل أننى بِكَيْت فلم أترك لَعَيْنِي مدمعا

وبقاء المذكورة مُسمّاة اليوم « بقيعا » وقد جَهَّزَ إليها أبو بكر رضى الله عنه جيوش المسلمين

لقتال أهل الردة ، وهى على طريق البطاح من المدينة^(١) فكانت بعد ذلك وقعة البطاح المشهورة .
الموشم : باقى هذا الاسم إلى اليوم ، وأسمه في الجاهلية « موشوم » قال عبد الله بن الصمة :
أسقى الأجارع من نجد فخص به سمد فبطن بليات موشوم
وقال جرير :

وابنى شريك شريك اللوم إذ نزلنا بالجزع أسفل من أطواء موشوم
ياقبح الله عبداً من بنى الجاهل ياوى إلى نسوة رضع مداريم
انتهينا من ذكر الجواء مفصلاً .

وأما لفظ « الجواء » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، ولكنهم يختلفون ، وسنذكر ما جاء من الصواب فى ذكره ، قال عنترة :

وتحمل عيلة بالجواء وأهلها بمئيرتين وأهلنا بالقيسم
وقال زهير بن أبى سلمى :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن بالقوام فالجساء
وكان بالجواء وقعة بين المسلمين وأهل الردة من غطفان وهوازن فى أيام أبى بكر ، فقتلهم
خالد بن الوليد شريطة ، وقال أبو شجرة :

ولو سألت مجمل غداة لقائنا كما كنت عنها سائلاً لو نأيتها
نصبت لها صدرى وقدمت مهرتى على القوم حتى عاد ورداً كميتها^(٢)
إذا هى حالت عن كمي أريده عدلت إليه صدرها فهديتها
لقيت بنى فهر إنى لقائنا غداة الجواء ، حاجة فقضيتها

* * *

(١) هى تلقاء نجد ، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة ، وانظر تحديدها وما قبل فيها من الشعر فى المعجم ١ / ٢٥١ . وقد ذكر ياقوت أن أبى بكر - رضى الله عنه - خرج إليها ، لكن الذى فى كتب التاريخ أنه إنما خرج إلى بقاء ذى القصة (كامل ابن الأثير ٢ / ١٤٣ بولاق) وهى غير هذه .

(٢) الورد - بفتح الواو وسكون الراء - الفرس الأحمر ، هنا . والكميت - بزنة التصغير - الفرس بين السواد والحمرة . يريد أن ما سأل من دماء أقرانه كثير ، حتى إنه غير لون فرسه من السمرة إلى الحمرة ، يصف نمسه بالشجاعة .

٩ — وقال امرؤ القيس :

وَمَرَّ عَلَى الْقَنْانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْمُصَمَّ مِنْ كُلِّ مُنْزَلٍ^(١)

القنّان

القنّان : جبل مشهور في بلاد بني أسد باقي بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو بما يلي بلاد بني عبد الله بن غطفان ، وهو واقع بين الجواء وسميراء ، وكان لبني قفقس قوم من قُطَاع الطريق كانوا يلجئون إلى هذا الجبل مخافة أن يفنك بهم السلطان ، قال الشاعر :

ضَمِنَ الْقَنْانُ لِقَفْقَسٍ سِوَايَها إِنْ الْقَنْانُ لِقَفْقَسٍ لِمَعْمَرٍ

١٠ — وقال امرؤ القيس :

وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ^(٢)

تيماء السموات

تيماء هذى : هي تيماء السؤال الواقعة في القطعة الشمالية من نجد ، وهي بلدة قديمة جاهلية بهذا الاسم ، ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع وطمه النبي صلى الله عليه وسلم وادى القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية ، وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم ، فلما أجلي عمر رضى الله عنه اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم ، قال الأعشى :

وَلَا عَادِيًا لَمْ يَمْعِ الْمَوْتَ مَالُهُ وَوَرَدَ بَتِيَاءَ الْيَهُودِيِّ أَبْلَقُ

وقال بعض الأعراب :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ، لَا إِلَى النَّاسِ ، أَنِي بَتِيَاءَ تِيَاءَ الْيَهُودِ غَرِيبُ

وَأَنِي بِقَهَبَابِ الرِّيحِ مُوَكَّلُ طَرُوبُ إِذَا هَبَّتْ عَلَى جَنُوبِ

وَإِنْ هَبَّ غُلُوبُ الرِّيحِ وَجَدْتَنِي كَأَنِّي لَغُلُوبِ الرِّيحِ نَسِيبُ

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروي « من كل منزل » بزنة مسجد ، ويروي الأصمعي

صدره « وألقى ببيسان مع الليل بركة » وعابها شرح الأعمى .

(٢) الأظم - بزنة العنق - الحصن أو البيت المسقف ، وجمعه أطام ، ويروي « ولا أجماء » - كصق

أيضا - وهو كالأظم وزنا ومعنى وجماء .

١١ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مُزْمَلٍ^(١)

أبان : يثنى ويفرد ، وهما جبلان عظيمان ، يقال لأحدهما وهو الشمال : أبان الأسود ، ويقال للآخر : أبان الأحمر ، وهو الجنوبي ، ويجرى وادي الرثمة بينهما ، يقال لذلك الملك « الخنق » وهما في الجاهلية لبني عبس وبني فزارة^(٢) ، وقرية النبهانية تحت أبان الأسود ، وكان بعض الأعراب يقطع الطريق فحبسه والى اليمامة ، فغن إلى وطنه ، فقال :

أَقُولُ لِبَوَائِي وَالسَّجُنُ مُغْلَقٌ وَقَدْ لَاحَ بَرَقٌ : مَا الَّذِي تَرَيَانِ ؟

فَقَالَا : نَرَى بَرَقًا يُلُوحُ ، وَمَا الَّذِي يَشُوقُكَ مِنْ بَرَقٍ يُلُوحُ يَمَانِي ؟

فَقُلْتُ : افْتَحَا لِي الْبَابَ أَنْظُرْ سَاعَةً لَعَلِّي أَرَى الْبَرَقَ الَّذِي تَرَيَانِ

فَقَالَا : أَمَرْنَا بِالْوَنَاقِ ، وَمَا لَنَا بِمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ فَيْكَ يَدَانِ

فَلَا تَحْسِبْنَا سَجَنَ الْيَمَامَةِ دَائِمًا كَمَا لَمْ يَدُمْ عَيْشُ لَنَا بِأَبَانِ

وقال بشر بن أبي خازم وقد ذكرهما بالتثنية :

أَلَا أَبَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يُزَارَوْا وَقَلْبُكَ فِي الظُّعَانِ مُسْتَعَارُ

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصَبْرًا بِالظُّعَانِ حَيْثُ صَارُوا

تَوَّمُّ بِهَا الْخِدَاءَ مِيَاهَ تَحْلِي وَفِيهَا عَنْ أَبَانِينَ ازْوَرَارُ

وأبان : هو حَدُّ الْقَرْيَةِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ مَقَاطِعَةِ الْقَصِيمِ مِمَّا يَلِي الْغَرْبَ عَلَى وَادِي الرُّثْمَةِ :

١٢ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَبِّمِ غُدُوَّةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْعُثَاءِ فَلَسَكَةٌ مِغْزَلٍ^(٣)

(١) يروى « كَانَ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَبِلَهٍ » .

(٢) قال ياقوت « أَبَانُ الْأَيْضِ ، وَأَبَانُ الْأَسْوَدِ ، فَأَبَانُ الْأَيْضِ شَرْقِي الْحَاجِرِ فِيهِ نَخْلٌ وَمَاءٌ يُقَالُ لَهُ أَكْرَةٌ ، وَهُوَ الْعِلْمُ ، لِبَنِي فَزَارَةَ وَعَبْسٍ ، وَأَبَانُ الْأَسْوَدِ جَبَلٌ لِبَنِي فَزَارَةَ خَاصَّةً ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَيْضِ مِيلَانٌ » .

(٣) الذرى : الأعلى ، واحدها ذروة ، ويروى « مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ » على أن الأغناء جمع غناء ، وقال أبو جعفر النحاس : « مِنْ رَوَاهُ مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ فَقَدْ أَخْطَأَ ، لِأَنَّ جَمْعَ الْغْنَاءِ الْأَغْنِيَةُ =

المجيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير ، جميل أسود صغير في أعلى مُبْهِل ، ومبهِل : يصبُّ في وادى الرمة ، يقع في بلاد غطفان ، ويقال له اليوم « المجيمر » قال عباد بن عوف المالكي ، ثم الأسدى :

لمن ديار عَفَتْ بالجِزَع من رَمَمٍ إلى قَصَاةٍ فَالْجَفَرُ فَالْهَدَمُ
إلى المَجْمِيرِ وَالْوَادِي إِلَى قَطْنٍ كَمَا يُخْطُ بِيَاضُ الرَّقِّ بِالْقَلَمِ

١٣ - وقال امرؤ القيس :

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاةً نُزُولَ الْبَمَا تَنِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ

صحراء الغبيط : صحراء الغبيط : معلومة في بلاد بني يَرْبُوع ، والصحراء : المستوية من الأرض ، وقال « صحراء الغبيط » لأنها منخفضة الوسط وطرفها مرتفع كالغبيط الذي هو من مراكب نساء البادية وبين قَطْن ووادى الرمة أرض يقال لها اليوم « الصحراء » وهي التي عنها شاعرٌ من بني عبس بقوله :

تَبَدَّلَتْ بؤْسًا مِنْ صُحَيْرٍ وَأَهْلِهِ وَمِنْ بُرْقِ التَّيْنِينَ نَوَطَ الْأَجَاوِلِ

وأما « صحراء الغبيط » فهي واقعة جنوبي وادى الرمة في بلاد بني يَرْبُوع ، ويوم الغبيط^(١) : من أيام العرب بين تميم وربيعة ، قال جرير :

وَلَا شَهَدْتُ يَوْمَ الْغَبِيطِ مُجَاشِعٌ وَلَا نَقْلَانَ الْخَلِيلِ مِنْ قُلَاتِي نَسِيرِ

وهذا اليوم الذي أسرف فيه عُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب اليربوعي بسطام بن قيس ففدى نفسه ثم أطلقه وجز ناصيته ، فقال الشاعر :

رَجَعَنْ بَهَانِي وَأَصْبَنْ بِشَرًّا وَبَسْطَامٌ تَعَضُّ بِمِ الْكَبُولِ

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

فَإِنْ أَمْرًا يَرْجُو الْفَلَاحَ وَقَدْ رَأَى سَوَامَا وَحَيًّا بِالْإِفَاقَةِ جَاهِلُ

غَدَاةً غَدَوْا مِنْهَا وَأَسْرَ سَرَبَهُمْ مَوَاكِبُ يُعْذَى بِالْغَبِيطِ وَحَامِلُ

= وإنما يكون أفعال جمع المقصور نحو رَحَى وأَرْحَاهُ « اه وروى « كأن قلبية المجيمر » وروى : « كأن طمية المجيمر » .

(١) انظر يوم الغبيط في ياقوت ٢٦٨/٦ واللسان (غ ب ط) وكامل ابن الأثير ٢٥٠/١ بولاق

وصحراء القبيط لا تعرف اليوم بهذا الاسم في نجد ، ولكننا إذا تتبعنا أقوال الشعراء فيها وأردنا تحديد هاتين أنها تقع بين الحامر و وادي الرمة ، وتكون من القصيم في جهة الجنوب الغربية انتهى ماورد في معلقة امرئ القيس من أسماء البقاع ، وقد وضعنا كل شيء على قدر الإمكان ونبتدىء الآن في قصائد امرئ القيس الأخرى ، وما ورد فيها من البقاع والجبال والمياه والقول ، وستوضح الذي يظهر لنا توضيحه وتحديدته في جملة .

* * *

١٤ — قال امرؤ القيس :

سَأَلْتُ بَيْنَ نَطَاجٍ فِي رَأْدِ الضَّحَى وَالْأَمْعَرَاتِ وَسَأَلْتُ الْأَوْدَاءِ

نطَاجٍ : ماء معروف إلى اليوم بهذا الاسم في بلاد عبد القيس ، لم يتغير . وهو واقع في مياه الطف بين الدُّهْنَاءِ وساحل البحر ، جميع أهل نجد يعلمون اسمه ومكانه .

والأوداء - بالمد - ماء لبني تميم الله بن ثعلبة بن عكابة ، قاله ياقوت^(١) ، وأنا لا أعلم موقع هذا الموضع اليوم .

وأود - بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة - موضع في بلاد بني تميم ، ثم لبني يربوع منهم ، بنجد في أرض الحزن . قال بعضهم :

وَأَعْرَضَ عَنِّي فَعَنْبٌ فَكَأَنَّمَا يَرَى أَهْلُ أَوْدَ مِنْ ضِدَاءٍ وَسَلَمَاءٍ

وقال ابن مقبل :

لِلْمَازِنِيَّةِ مُصْطَافٍ وَمُرْتَبَعٍ مِمَّا رَأَتْ أَوْدُ فَلَمِيقْرَاءُ فَاجْرَعُ^(٢)

وقال آخر :

كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ بِكَّرَ أَطَاعَ لَهَا مِنْ حَوْمَلٍ تَلَمَّتْ الْجَوُّ أَوْ أَوْدًا

ولا أعلم لهذا الاسم أيضا ذكر في بلاد العرب اليوم ، ولكن الذي يظهر لي أن «أود» واقع في شرق اليمامة ، وأن اسمه قد تغير ، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه في عالية نجد .

فأما قول امرئ القيس في بيته « وسالت الأوداء » فالذي يظهر لي أن الأوداء : ماء بنى تميم يقع شرق اليمامة ، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم . وأنت ترى ابن مقبل قد ذكر «أود» وقرّنه بالميقرة ، وكذلك ترى صاحب البيت الذي بعده قرّنه بحومل ، والمقرة وحومل في عالية نجد الجنوبية ، ولا شك أن «أود» قريب منهن ، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم .

(١) المعجم ٣٦٨/١ (٢) رأيت ، ههنا : أى قابلت .

١٥ — وقال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِقُضَيِّ لُبَانَاتُ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ
قال :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَمَائِنٍ سَوَالِكٍ نَقَبًا بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِبِ
النَّقَبُ : يطلق على كل ثنية سلكت أو لم تسلك .

شَعْبَعِبِ : موضع باليمامة بين وادي نساح ووادي الحائر ليني قشير ، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم منه شيء ، وقد قال الصمة بن عبد الله القشيري يذكر شعبعب وهو بالسند ، وهي قصيدة طويلة قال فيها :

طَوَالِعَ الْخَلِيلُ مِنْ تِبْرَاكَ مَصْعَدَةً كَمَا تَتَابَعُ قَيْدَانُ مِنَ الشُّمَنِ
يَالَيْتَ شِعْرَى وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالْعَيْنُ تَذَرِفُ أَحْيَانًا مِنَ الْحَزَنِ
هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلْخَدِّ مَرْقَقَةً عَلَى شَعْبَعِبِ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْمَطَنِ ^(١)

وتبرك الذي ذكره في هذه الأبيات : يقع من المواضع التي ذكرنا أن شعبعب يقع عندها في شمالها الغربي ، ، بينها وبينه كثيب جو اليمامة على مسافة يوم ونصف للإبل التي تحمل الأثقال وهناك موضع بين وادي نساح ووادي الحائر يقال له « الحويض » اليوم ، ويمكن أن يكون هو الحوض الذي قرنه الصمة بن عبد الله بشعبعب ، ويكون شعبعب قد تغير اسمه ، ولكنه في تلك الناحية التي فيها تبرك والحويض ؛ بدليل أنهما قرنا به .

١٦ — وقال امرؤ القيس :

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشْتَ وَأُنَائِي مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَارِعٌ بَطْنُ نَحْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

يعلم القارئ أن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام إذا تفرقت من مئى نزلت الْمُحَصَّبِ ، وطرفه الذى إلى مكة في طرف جبل الخدمة الشرقى الذى أمام بيت سمو الأمير فيصل ، وتسميه العرب « الْمُنْحَنَى » لانحناء الطريق عنده إلى مئى ، وطرفه الثانى على حدود مئى ، وكانت العرب تجتمع فيه يوم النفر من مئى ، وتبيت هناك حتى تنتهى من مناسك حجها وغيره ،

(١) قد عثرنا على بئر في تلك الناحية قرب العقبة التي يقال لها « أبو القد » يقال لتلك البئر : « العطينة » ولا شك أنها هي التي يقول فيها الشاعر « بين الحوض والمطن » لأنها مجاورة لتلك المواضع

ثم ينصرفون إلى أوطانهم ، قال كثير عزة :

فلما قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
وَجَدْتُهَا هَا وَجَدَ الْمُضِلُّ رِكَابَهُ بِمَكَّةَ وَالرَّكَبَانُ غَادٍ وَرَافِعُ

فالذهابة من الإبل لا يظفر بها صاحبها إذا تفرق الناس .

ومن قال : إن المحصب في منى واستدل لما ذهب إليه بقول عمر بن أبي ربيعة :

نظرتُ إليها في المَحْصَبِ مِنْ مِثْنِي وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمُ

فقد أخطأ الفهم ، ولم يفرق بين اسم المكان المعين ، واسم المكان الذي يراد به المعنى الاشتقاق

المحصب

أما المحصب الذي ذكره امرؤ القيس فهو الواقع بين منى ومكة ، ويسمى المحصب إلى اليوم ،
وأما الذي ذكره عمر بن أبي ربيعة فهو لم يقصد مكانا بعينه ، وإنما هو رجل رأى معشوقته ترمى
الجار ، والعرب تسمى الجار والحجارة الصغار : الحَصَبَاءُ ، فإذا رمى أحدُ بالحجارة الصغار قالوا :
حَصَبَ بالحجارة ، فالحَصَبُ في كلامه اسمُ مكان مشتق من التحصيب أى رمى الحصباء ، وكأنه
قال : نظرتُ إليها في المكان الذي ترمى فيه الجار من منى ،

بطن نخلة

بطن نخلة في الطريق السالك إلى نجد ، وهما نخلتان : نخلة اليمانية ، ونخلة الشامية .

أما نخلة اليمانية فتبتدىء من الزَيْمَةِ وتنتهى على حد بهيتة .

وأما نخلة الشامية فتبتدىء من عين المضيق ، وتنتهى في أرض واسعة يقال لها مكة ، وسيول
نخلة اليمانية أعلاها من وادى قرن ، وتجتمع جميع الأودية في ذلك الوادي وتصب فيه ، وتأتى
عن طريق بطن نخلة اليمانية ، وسيول نخلة الشامية تأتى من أودية الضريبة ، وتسلك بطن نخلة
الشامية ، وسيول الواديين تجتمع في بستان ابن عاصم ، هذا اسمه القديم ، وهو اليوم موقع عين
الجديدة ، وإذا اجتمعما سلكا وادى مَر ، المسمى اليوم وادي فاطمة ، حتى يصب في البحر الأحمر ،
قال جرير :

كَمْ دُونَ مِيقَةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قُدْفٍ وَمِنْ بِلَادِهَا أَسْتَوْدَعُ الْعَيْسُ
حَتَّى إِلَى نَخْلَةِ الْقُصَوَى فَقُلْتُ لَهَا بَسْلُ حَرَامِ الْأَتْلُكَ الدَّهَارِيسُ
أُمِّي شَامِيَّةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نَوَدُّهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شَوْسُ

وقال كثير عزة في نخلة الشامية :

حلفتُ بِرَبِّ الْمَوْضِعَيْنِ عَشِيَّةً وَغِيْطَانُ فَلَنْجِ دُونَهُمِ وَالشَّقَاتُ

يَحْتُونُ صَبَحَ الْحَرِّ خُوصًا كَأَنَّهُمَا
لَقَدْ لَقِيتُنَا أُمُّ عَيْرٍ بِصَادِقٍ
وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُطْبُونُ بَيْتَهُ
وَرَبَّ قَلَاصِ الْخُوصِ تَذْمِيْ أَنْوَقَهَا
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الْأَرْضَ مَا بَسْتَفِرُّنِي

وَفِي بَطْنِ نَخْلَةٍ يَوْمَ مِنْ أَيَّامِ النَّجَّارِ بَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ وَقَرِيْشٍ ، وَفِيهِ انْهَزَمَتْ قَرِيْشٌ حَتَّى دَخَلَتْ الْحَرَمَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ زُهَيْرٍ ، هَكَذَا قَالُوا ، وَهُوَ خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ شَاعِرٌ مِنْ هَوَازِنَ :

يَا شَدَّةُ مَا شَدَّدَنَ غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِيْنَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ^(١) فِي السِّكْلَامِ عَلَى نَخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ : وَادٍ يَصُبُّ فِيهِ يَدْعَانُ ، وَبِهِ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِهِ عَسْكَرَتُ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ . وَبِدْعَانُ لَمْ يَتَغَيَّرْ اسْمُهُ إِلَى الْيَوْمِ إِلَّا أَنَّ جَمِيعَ أَهْلَ الْحِجَازِ وَتَجِدُوا أَبْدَلُوا يَاءَهُ جِيمًا فَقَالُوا « جَدْعَانُ » ^(٢)

وَنَخْلَةُ الْيَمَانِيَّةِ الَّتِي طَرِيقُهَا عَلَى قَرْنِ الْمَنَازِلِ هِيَ مَسَلِكُ حِجَابِ أَهْلِ نَجْدٍ فِي الْجَنُوبِ ، وَأَخْصُ مِنْ نَجْدِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ ، وَالْحِصَاءُ وَعُمَانُ وَالْبَحْرُ .

فَأَمَّا نَخْلَةُ الشَّامِيَّةِ النَّافِذَةُ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ فَيَسْلُكُهَا حَاجُّ الْعِرَاقِ وَحَاجُّ الْقَسَمِ الشَّامِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، وَسُكَّانُ أَهْلِ نَخْلَتَيْنِ هُمَا : هَذَيْلٌ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

وَكَبْكَبُ : هُوَ الْجَبَلُ الْمَطْلُ عَلَى عِرْفَةٍ ، مِنْ جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَنَجْدُهُ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ الْمَحِيطَةُ بِهِ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جَوْيَّةَ الْهَدَلِيُّ ، وَهُوَ مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ :

كَيْدُوا جَمِيعًا بِأَنَاسٍ كَأَنَّهُمْ أَفْنَادُ كَبْكَبِ ذَاتِ الشَّثِّ وَالْخَزَمِ

الْأَفْنَادُ : جَمْعُ فَنْدٍ - بِالْكَسْرِ - وَهُوَ الشَّعْرَانُ مِنْ شَمَارِيخِ الْجَبَلِ ، وَالشَّثُّ وَالْخَزَمُ : مِنْ نَبَاتِ أَرْضِ الْحِجَازِ .

وَالْحَصْبُ وَنَخْلَةُ وَكَبْكَبُ كَلِمَاتُ بَاقِيَةِ هَذَا الْاسْمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا

(١) المعجم ٨ / ٢٧٥ .

(٢) وَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَجِيبٍ ، بَلْ إِنَّ فِي لُغَةِ أَسْلَافِهِمُ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَحْتَجُّ بِكَلَامِهِمْ إِبْدَالَ الْجِيمِ يَاءً ، فَقَدْ قَالُوا فِي شَجَرَةٍ وَشَجَرَاتٍ : شَيْرةٌ وَشَيْرَاتٌ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا جَنَى فَأُبْعِدْكَنِ اللَّهُ مِنْ شَيْرَاتِ

١٧ - وقال امرؤ القيس :

مُجْفَرَةٌ حَرْفٍ كَأَنَّ قَتَوَدَهَا عَلَى أُنْبَلَى السَّكَّاحِينَ لَيْسَ بِمُغْرِبٍ
أَقْبَ رَبَائِعٍ مِنْ حَمِيرٍ عَمَائَةٍ يَمِجُّ لِمَاعُ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ
عَظِيمٍ طَوِيلٍ مُطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ بِأَسْفَلِ ذِي مَأْوَانَ سَرَحَةٍ مَرْقَبٍ

قد اختلف أهل المعاجم والأخبار في ذكر الجبال والمياه ، وقد ذكرت طرفاً من ذلك في أول كتابنا هذا ، وقد اختلفوا في عماية ؛ منهم من قال : إنها بالبحرين ، ومنهم من قال : إنها في عالية نجد في سواد باهلة ، والروايتان كلتاهما بجانب للصواب ، فعماية وعلية جبلان عظيمان في عارض اليمامة .

أما عليه فهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم ، وذكرها صاحب المعجم بهذا الاسم .
وعماية وحدها جبل ذو هضبات متقاربة كان ذؤبان العرب في الزمن القديم يأوون إليها ، فإذا دخل أحدهم عماية عمى خبره ، ومسالكها منيعة ، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى ، فمن هنا سميت عماية ، وقد زال اسمها اليوم ولم يبق منه شيء ، وهي ثلثي وتفرد ، قال جرير في ثنيتها :

لَوْ أَنَّ عُضْمَ عَمَائَتَيْنِ وَيَذْبُلُ سَمِعْتُ حَدِيثَكَ أَنْزَلَ الْأَوْعَالَ

وأفردها جرير في قوله لما توعدته الحجاج ودخلها :

وَخِفْتُكَ حَتَّى اسْتَنْزَلْتَنِي تَحْفَاتِي وَقَدْ خَالَ دُونِي مِنْ عَمَائَةٍ نَبِيقُ
يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءُ كُلُّ مَنَافِي كَمَا كُلُّ ذِي دِينَ عَلَيْكَ شَفِيقُ

وقال القتال الكلابي واسمه عبد الله بن مجيب ، وكان كثير القتل والفتك بالناس ، فهرب

ودخل عماية :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِهِ عَمَائَةَ عَنَّا أُمَّ كُلِّ طَرِيدٍ
فَلَا يَزِدْهَا الْقَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا وَإِنْ أُرْسِلَ السُّلْطَانُ كُلُّ بَرِيدٍ
حَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عِيْطَاءٍ عَيْطَلُ وَكُلُّ صَفَا جَمِّ الْفِلَاتِ كَوْوِدِ

وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وكذلك أهل الأخبار ، وهي جبل في عارض اليمامة الواقعة عن وادي بريك جنوباً ، يقسمها وادي برك قسمين : ما كان بين بريك وبرك يقال له : عماية ، وكذلك الذي بين برك والأفلاج يقال له : عماية ، فسميت عمائتين ، أخذت هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن في بلد الحوطة الواقعة في وادي برك .

وأما ماوان فقد غلط فيه أناس كثير، قال حسن السندوبى عن ابن الكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة ، وكانت فيه مساكن عيسى بن أبانين والنقرة وماوان والربذة ، وفيه يقول عروة بن الورد العبسى :

وقلت لقوى فى الكنيف تَرَوُّوْهُوا عشيّة بقنا دون ماوان رُزِحَ
تَنَالُوا الفنى أو تَبْلُغُوا بُنْفُوسِيَّكُمْ إلى مُسْتَرَحٍ من حمام مبرح
ومن يك مثلى ذا عيال ومُقْتَرًا من المال يَطْرَحُ نفسه كلَّ مَطْرَحٍ
ليُبلِّغَ عُدْرًا أو يَنال رَغِيبةً ومُبلِّغُ نفسٍ عُدْرَهَا مثلُ مُنْبِشِ

ولقد أخطأ فى بعض ذلك وأصاب فى بعض : أخطأ فى استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرئ القيس ؛ لأن ماوان الذى عناه امرؤ القيس غير « ماوان » المذكور فى هذه القصيدة ، وأصاب فى ذكر ماوان ، أما « ماوان » الذى ذكره عروة بن الورد فإني أعرفه وأعرف الذى ذكره امرؤ القيس مثله أعرف منازل بيتي ، والذي أعرف أنه جبل واقع بين بلاد بنى عبس وبلاد بنى أسد ، ويقال له « ماوان » إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض ، ليس بالكبير ، عنده ماء يقال لها : الماوية ، أضيفت إلى هذا الجبل ، تقع شمالاً بلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم ، وتقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل .

وأما « ماوان » الذى ذكره امرؤ القيس فهو وادٍ عظيم فى وسط عالية الجبل المشهور فى عارض اليمامة ، وهو من أمنع جبال نجد ، وما يجرى على لسان العامة إذا كان على أحد جُرمٍ والتجأ إلى بعض الرؤساء وعزم على حمايته قال له « كأنك فى رأس عالية » وهى واقعة بين بريك ونساح ، وفى ماوان قصور ومزارع ، وفى كلام أهل نجد مما يجرى مجرى المثل « لعل ماوان يكفى أهله » وسيؤله مع سيول عالية تنصبُّ إلى جهة الخرج ، ووادى بريك يحده العلية جنوباً ، ونساح يحدها شمالاً ، ومن قرأه المعمورة : الحريق ، والمفيجر ، ونعام .

قال شاعر من بنى عقيل :

فما يَخْفَى عَلَى طريقِ بَرِكٍ وإن صَعَّدْتَ فى وادى نعام

وهو لبني هَزَّان فى الجاهلية ، وفيه بقايا منهم إلى هذا اليوم ، قال شاعر جاهلى من بنى جُشم :

أنتك هَزَّانُكَ من نعامها ومن عليّة ومن آكامها

وفى بريك - غير الحريق والمفيجر ونعام - قسم من قرى الحوطة المعمورة .

وأما « برك » فهو أعظم من بريك ، وهو من أكبر أودية عارض اليمامة ، وغلط فيه كثير

من أهل المعاجم ، قال ياقوت لما ذكر « بَرَكَ الغماد » ، وذكر « برك » بغير إضافة ، وقال : هو ناحية باليمن ، وقال^(١) في عبارته « و برك أيضا ماء لبنى عقيل بنجد » هذا كلام ياقوت . قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم^(٢) « برك ونعام : موضعان في أطراف اليمن » وهذا خطأ . و برك ينصب من الغرب إلى جهة الشرق في جنوبى وادى بريك ، وفيه قسم عظيم من قري ، الحوطة حوطة بنى تميم ، وفيه مدينتهم وفيه : الخلوة ، والقويح ، والعطيان ، وقرى كثيرة . لانهضرنى أسماؤها ساعة كتابة هذا .

وفى برك و بريك من النخيل والمزارع والآبار شىء لا يحصىه إلا الله ، وقد سئل رجل من أهل الحوطة : كم فيها من بنى تميم ؟ ولم سكانها ؟ فقال : فيها أربعة آلاف بئر كل بئر فيها أربعة نفر من الموالى للأعمال ليسوا من بنى تميم ، فعدد العُمَال ستة عشر ألف نفر غير سكانها وغير أهلها التميميين ، وسيول الأودية تنصب إلى بلد الخرج . و برك هذا هو الذى عناه أوس بن حجر فى قوله^(٣) :

تَنَكَّرَ بَعْدَى مِنْ أَمِيعةَ صَائِفُ فَبِرْكَ فَاعْلَى تَوَّابُ فَاَلْمَخَافُ
فَبَطْنُ السَّلَى فَالسَّخَالُ تَعَذَّرَتْ فَمَقَلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِفُ
فَقَوَّ قَرَهْنِي فَالسَّلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عَوْدُ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ

قد ذكر فى ثلاثة الأبيات هذه مواضع باقية على أسمائها إلى يومنا هذا : برك هو الوادى المشهور ، بطن السلى : موضع يقال له السلى بينه وبين الرياض أقل من نصف يوم ، وهو فى جهته الشرقية ، ولا يزال باقياً بهذا الاسم ، ومَقَلَةٌ : ملازم ماء فى أدنى الصَّمان يقال له اليوم «مقلى» والسَّليل : بلد عظيم معمور فى أسفل وادى الدواسر . وأما رَهْنِي وعاذِب ومطار وواحف فلها ذكر فى الأشعار القديمة ، وأغلبها ملازم ماء فى جهة الصَّمان .

* * *

١٨ — وقال امرؤ القيس فى وصف قَرَسِه :
وَأَسْتَحِمُّ رِيَّانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عَثَا كَيْلُ قِنُوٍ مِنْ سُمِيحةَ مُرْطِبِ

-
- (١) انظر معجم البلدان ٢ / ١٥٠ ، ١٥١ و برك فى هذه العبارة بكسر الباء .
(٢) انظر معجم ما استعجم ١ / ٢٤٤ وفيه ذكر برك ونعام أنهما بأطراف اليمن .
(٣) ثلاثة الأبيات فى معجم ما استعجم (١ / ٢٤٤) وذكر أن المواضع التى ذكرت فيها من بلاد بنى تميم .

سميحة

سميحة : بئر قديمة في المدينة عليها نخل ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال كثير^(١) :

كَانَ دُمُوعُ الْعَيْنِ لَمَّا تَحَنَّنَتْ نَحَارِمَ بَيْضًا مِنْ تَمَنَّى جَاهِلَهَا
قَبْلَ أَنْ غُرُوبًا مِنْ سَمِيحَةٍ انْزَعَتْ بَيْنَ السَّوَانِي وَاسْتَدَارَ تَحَالَهَا

وقد أجابه علقمة بن عبدة التميمي على هذه القصيدة ، وهو رجل جاهلي ، وكلته مذكورة في ديوان امرئ القيس ، وقد عزمنا إن وجدنا بها شيئاً من المواضع أن نورد في كتابنا هذا .

* * *

١ — قال علقمة بن عبدة :

لِيَاكِي لَا تَبْلِي نَصِيحَةً بَيْنَنَا لِيَاكِي حَلُّوا فِي السَّتَارِ فَرُّبِ

أما الستار : فقد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس^(٢) . وأما غرب فهو اسم مشترك يقع على مواضع كثيرة في بلاد العرب ، والذي عناه الشاعر أقرب ما يكون لبلاد نعيم واقع بين حقل وجران ، وهي خمس أكمات صفار سود ، ووصفت بالسواد نسبة إلى سواد الغراب ؛ فسميت غرب ، وهي على اسمها إلى اليوم ، وقال مالك بن الرِّيب المازني :

عَلَى دِمَاءِ الْبُذْنِ إِنْ لَمْ تَفَارِقِ أَبَا حَرْدَبَ يَوْمًا وَأَصْحَابَ حَرْدَبِ
سَرَتْ فِي دُجَى لَيْلٍ فَأَصْبَحَ دُونَهَا مَفَاوِزُ جِرَانِ الشَّرِيفِ فَرُّبِ
تَطَالَعُ مِنْ وَادِي الْكَلَابِ كَأَنَّهَا وَقَدْ أَنْجَدَتْ مِنْهُ فَرِيدَةُ رَرِّبِ

أما وادي الكلاب الذي ذكره مالك فسنبينه إن شاء الله في موضعه .
وأما جران الذي ذكرت عنده غرب في أبيات مالك بن الريب فهو جبل صغير أسود مرتفع يقع بين غرب وجبل ، وجران باقي باسمه الأول إلى يومنا هذا .

وقد أكثر الشعراء من ذكر جران ، قال ربيعة بن مقروم :

أَمِنْ آلِ هَنْدٍ عَرَفْتَ الرُّسُومَا بِجِرَانِ قَفَرًا أَبَتْ أَنْ تَرِيَمَا
وَكَانَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ فِي وَادِي النَّشَاشِ الَّذِي يَقَعُ غَرْبِي جِرَانِ عَلَى مَسَافَةِ نِصْفِ يَوْمٍ ،
وَالنَّشَاشُ : أَسْمٌ جَاهِلِيٌّ وَهُوَ بَاقِي بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَيَوْمُ النَّشَاشِ كَانَ بَيْنَ بَنِي عَقِيلِ
وَبَنِي حَنْفِيَةَ ، فَرَّتْ حَنْفِيَةُ بِجِرَانِ وَهِيَ مِنْهَزِمَةٌ فَقَالَ شَاعِرُ بَنِي عَقِيلِ :
وَلَوْ سَلَّيْتُ عَنْهَا حَنْفِيَةَ أَخْبَرْتُ بِمَا لَقِيتُ مِنْهَا بِجِرَانِ صَيْدُهَا

(١) البيتان في معجم البلدان ٥ / ١٣٤ وديوان كثير ١ / ٢٤١

(٢) انظره في ص ٢٣ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٦

الستار
وغرب

وحقيل المذكور : هو جبل ^(١) أشقر منقطع من جبال السريقال له اليوم « حقيل » أيضاً فهو باق على اسمه الجاهلي ، وفيه يقول الراعي :

جَمُّوا قُوَى مِمَّا نَضُمُّ رَحَالِمُ شَتَّى النَّجَارِ تَرَى بَيْنَ وَصُولَا
فَسَقُوا صَوَادَى يَسْمَعُونَ عَشِيَّةَ لِمَاءِ فِي أَجَوَاهِنِ صَالِحِيلاً
حَتَّى إِذَا بَرَدَ السَّجَالُ لَهَا تَهَا وَجَعَلْنَ خَلْفَ عُرُوضِهِنَّ تَمِيلَا
وَأَفْضَنَ بَمَدٍ كَظُومِهِنَّ بِحَرَّةٍ مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلَا ^(٢)

* * *

٢ - قال علقمة بن عبدة :

وَمَا أَنْتَ أُمَّ مَا ذِكْرُهَا رَبِّيَّةٌ تَحِلُّ بِإِيرَ أَوْ بِأَكْنَفٍ شُرْبُ

إير : هو جبل في بلاد غطفان ، وله ذكر في أشعار العرب ، وبه وقعة ، قال الشماخ ^(٣) :

عَلَى أَصْلَابِ أَخَقَبَ أَخْدَرِيٍّ مِنَ اللَّاتِي تَضَمَّنَهُنَّ إِيرُ

وإير : يسمى الآن عيرا ، وعير : جبل في بلاد غطفان في أعلاها شمالي وادي الرمة ، وقال

زهير بن أبي سلمى ، وهو من سكان تلك الناحية وشعرائها :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي سَبِيعٍ وَأَيَّامُ النَّوَابِ قَدْ تَدَوَّرُ
فَإِنْ تَنَكُّ صِرْمَةٌ أَخَذَتْ جِهَارًا لَفَرَسُ النَّخْلِ أَرْزَهُ الشَّكِيرُ ^(٤)

فَإِنْ لَكُمْ مَا قَطَّ عَاسِيَاتٍ كَيَوْمِ أَضَرَ بِالرُّؤَسَاءِ إِيرُ

وأما شُرْبُ فلم أجده في ذكر آ في هذا العصر ، ولكن بقرب الطائف وادياً يقال له شُرْبُ ينصب سيله إلى عكاظ ، وفيه حدثت وقعة الفجار العظمى ، وفي هذا اليوم قيَّدَ حربٌ وسفيانٌ وأبوسفيان أبناء أمية أنفسهم كيلاً يفروا ، فسموا القنابس ، وحضر هذه الوقعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل ، قال ابن هزّمة :

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٣ / ٣٥٧) أن حقيلاً واد في ديار بني عكل بين جبال من الحلة وأنشد عليه أبيات الراعي هذه ، ونحن نتكلم عن عيان ومشاهدة ، وما رآه كمن سمعا .

(٢) في ياقوت عن ثعلب أن ذا الأبارق وحقيلاً اسمان لموضع واحد ، وأطال في تخریج هذا البيت (٣) البيت في معجم البلدان ١ / ٣٨٨ وفي ديوان الشماخ ٣٥ « عَلَى أَصْلَابِ جَابِ أَخْدَرِيٍّ » والجواب : حمار الوحش ، والأخدرى : الأسود .

(٤) الأبيات في المعجم ١ / ٣٨٨ وديوان زهير ٣٣٧ ، ووقع في ياقوت « أَرْزَهُ الشَّكِيرُ » وأثبتنا ما في الديوان .

عهدي بهم وسراب البيض منصدع عنهم وقد نزلوا ذا لُجَّةٍ صَخْبًا
 مُشْمَرًا بارز الساقين منكمنا كأنه خاف من أعدائه طلبًا
 وقد رموا بهضاب الحزن ذائسٍ وخلفوا بعد من أيمانهم شربًا
 وثمة موضع آخر يقال له شرب بكسر الشين وسكون الراء وفيه يقول ابن مقبل :
 قد فرَّق الدهر بين الحى بالظن وبين أئناء شرب يوم ذى بقن
 تفريق غير اجتماع ما مَثَى رجل كما تفرق بين الشام واليمن
 وشرب الذى ذكره علقمة : هو - فيما ذكر ياقوت^(١) - وادٍ فى ديار بنى سليم ، وفيه يقول
 أروطة بن سهيم :

أجليت أهل البرك من أوطانهم واتخس من شعبي وأهل الشرب
 ولست أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الشرب ، إلا أن يكون نائياً عما لم نخط به علماء .

* * *

٣ - وقال علقمة :

فقاءت كما فاءت من الأدم مُغزَلٌ بيمشة ترعى فى أراكٍ وحلب
 بيمشة : يأتى الكلام عليها إن شاء الله فى معلقة ليلى .

* * *

٤ - وقال علقمة :

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت عنا كليل فنور من سميحة مُرطب
 سميحة : تقدم عليها الكلام فى قصيدة امرئ القيس^(٢)
 انتهت قصيدة علقمة بن عبدة النحل .

١٩ - قال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أرانا موضعين لأمر غيب ونُسحر بالطعام وبالشراب
 إلى أن قال :
 وقد طوّفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب
 إلى أن قال :

(١) المعجم ٥ / ٢٤٨ .

(٢) انظر ص ٤٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ١٨ .

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجَيْرِ ذِي الْقَبَابِ
وَأَعْلَمَ أَنِّي عَمًّا قَائِلٍ سَأَنْشِبُ فِي شَبَا ظَفَرُ وَنَابِ
كَمَا لَأَقَى أَبِي حُجَيْرٍ وَجَدِّي وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِأَلْـكُلَابِ

قد اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم في موضع وادي الكلاب ؛ قال صاحب معجم البلدان ^(١) « قال أبو زياد : الكلاب : واد يسلك بين ظهري نَهْلَان ، وَنَهْلَان : جبل في بلاد بني نَمِير » اهـ . والمسكان الذي يقارب اسمه هذا الاسم وإذ يقال له اليوم « وادي الكلبة » وهو واقع بين نهلان وبحيرة ، ينصب سَيْلُهُ في وادي الشعراء ، وتحفه سيولها بجبل نهلان من جهته الشرقية ، ويتفرع سيله من حُدْنَة ، وحُدْنَة : جبل أسود صغير رفيع يقع في جهة مطلع الشمس من بلد الشعراء على مسافة ساعة ونصف ساعة بالسير على الأقدام ، ويليه هضبات حرة في جهته الشرقية يقال لها اليوم بحيرة ، وحُدْنَة يقال لها اليوم : الحُدَى ، وكلا الجبلين حُدْنَة وبحيرة باقيان بهذا الاسم من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، قال محرز بن السكبر الضبي :

دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَّحَهُمْ ضَرْبٌ تَصَيَّحُ مِنْهُ حَلَّةُ الْهَامِ
ظَلَّتْ ضَبَاعُ مَجْرَاتٍ يَلْدُنَ بِهِمْ وَالْمَوْهَنْ مَسْمُومٌ أَيْ الْهَامِ
حَتَّى حُدْنَة لَمْ تَتْرِكْ بِهَا ضَبْعًا إِلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شُلُوِّ مِقْدَامِ

أما وادي الكلاب فأغلب الظن أن اسمه في العصر القديم قبل أيام الكلاب شيء غير هذا الاسم ، وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التي وقعت بين العرب وكانت به ، وأنهم إنما سموه بذلك لما لقوا فيه من التكالب والشر ، والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك « وادي قحطح » ووادي قحطح باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم .

ومما يؤيد هذا أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القُرَيْمِ فارسَ بَسْكَرِ بْنِ وَائِلٍ قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حُشَيْشُ بْنُ نَمْرَانَ ، وقد قال الشاعر :

وَنَحْنُ تَرْكُنَا ابْنَ الْقُرَيْمِ بِقَحْطَحٍ صَرِيحًا مَكْبًا لِلْيَسِيدِ وَلِلْفَمِ

فإذا قرأت هذا البيت بما ذكره في أخبارهم تبين لك أن وادي الكلاب الذي كانت الوقائع به هو وادي قحطح ، وهذا الاسم باقٍ إلى يومنا هذا ، وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر في وادي الكلاب إنما حقيقته أنه في وادي قحطح .

ويدل لذلك أيضا أنهم قالوا : إنه يبعد عن طرفِ سهلان الجنوبي مسافةَ يوم أو أقل ، وأن سيل وادى الكلاب يصب في وادى السرة ثم يندفع إلى وادى الركي ، ووادى قحح هو الذى ينطبق عليه هذا التحديد ، قال لبيد بن ربيعة :

لاقى الكلاب البديى فاعتلجا سيل أنهما لمن غلبا
فدعدعا سرة الركاء كما ددع ساقى الأعاجم الغربا

وجه ثالث يؤيد ما ذهبنا إليه ، وذلك أنهم ذكروا أن وادى الكلاب تقاطل العرب فيه وهم يشربون ماء العويند ، والعويند باق إلى اليوم بهذا الاسم ، وهو ماء كثير الجم يقع بين كَثيبين ، وأهل قحح اليوم فاطنون على ماء العويند وهم يرعون إبلهم في وادى قحح . هذا ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان العويند ، وذكر العويند الذى بأرض اليمامة ، وكلا المائين لم تتغير أسماؤهما إلى يومنا هذا .

يوم الكلاب الأول أما وادى الكلاب فكانت به وقعتان في الجاهلية : الواقعة الأولى ^(١) بين شرحبيل بن الحارث الكندى وأخيه سلمة بن الحارث الكندى ، ومع شرحبيل من قبائل العرب : ضبة ، والرباب كلها ، وبنو يربوع ، وبكر بن وائل ، ومع سلمة من قبائل العرب : تغلب ، والنمر ، وبهراء ، ومن تبعهم من بنى مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير ، وإنما كان افتراق القبيلتين بكر بن وائل وتغلب لمدواة قديمة كانت بينهم ، فدارت معركة كبيرة بين الفريقين ، وانتهت بقتل شرحبيل بن الحارث الكندى ، وانهمزم أصحابه ، قتله عَصِم بن النعمان بن مالك الجشمى ، وانتهى إلى عصيم أن سلمة بن الحارث يسأل عنه ليكافئه عن قتل أخيه شرحبيل ، ففطن عصيم إلى أنه إنما يريد قتله ، فهرب ، وعصيم هذا يدعى أبا حنش ، فلما بلغ سلمة أنه هرب قال :

ألا أبلغ أبا حنّس رسولاً فما لك لا نجىء إلى الثواب
أعلم أن خير الناس طراً قتيلٌ بين أحجار الكلاب
نداعت حوله جُشْمُ بن بكر وأسلمه جعاسيسُ الرباب
ويروى أن أبا حنش أجابه بقوله :

أحاذر أن أجيتك ثم تحبو حباء أبيك يوم ضَبَبَات
وكانت غدرة شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممات

(١) انظر في يوم الكلاب الأول تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٢٦ وما بعدها .

وقال جابر بن حنّى التغلبى والعرب تعبّر تغلب بالنصارى :

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماحُ نصارى لا تخوض إلى الدم
فيوم السكّلاب قد أزلت رماحنا شرّ حبيّل إذ آلى أليّة مُقسِم
لينزعنا أرماعنا فأزاله أبو حنّس عن ظهر شقاء صليد
وفى قتل عصيم بن النعمان لشرحبيّل يقول الأخطل وهو يخاطب جريرا :
أبنى كليب إن عى اللدا قتلاّ الملوك وفككا الأغلالا^(١)
وذكر هذه الوقعة طويل في أخبار المؤرخين .

أما الحارث بن عمرو أبو شرحبيّل فإنه مات بيطن عاقل ودفن هناك ، وعاقل : وادٍ قريب
من الرس ولا يزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، غير أنه يقال له العاقل ، وفيه يقول زهير :
لمن طلل كالوحي عافٍ منزله عفا الرسُ منه فالرسيّ فعاقله
وأما يوم السكّلاب الثاني^(٢) فكان بين سعد والرباب ، ورأسه بنى سعد لمقاعس ، ورأسه
الرباب لتيم ، فرأس الناس في آخر ذلك اليوم قيس بن عاصم المنقرى ، وهو اليوم الذى قتل فيه
عبد يغوث بن وقاص الحارثى بعد أن أسر ، فقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى منها :

أيا راكباً إما عَرَضْتَ فبلعنْ ندامى من نَجْرانَ ألا تَلّاقيا
أبا كرب والأبهمين كلاهما وقيسا بأعلى حضرموت البمانيا
وتضحك منى شَيْخَة عَبْشِيمة كأن لم تَرى قبلى أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسمة : أمعشَرَ تيم أطلقوا لى لسانيا

وماء العويند وما يليه من وادى السكّلاب ندمه خَبْرَاء^(٣) من الدم ؛ لما جرى فيه من الوقائع
المظام ، وقد قدمنا ذكر وقعتين على الاختصار ، وقد حدث عنده من الوقائع الحديثة ثلاث وقائع
عظام : أما الأولى : فعلى بين هادى بن قرملة رئيس قحطان في زمنه ، وقحطان جُنْدُه ، وبين
الحيدى الدويش رئيس مطير ، فكانت معركة عظيمة انهزمت فيها مطير ، وأما الوقعة الثانية

(١) اللدا : أراد اللذان ، وحذف النون استخفافاً لطول للوصول بالصلة ، ونظيره كثير في شعر
العرب ، ومنه قول الأنثب بن ربيعة وقد حذف نون « الدين » :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد .

(٢) انظر خبر يوم السكّلاب الثانى في تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٦٠ .

(٣) الخبراء فى الأصل : الأرض التى تمسك الماء ، والكلام هنا على الاستعارة .

فكانت بين محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان وبين تركي بن حميد ومعه رؤساء من عتيبة ، وكانت الهزيمة في ذلك اليوم على قحطان ، وقد دامت المعارك دائرة بينهم خمسة أيام ، وأما الواقعة الثالثة فكانت بين تركي بن حميد ومعه من رؤساء عتيبة الهيظل وابن جامع وجندهم عتيبة ، وبين الدويش رئيس مطير ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير بعد قتال عظيم ، وهناك شجرة أعرفها بينها وبين ماء العويند كشيء الماء الذي يحيط بماء العويند ، ويقال لها شجرة أبي صفرة ، أضيفت إلى أبي صفرة لأنه قتل عندها ، وهو من رؤساء مطير .

وقد أشار ابنُ بشر مؤرخ نجد في تاريخه إلى هذه الوقائع الأخيرة الواقعة قرب العويند ^(١)

(١) قال لي بعض أصحابنا - حين ذكرنا وادي السكلاب ، ووادي قحطج ، وذكرنا أنه هو وادي الهدى ، وذكرنا وادي الجلة ، وذكرنا العويند - قال : إن ابن بشر ذكر العويند في تاريخه ونحن أشرنا إلى ما ذكره ابن بشر ، ولكن صاحبنا لم يثبت ، فتبعت تاريخ ابن بشر ، فلم أجده للعويند ذكرا ، ولكنني ذكرت في كتابي هذا أن قليلا من المواضع الذي حدث فيه يوم من أيام العرب الاندلسيين أو المتأخرين ثم لم يحدث فيه يوم آخر ، وقد أشرنا إلى مواضع في كتابنا هذا تكرررت الأيام فيها ، وهذه عبارة من عبارات ابن بشر في تاريخه ، قال في سنة ١١٦٦ هـ ، وذكر بعض الحوادث ، ثم قال : وفيها وقعة « السبلة » وهو موضع معروف بين بلد الزلفي وبين الدهنا ، وهذه الواقعة بين الظفير وبين بني خالد ، وذلك أن بني خالد ساروا إليهم وقادهم : عبد الله بن تركي بن محمد ابن حسين آل حميد ، فواقعهم ، وصارت على الظفير هزيمة ، وأخذوا عليهم نهما كثيرة ، وقيل : إنها بعد دخول السابعة بعد الستين ، وكان في السنة السابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف وقعة « السبلة » أيضاً وهي مشهورة بين جلالة الملك وبين قوم من عتيبة وغيرهم : خرجوا عن الطاعة ، وخالفوا الجماعة ، واستباحوا الدماء والأموال ، فشمع جلالة الملك لمناجرتهم ، وانفقوا في السبلة الموضع الذي التقى فيه بنو خالد والظفير ، وهي بين الزلفي وبلد الأرطاوية ، فانهزم البغاة ، وقتلوا قتلا ذريعا في المعركة ، ولكن جلالة الملك - حفظه الله ! - أمر ألا يتبع المدبر ، وكف الفرسان عن أثرهم .

وانظر عجبة أخرى من عجائب التاريخ ، الفتن التي قاتلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جهة الهروان كان قتاله إليهم في اليوم التاسع عشر من شوال سنة ٣٧ من الهجرة ، واليوم الذي ناجز فيه جلالة الملك هؤلاء هو التاسع عشر من شوال سنة ١٣٤٧ هـ ، فهذا تصادف عجيب : تاسع عشر شوال ، وسنة سبع وكذا من الهجرة ، كلا الوقتين اجتمعت في هذا اليوم ، واليوم الذي بين بني خالد وبين الظفير في هذا الموضع صادف السنة السابعة أيضاً .

التصادف الثاني : قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت السنة ١١٨٧ ، وفيها كانت الواقعة المشهورة على حماد المديهم ومن معه من السعيد والظفير ، سار إليهم عبد العزيز رحمه الله تعالى ومعه غزو أهل الرياض مع دواس بن دهام ، فأغار عليهم وهم على جراب ماء معروف بين سدير والدهنا ، فاستأصل =

أما وادى الكلاب فقد بينا أنه هو الوادى الذى يقال له اليوم قُحْمُح — بضم القافين —
واسمه جاهلى ، وبيننا أنه أضيف إلى الكلاب في فترة من الزمن لكثرة القتال والتكالب فيه
بين العرب ، ثم زال عنه هذا الاسم ، ورجع إليه اسمه الأول القديم ، وما زال ماء العويند باقياً
باسمه إلى اليوم .

* * *

٢٠ — وقال امرؤ القيس :

سَقَى وَارِدَاتٍ وَالْقَائِبَ وَلَمَعَمَا مُلِثُ سِمَاكِى فَهَضْبَةٌ أَيْهَبَا
فَدَرَّ عَلَى الْخُبْنَيْنِ خُبْنَى غُنَيْرَةً فَذَاتِ النَّقَاعِ فَاتَّحَى وَلَصُوبَا
فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أَعَالِي طَمِيَّةٍ أَبَسْتُ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فَتَحَلَّبَا

واردات : تقع بهذا الاسم في ثلاثة مواضع : الأول : قريب نفي في جهته الشمالية الشرقية ،
وهي هضبات سود تبعد عن نفي مسافة نصف يوم ، وهي التي كان بها اليوم المعروف بين بكر
وتقلب قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد بن مرة ، فقال مهملل :

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبَسَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

== جميع أموالهم ، وقتل منهم نحو الثلاثين رجلاً ، وفي سنة ١٣٣٢ الواقعة المشهورة على جراب للماء الذي
كانت الواقعة عليه بين عرب نجد ، ودارت فيه معارك عظيمة بين الفتيين ، وتكرار الوقائع في البقاع
في نجد لا يحصى .

قال ابن بشر في تاريخه : ثم دخلت سنة ١٢٤٧ هـ وفي صفر منها سار فيصل بن تركي بشوكة
للسلميين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول
والمجان وبني حسين ، فقصدوا عالية نجد ، فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف
في عالية نجد من عتبية وغيرهم ورئيسهم سلطان بن ربيعة ، فانهزم الأعراب ؛ فسار المسلمون
في ساقهم يقتلون ويغنمون ، إلى آخر عبارة ابن بشر ، وبعد مضي سنين تقرب من ثلاثين سنة ، وقد
مات الإمام رحمه الله ؛ اجتمعت الأعراب على هذا الماء المعروف الذي مر ذكره طلال والأعراب القاطنون
عليه برأسهم أخو الرئيس الأول مصلط بن ربيعة ، وجاءهم ابن الرئيس الأول سعود بن فيصل ،
فشن الغارة عليهم كما شنوا عليهم والده ، فكانت معركة عظيمة بين الفريقين ، انظر تكرار المعارك
في هذه البقاع ، بل نحن نقول : إن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لاتكون
فيها معارك أخرى في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث .

وقال ابن مُقبل :

وَنَحْنُ الْقَائِدُونَ بِوَارِدَاتِ ضَبَابِ الْمَوْتِ حَتَّى يَنْجَلِينَا

وواردات الثانية : جبال سمر قريب سميراء معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

وواردات الثالثة : هَضَبَات تقع عن وادي رنية شمالاً ، مسافة نصف يوم .

وكلها معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ؛ فواردات الأولى : في بلاد غَنِي بن أعصر ، وواردات

الثانية : في بلاد بني أسد ، وواردات الثالثة : في بلاد عقيل بن عامر .

وأما القلبب فمعروفة عند العرب ، وقد يضاف إليها فيقال « هَضْب القلبب ^(١) » وهي

القلبب

تقع عن جبل كَشْب في جهته الشمالية الشرقية في أعلى الشربة والقلبب هذه هي التي أُجْرِيتُ

فيها داحس والغبراء ، وكانت الحربُ بين بني فَرَارة وبني عيس بعد ذلك ، قال الأعشى :

مَنْ دِيَارِ بِالْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلِيبِ فَاضَ مَاءُ السَّرُورِ فَيَنْصَحُ الْغُرُوبِ ^(٢)

وقال مطير بن الأشيم الأسدي :

أَبَا نَصْمٍ مِنْ هَضْبِ الْقَلِيبِ أَمَرْتَنِي هَنِيْدَةٌ ؟ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ الْحَبِيبُ

وهضب القلبب بهذا الاسم قد درس ، والباقي من اسمه يقال له « هضب الشرار » وليس

للقلبب فيه ذكر .

ولعل : وادٍ فيه مزارع ومياه في عرض ابني شمام ، باقي بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وفيه

لعل

قصور ومزارع . قال المسيب بن عَلس الضُّبَيْي :

بَانَ الْخَلِيطُ وَرُقِعَ الْخُرْقُ فَوَادِهِ فِي الْحَيِّ مُمْتَاقُ

مَنْعُوا كَلَامَهُمْ وَنَائِلَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ ، وَرَهْنُهُمْ غَلِقُ

قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ وَاسْتَبَّ بِهِمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ لِلْمَلْعِ طُرُقُ

هضبة أيهب : مضافة إلى أيهب ، ذكره الشعراء في بلاد بني أسد ، ويقرن في الأشعار

هضبة أيهب

والأخبار بشرج ، وشرح : معروف إلى اليوم بهذا الاسم وهو قريب جبل رمان ، قال النابغة ^(٣) :

كَأَنَّ فِتْرُدِي وَالنُّسُوعَ جَرَى بِهَا مَصْلَكُ يَبَارِي الْجَوْنَ جَابَ مُعْقَرَبُ

رَعَى الرُّوْحَ حَتَّى نَشَتِ الْفُدْرُ وَالْتَوَتْ بِدَجَلَاتِهَا قِيَعَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ

أما الخَلْبُ : فهو المستوى من الأرض المنخفضة ، وعذيزة : هي عذيرة الموجودة اليوم الواقعة

الخلب

(١) وربما سماوا القلبب « ذات الإصاد » .

(٢) الغروب : جمع غرب ؛ وهو الدلو . (٣) المعجم ٣٩٧/١ والديوان ٢٠

عنيزة

في شرق القصيم الجنوبي ، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

تراءت لنا يوماً بسفح عنيزة وقد حان منها رِحلة وقلوصُ

قال أبو عبيدة ^(١) السكوني : استخرج عنيزة محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أمير على البصرة . وقيل : بل بمثل الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجاء بين البصرة ومكة . فقال له : احفر بين عنيزة والشجاء حيث تراءت للعلك الضليل ، يعني امرؤ القيس ، حين قال :

تراءت لنا بين النقا وعُنيزة وبين الشجاء ما أحال على الوادي

وقال جرير :

أمسى خليطك قد أجدَّ فراقاً هاج الحزين وهيج الأشواقا

إلى أن قال :

إن القواد مع الذين تحمّلوا لم ينظروا بعنيزة الإشرافاً ^(٢)

وقال كليب أخو مهمل :

غداة كأننا وبني أبينا بمجنب عنيزة رَحِيماً مُدير

وقال رجل من الأعراب وأدخل عليها الألف واللام :

امرئى لَصَبٌ بالعنيزة صائف تَضَحَّى عرادا فهو ينفخ كالقرم

أحب إلينا أن يجاور أهلها من السمك الجرثيث والسنجم الوخم ^(٣)

والصحيح : أن الذي اكتشفها هو عبد الله بن عامر بن كرز الذي اكتشف النجاج المسماة اليوم الأسياح .

النقاع : قال في معجم البلدان ^(٤) النقاع : جمع نقيعة ، وهو الموضع الذي يجتمع فيه الماء ، وهي خبارى في بلاد بني نعيم . والباقي بهذا الاسم إلى اليوم « النقيعة » وهي : روضة تمسك الماء ، وفيها قصر ومزارع ، وهي واقعة بين ضَرَمَى ^(٥) وبين طريق الحبل ، وقد كان لها هذا الاسم قديماً ، قال جرير :

خليلى هيجاً عبدةً وقفنا بنا على منزل بين النقيعة فالحبل

(١) معجم البلدان ٦ / ٢٣٤ . (٢) لم ينظروا : معناه هنا لم ينتظروا .

(٣) في معجم البلدان « من السمك الحرث والسنجم الوخم » وهو تحريف ما أثبتناه ،

والجرثيث : نوع من السمك . (٤) المعجم ٨ / ٣٠٦ .

(٥) ضرمى يقال لها في العهد الجاهلي قرما انظر المعجم (ص ٦١ ج ٧) .

(٧ - صحيح الأخبار ١)

والنقيع : هو النقيع المجاور للمدينة ، قال عبد الرحمن بن حسان في قاع النقيع :
أرقتُ لبرقٍ مستطيرٍ كأنه مصابيحُ تخبُّو ساعةً ثم تلتجُ
يضى سنا على شُرُوزَى ، ودونه بقاعُ النقيعِ أوسنا البرق أنزع
وقال أبو صخر الهذلي :

قَصَاعِيه أدنى ديارٍ تحلها فناة ، وأننى من فناة المحصب ؟
ومن دونها قاعُ النقيع فأسقف فبطن العقيق فالحبيتُ فعنببُ
ونقيع المدينة ، ونقيعة اليمامة : كلها باقية بهذه الأسماء لم تتغير إلى يومنا هذا .

طمية وأما طمية فهضبة رفيعة في بلاد بنى أسد ، باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ويليهما جبل يقال له « عكاش » وفي أخبار الأقدمين - إذا تزوج الرجل امرأة ، ودامت عشرتهم - قالوا : تزوج عكاش طمية ، وعكاش وطمية : باقيا بهذا الاسم قريب الحاجر والنقرة ، قال الشاعر :

تزوج عكاش طمية بعدما تأيَّم عكاشُ وكاد يشيب
وقال السمرى اللص :

أعنى على برق أريك وميضه يشوق إذا استوضحت برقاً عنانيا
أرقتُ له والبرقُ دون طمية وذى نجب ، ما بعده من مكانيا !
وقال الشاعر :

أتين على طمية ، والمطايا إذا استخثنت أتعبن الجرورا
وقال عمرو بن لجأ :

تأوبنى ذكرك لزولة كالخبيل وما حيث يلقى بالكثيب ولا السهل
تحل وركن من طمية حزنها وجرفاه مما قد يحل به أهلى
تريدين أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذى يرضى الأخلاء بالبخل
وطمية وعكاش : واقعان في ربوة مرتفعة شمالاً وادى الرمة .

قال مصنف هذا الكتاب : إني قد مررت بهما كثيراً في أسفاري وتجولاتي في نجد .

* * *

٢١ — وقال امرؤ القيس :

وهى من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذى نحن فيه :
قد أشهد الغارة السَّمواءَ تحملنى جرّاءَ معروفةٍ اللّحيين سرُحُوب

كَأَنَّ صَاحِبَهَا إِذَا قَامَ يُنَاجِمُهَا مَعْدَّةً عَلَى بَكْرَةٍ زُرَّاءَ مَنْصُوبٍ^(١)
إِذَا تَبَصَّرَهَا الرَّأْوُونَ مَقْبَلَةً لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وَتَجَنَّبُ^(٢)

إِلَى أَنْ قَالَ :

كَأَنَّهَا حِينَ قَاضَى الْمَاءَ وَاحْتَفَلَتْ صَقَعَاهُ لَاحَ لَهَا فِي الْمَرْقَبِ الذَّيْبُ^(٣)
صُبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنَصَّبَ مِنْ أَمَمٍ إِنْ الْبَلَاءُ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصُوبُ
كَالِدُلُو تَبَّتْ عُرَاهَا وَهِيَ مَثَلَةٌ إِذْ خَانَهَا وَذَمَّ مِنْهَا وَتَسْكِرِبُ^(٤)

والذى دعانا إلى إيراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ووذمها والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا ، والوذم : حيللات أشد بها عراقى الدلو ، والتكريب : حيل في العراق يجعل فيه الرشاء .

٢٢ - قال امرؤ القيس :

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكْرَاتِ فَعَارِمَةً فَزُرْقَةً الْعِيرَاتِ
فَنَفَى فِخْلِيَتْ فَأَكْنَفَ مَنَعِيجَ إِلَى عَاقِلٍ قَالِبٍ ذِي الْأَمَرَاتِ^(٥)

أما البكرات وعارمة والعيرات ، فكلها متقاربة ، وهى باقية على أسمائها إلى يومنا هذا في جهة الوشم .

والبكرات : بين القصب وثادق من بلدان الوشم وهى هضبات سود ، قال جرير :
هل رام جو سويقتين مكانه أو أبكر البكرات أو تمشار^(٦)
وأعظم البكرات : هضبة يقال لها : الغرابة ، وهى سوداء .

وأما عارمة : فعلى طرف العرمة الواقع على طرف العلك مما يلي البكرات ، وقد أكثر الشعراء

(١) المغد - بالفتح - الدلو العظيمة .

(٢) التجنّب : ارتفاع البياض حتى يصل إلى جنب الفرس .

(٣) الصقعا : العقاب .

(٤) الوذم - بالتحرّيك - السيور تكون بين آذان الدلو .

(٥) رواية الديوان « فغول فخليت فأكناف منعيج » وفى معجم ياقوت « فغول فخليت فنفى

فمنعج » .

(٦) رام مكانه : تحوّل عنه .

من ذكرها في الأشعار ، قال الصَّيِّدُ بن عبد الله القُشَيْرِي :

أَقُولُ لِعَيَّاشٍ صَحْبِنَا وَجَابِرٍ وَقَدْ حَالَ دُونِي هَضْبُ عَارِمَةَ الْفَرْدُ
قِفَاً فَانظُرَا نَحْوَ الْحَيِّ الْيَوْمَ نَظْرَةً فَإِنْ غَدَاةَ الْيَوْمِ مِنْ عَهْدَةِ الْعَمْدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا قُلَّةَ الْبِشْرِ أَعْرَضْتَ لَنَا وَجِبَالَ الْحَزْنِ غَيْبَهَا الْبُعْدُ
أَصَابَ جَهْلُ الْقَوْمِ تَتَنِيمَ مَا بِهِ فَحَنٌّ وَلَمْ يَمْلِكْهُ ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ

برقة العيريات وأما بُرْقَةُ الْعَيْرَاتِ : فهي واقعة في الكثيب الواقع بين بلدان الوشم ، ويقال له اليوم « أبرق العيرة » وهذه المواقع التي سبق ذكرها باقية على أسمائها إلى يومنا هذا ، فإذا قلنا : إن الشاعر لم يقصدها بقوله ؛ لأنه عطف على البكرات وعارمة وبرقة العيريات تقيماً وحليلاً وأكشافاً ممنوع ثم قال « إلى عاقل فالجب ذى الأصرات » قلنا : لا ، بل ذلك مما يؤيد أنه أرادها ، وهذا الذي ذكره امرؤ القيس في أبياته المذكورة تحديد متقارب جميل ، أما الْبَكْرَاتُ فهي البكرات المشهورة في حدود الحِمَى في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تقع من ضريبة على مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس ، وهي هضبات تُحَرَّ فيها بياض ، ويقال لها اليوم « البكرى » يعرفها بهذا الاسم اليوم جميع أهل نجد .

نقى وأما نَقْيٌ فهو وادٍ مشهورٌ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمه في الجاهلية ، وهو واقع بين جبلة وواردات ، وفيه يقول خالد بن سعيد :

كَأَنِّي بِالْأَحِزَّةِ بَيْنَ نَقْيٍ وَبَيْنَ مَنَى عَلَى كَتَفِي عُقَابٍ

وأما مَنَى : فهي هضبة خمراء طويلة تقع من نقى على مسافة يوم من الجهة الغربية ، وبها بئر عذبة يأتى الكلام عليها في معلقة لبديد ، ونقى امتدَّ إليه الحِمَى في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان به عين عظيمة في ذلك الزمن فدفتها غنى بن أعصر في زمن ابن الزبير أيام الاختلاف وهي على دَفْنِهَا إلى يومنا هذا .

حليت وأما حَلِيَّتٌ : فهو جبال سُود تقع من نَقْيٍ على مسافة يوم في جهته الغربية الجنوبية ، وبه معدن في جبل أسود يقال له « الغرابى » قال الراعى :

* بِحَلِيَّتٍ أَقْوَتْ مِنْهُمْ وَتَبَدَّلَتْ *

وحليتُ باقى بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ومن مياهه الأُرطَاوى يقع في شرقيه .
وأما مَنَمِيجٌ ، فهي جبال « دخنة » البلد المشهورة اليوم بأيدي حَرْبٍ ، ولسكن هذا الاسم قد منعج

تغير اليوم ، ويومُ منَعِيج^(١) : من أيام العرب ابني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن نعيم على بنى كلاب ، وفي منعج يقول جرير وقد ضم إليه عاقلا :

لعمرك لا أنسى ليالى منَعِيج ولا عاقلاً إذ منزل الحى عاقل

وأما عاقل : فهو وادٍ يصب في وادي الرمة يُنَاح «دخنة» التي ذكرنا أنها منعج ، وعاقل باق على اسمه إلى اليوم ، ولكنه يقال له «العاقل» وقالت حُمْلُ لما ذهبت الفزر بإيلها تشجع قومها^(٢) :

بنى الفزر ماذا تأمرون بهجمة تطلُّ لأبناء السبيل مَنَاحَةً
تلاذ لم تخلط بحيث نصابها على الماء يعطى درُّها ورقابها
أقول وقد ولَّوا بتمب كأنه قد اميس حَوْضِي رملها وهضابها
ألهفى على يوم كيوم سُوَيْقَةٍ شفى غلَّ أكباد فساغ شرابها
فإن لها بالليل حولَ ضريبة كتاب لا يحفى عليه مصابها
إذا سمعوا بالفزر قالوا غنيمة وعودة ذل لا يخاف انصابها
بنى عامر ، لاسلم للفزر بعدها ولا أمن ما حنت لسفر ركابها
فكيف اختلاب الفزر شولي وصيتي أرامل هزلى لا يحل احتلابها
وأربابها بين الوحيد ومنعج عكوف تراءى سرُّها وقبابها
ألم تعلمى يا فزر كم من مصابة أهين بها الأعداء ناب منابها
وكلُّ دلاص ذات نيرين أحكت على مرة العافين يجرى حبابها
وأن ربَّ جارٍ قد حميماً وراءه بأسافنا والحرب يشرمى ذبابها

وقال النابغة :

كأنى شددت الكور حين شدته على قارح مما نضمن عاقل

وقال مالك بن حطان السليطي :

وليتهم لم يركبوا في ركوبنا وليت سليطا دونها كان عاقل

وقال جرير :

من الديار بعاقلي فالأنعم كالوحي في ورق الزبور الأعجم

وقال رجل من المتمرين :

(١) انظر أخبار يوم منعج في تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٣٠ وفي مجمع الأمثال ٢ / ٢٦٨ وفي

الأغاني ١٠ / ٩ وما بعدها . (٢) ذكر هذه الأبيات باقوت في معجم البلدان ٨ / ١٨٠ .

وأعقل حُجْرًا ذَا أَوَارٍ بِعَاقِلٍ وَأَيَّامَ بِكَرٍ إِذْ تَعَادَتْ وَتَغْلِبُ
وقال زهير :

لَمَنْ طَلَّلَ كَالوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عِفا الرِّسْ مِنْهُ فَالرَّسِيسُ فَعَاقِلُهُ
وقال عميرة بن طارق اليربوعي :

وَإِنِّي أَحَبُّ الرِّسْ مِنْ أَرْضِ عَاقِلٍ وَصَوْتُ الْقَطَا فِي الطَّلِّ وَالْمَطَرِ الضَّرْبُ
وَإِنْ أَكْ فِي نَجْدٍ - سَقَى اللَّهُ أَهْلَهُ بِمَنَانَةٍ مِنْهُ ! - فَقَلْبِي عَلَى قَرَبِ
وقال ليبد بن ربيعة :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَ
وَنَاحَتَانِ تَنْدُبَانِ بِعَاقِلٍ أَخَا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أُنْثَى
وهذه أشعار متقدمة في ذكر عاقل الذي يسمى اليوم « العاقل » .

وأما الجبُّ ذو الأَمَرَاتِ فهو بئر يقع في طرف « إمرة » لأن الجب يطلق على البئر ، وإمرة هي التي ذكرها امرؤ القيس باسم ذى الأَمَرَاتِ يقال لها « إمرة » بهذا الاسم إلى يومنا هذا . قال في معجم البلدان ^(١) : « وإمرة : منزل من منازل الحاج في طريق مكة من البصرة ، وهي بعد رامة » وهذا صحيح أنها بعد رامة للقاصد مكة ، قال الشاعر :

أَلَا هَلْ إِلَى عَيْشِ بِإِمْرَةِ الْحَمَى وَتَسْكِينِ لَيْلِي مَا حَيِّتُ سَبِيلُ
وقال الراعي ^(٢) وقد خَفَّفَ الميم لضربة الشعر :

قُبُّ سَمَاقِيَّةٍ ظَلَّتْ مُحَلَّاةً بِرِجْلَةِ الدَّارِ فَالرَّوْحَاءُ فَالْأَمْرُ
كَانَتْ مَذَانِبَهَا خُضْرًا فَقَدْ يَبْسُتُ وَأَخْلَقْتُهَا رِيَاضُ الصَّيْفِ بِالْغُدُرِ

وإمرة : هضبة يكنفها أبارقُ بالقرب من سواج الجبل المشهور في الجاهلية بهذا الاسم ، وفي بطنه مياه كثيرة ، وقد غرس به أهل الشيبكية بلد الذوبى الحربى نخيلاً كثيرة مشرعة في الماء ، وهو واقع من إمرة في الشمال الغربى على مسافة أقل من نصف يوم .
وقال شاعر أيام الفتوحات في صدر الإسلام :

أَقْبَلْنَا مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سَوَاجٍ وَالْقَوْمُ قَدْ مَلُّوا مِنَ الْإِدْلَاجِ

(١) المعجم ١ / ٣٣٥ وضبط إمرة هذه بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة بعدها راء مهملة .
(٢) جعل ياقوت شعر الراعي في موضع اسمه « أمر » بفتح الهمزة والميم جميعاً وذكر أنه موضع بالشام .

وقال تميم بن أبي بن مقبل :

وَحَلَّتْ سَوَاجَا حَلَةً فَكَأَنَّمَا بِحَزْمِ سَوَاجٍ وَشَمٌ كَفْ مَقْرَحٍ
قال في معجم^(١) البلدان ، ومنهم من يقول : سواج طخفة ، وقال على ذكر سواج : النائمان
جبلان بين أبان وسواج طخفة ، وهذا تحديد صحيح ، والنائمان باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ،
يقال لأحدهما « النائم » وللآخر « النويم » وهما بين أبان وسواج ، وقال جرير :
إِنَّ الْعَدُوَّ إِذَا رَمَوْكَ رَمَيْتَهُمْ بِذُرَى عَمَايَةٍ أَوْ بِهِصَبِ سَوَاجٍ
والأشعار فيه كثيرة .

وجميع المواضع الذى ذكرها امرؤ القيس فى أبياته المتقدمة - وهى : البَكَرَات ، ونَفَى ،
وَحِلَّتْ ، وَمَنْعِج ، وعَاقِل ، والأمَرَات - كلها باقية بهذه الأسماء إلى يومنا هذا ، أقصاها مما إلى
القَصِيم عَاقِل الذى يقال له اليوم « العَاقِل » وأعلها مما إلى جنوبى الحِجْلَى « البَكَرَات » التى يقال
لها اليوم « البَكَرَى » التى هى هضاب حمر يشاها بياض ، وهى واقعة فى هضبات سود عنها
جنوبى كبشات وغيرها ، وهضابُ حِلَّتْ سودٌ كأنها غربان ، وما كان من البَكَرَات شمالا
فجباله حمر كغول وطخفة ومنى التى يقال لها اليوم « منية » يطوف الراكب الجَذُّ على هذه
المواضع فى يومين ، وبقية المواضع المذكورة فى هذه الأبيات واقعة بين البَكَرَات وعَاقِل ، وأما
عارمة وبرة العبرات فوضعها كما تقدم ذكره .

٢٣ - وقال امرؤ القيس ، وهو فى بلاد الروم فى قصيدة هذا مطلعها :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي حُجْرٍ بَنِ عَمْرٍو وَأَبْلِغُ ذَلِكَ الْحَيَّ الْجَدِيدَا
بَأَنِّ قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ بَعِيدَا مِنْ دِيَارِكُمْ بَعِيدَا
وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمِي لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ ، لَا خُلُودَا
وَلَوْ صَادَفْتُهُنَّ عَلَى أُسَيْسٍ وَحَاقَةً إِذْ وَرَدَنَ بَنَا وَرُودَا
عَلَى قُلُوصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَرْمَتْهُنَّ مَا يَعْدُقْنَ عُودَا

أما أُسَيْسٌ فقد قال فى معجم البلدان :^(٢) أُسَيْسٌ فى بلاد بنى عامر بن صعصعة ، واستشهد بيت
امرؤ القيس هذا ، وأنا لا أعلم فى بلاد بنى عامر موضعاً بهذا الاسم ، ثم قال فى المعجم عن

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ١٥٨ .

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٢٥٠ .

ابن السكيت : إنه في شرقي دمشق ، قال هذا في تفسير قول عدى بن الرقاع :
 قد حَبَّأَى الوليدُ يومَ أسيسٍ بِمِشَارٍ فِيهَا غِنًى وَبَهَاءُ
 وظنى أن « أسيس » كما ذكر ابن السكيت في شرقي دمشق ، وأنا لأعرف مياه تلك الناحية
 فإذا صح أن أسيس في شرقي دمشق فالصواب في إنشاد البيت « حافة » في موضع « حافة » لأنه
 قال في معجم^(١) البلدان : الحفة - بالفتح والتشديد - كورة في غربي حلب فيها عدة قرى ، وقيل :
 إن الثياب الخفية تنسب إليها ، فتكون رواية البيت :

ولو صادفتهم على أسيس وحافة إذ وردن بنا ورودا
 قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم^(٢) : إن أسيس : قريب دمشق ، واستشهد بقول
 عدى بن الرقاع العالمي .

ويعلم القارئ أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية - كأمريء القيس وغيره -
 وليست من شعر الجاهلية ، فإن بينها وبين أشعار الجاهلية فرقا شامعا في المعنى ، والعمدة في ذلك
 على من رواها منسوبة إلى هؤلاء الشعراء ، ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الإفاضة في ذكرها .

* * *

٢٤ - وقال امرؤ القيس :
 لِلَّهِ زَبْدَانُ أَمْسَى قَرَقَرًا جَلَدًا وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمَّ مَنْضُودًا
 يعني بذلك الزبداني السكورة المعروفة بين دمشق وبعابل^(٣) ، ومنها يخرج نهر دمشق
 وقد سكن الباء وحذف الياء لأجل ضرورة الشعر .

* * *

٢٥ - وقال امرؤ القيس :
 تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَا مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي
 وقد تقدم الكلام على عنيزة^(٤) والنقا : من الأكنهة المتراكمة على جانبها الغربي ، فأما
 الشجا : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٢٦ - قال امرؤ القيس في قصيدته التي قالها وهو في طريقه إلى قيصر ملك الروم :

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٠٢ (٢) انظر معجم ما استعجم ١ / ١٥٢
 (٣) معجم البلدان ٤ / ٣٧٤ (٤) انظر ما ذكرناه عنها في ص ٤٨ وما بعدها من هذا الجزء .

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَمَرَعَرَا
كَدَانِيَّةٌ بَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ وَذَهَا مُجَاوِرَةٌ غَسَّانَ وَالْحَىَّ يَمْعَرَا
بِعَيْنِي ظُنَنَ الْحَىَّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ قِيمَرَا

عرعر : هوماء في الهضب الواقع في القطعة الجنوبية من نجد ، يقال لهذا الهضب اليوم « هضب آل زايد » والماء يقال له « عراعر » معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد ، وهو واقع في الجهات التي ذكرها امرؤ القيس في أول^(١) مملقته ، وقال شاعر من بني عميرة ، ذكره صاحب التكملة لما ذكر عراعر وأنها أرض سبعة :

وَلَا تُنْبِتُ الْمَرْعَى سَبَاخَ عَرَاعر وَلَوْ غَسَلَتْ بِالمَاءِ سِتَّةَ أَشْهر
الأفلاج : أودية معروفة بهذا الاسم إلى اليوم فيها نخيل وقصور ومزارع ، وهي معمورة ، قال في معجم^(٢) البلدان : الأفلاج تقع في العارض في جهة مطلع الشمس ، وقد أصاب في هذا التحديد ، فما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادي الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج ، وهي بلد الحمر . والهدار ، والستارة ، والخرقفة ، ولبلى - وهي عاصمة تلك الناحية - والسيح ، والفيل ، والمار ، وحراضة ، وواسط ، ووسيلة ، ومروان ، والزريقية ، والروضة ، والبديعة ، وسويدان ، جميع هذه القرى يقال لها الأفلاج ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد إلى يومنا هذا . وقد أطلال الكلام عليها صاحب معجم البلدان ، وذكرها ذكرًا وافيًا ، وأكثره أصاب فيه ، وقال رجل من بني هزّان :

سَلُوا نَلَجَ الْأَفْلَاجِ عَنَا وَعَنْكُمْ وَأَكُنَّةً إِذْ سَالَتْ سَرَارُهَا دَمَا
عَشِيَّةً لَوْ شَتْنَا سَبَيْنَا نَسَاءَكُمْ وَلَكِنْ صَفَحْنَا عِزَّةً وَتَكْرَمَا
عَشِيَّةً جَاءَتْ مِنْ عَقِيلٍ عِصَابَةٌ تَقْدَمُ مِنْ أَبْطَالِهَا مَنْ تَقْدَمَا

وقال المُحَنِّفُ الْعَقِيلُ :

بَدَأْنَا فَعَلْنَا أَثَابَ الْبَحْرِ وَاكْنَسْتُ أَسَافِلَهُ حَتَّى ارْجَحَنْ وَأُودَا
أُمَ التَّنِ فِي قُرْيَانِهِ ثُمَّ نَبْتُهُ خَضِيدٌ وَلَوْلَا لَيْئُهُ مَا تَخَضَّدا
أُمَ النَّخْلِ مِنْ وَادِي الْقَرْيِ انْحَرَفَتْ لَهُ بِمَانِيَّةٍ هُنَّ الْقَنَا غَنَّاوُدَا
سَقَى فَلَجَ الْأَفْلَاجِ مِنْ كُلِّ هِمَّةٍ ذِهَابٌ تَرْوِيهِ دِمَانَا وَقَوْدَا

(١) انظر ما ذكرناه عنها في ص ١٨ من هذا الجزء .

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٣٠٦ وانظر أيضا ٦ / ٣٩٢ برسم « فليج » .

به نجد الصيد الغريب ، ومنظراً أنيقاً ، ورخصات الأنامل خرداً
وقال الجعدي وتلك الناحية لبني جعدة وقشير وعقيل :

نحن بنو جعدة أرباب الفلاج نحن منعنا سَيْلَهُ حتى اعتلج
ويوم فلاج لبني عامر على بني حنيفة ، قال القحيف العقيلي ، وقد جمع يوم النشاش ويوم
فلج في كلا البيتين :

تركنا على النشاش بَكْرَ بن وائل وقد نهلت منها السيوفُ فعلتِ
وبالفلاج العادي قتلُ إذا الفقت عليها ضباع الغيل باتت وظلت
والغيل المذكورة في هذا البيت هي من قُرَى الأفلاج المذكورة بهذا الاسم .

وقيمر : لم يبق منها اليوم شيء بهذا الاسم إلا موضعاً يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية
الشرقية ، جبل فيه أبارق يقال له الجنة ، وأرض يقال لها الأجر فيها مياه ، وهي قريب من
الجنة بين الأفلاج ووادي الدوامر ، وهي التي عناها امرؤ القيس بقوله : « لدى جانب الأفلاج
من بطن قيمراً » .

* * *

٢٧ - وقال امرؤ القيس في ذكر الطعينة :

فَشَبَّهَتْهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا
أَوِ الْمَكْرَعَاتِ مِنْ تَحْيِيلِ ابْنِ يَامِينَ دُونِ الصَّفَا اللَّائِي يَلْدِنَ الْمُشَقَّرَا

أما الصفا : فهو اليوم قصبة المبرز الواقعة في بلد الأحساء ، ولا يزال بهذا الاسم على تحديد
الرواة وأهل المعاجم ، قال لبيد بن ربيعة ^(١) :

سُحُوقٌ بِمَنْسَعَةِ الصَّفَا وَسُرْبَةٌ عُمٌّ نَوَاعِمُ يَنْهِنُ كُرُومُ
وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كَأَنَّ النَادِيَاتِ عَنِ الصَّفَا مَذَارِعُهَا وَالْكَارِعَاتِ الْحَوَامِلَا
بِذِي شَطْبٍ أَحْدَأَجَهُمْ إِذْ تَحْمَلُوا وَحَثَ الْحِدَاةُ النَّاجِيَاتِ الدَّوَامِلَا

قال في معجم البلدان ^(٢) عن ابن الفقيه : الصفا : قصبة هجر ، ويوم الصفا من أيامهم .
قال جرير :

تَرَكْتُمْ بَوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَا تَقِيْتُمُ الشَّعْبَ أَوْعَرَا

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٦٥ .

والصفا الذي ذكره امرؤ القيس في هذه القصيدة لا أشك في أنه في نواحي هجر ، لكن لم يهتد إليه أحد ، ولا يُعرف اليوم موقعه بهذا الاسم .

والمشقر : في هجر ، ولا يعرف اليوم بهذا الاسم ، وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر ابن الجارود رئيس عبد القيس في هجر ، وكان قد أجاره فحفر عبيد الله بن زياد جواره ، وأخذهُ منه فـسـكـل به ، فقال ابن مفرغ يهجو المنذر ^(١) :

تَرَكْتُ قَرِيشًا أَنْ أَجَاوِرَ فِيهِمْ وَجَاوَرْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمَشْقَرِ
أَنَاسًا أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارِهِمْ أَعَاصِرَ مَنْ فَسَوِ الْعِرَاقَ الْمُبْدِرِ
فَهَلَا بَنَى الْإِفَاءَ كُنْتُمْ بَنَى أُسْتَيْهَا فَقَلْتُمْ فَعَالَ الْعَامِرِيُّ ابْنَ جَمْفِرِ
كَلَّى جَارَهُ بَشْرَ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثِدٍ بِالْفِ كَيْيَ فِي الْحَدِيدِ مُسْكَفَرِ

وكانت هجر في القديم من الزمان لإياد ، ولما قدمت عبد القيس البحرين أخرجوا إيادا منها قهراً ، ونزلوا فاستقروا بها إلى الآن ، وقال عمرو بن أسوى العبقي :

أَلَا أَبْلَغَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ رِسَالَةً فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ نَائِبِ الدَّهْرِ وَأُضْبِرْ
شَحَطْنَا إِيَادَا عَنْ وَقَاعٍ وَقَلَصْتُ وَبَكَرَا تَقَيْنَا عَنْ حِيَاضِ الْمَشْقَرِ

ولا يُعلم في جهات هجر اليوم موضع بهذا الاسم ، وأما المشقر الذي ذكره أبو ذؤيب الهذلي في قصيدته العينية :

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ بِصَمَا الْمَشْقَرِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرِغُ
فَهُوَ جَبَلٌ فِي بِلَادٍ هَذِيلٍ بِهَذَا الْأَسْمِ .

٢٨ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ دُمِي سَقَفٌ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا

أما سَقَف ^(٢) فهو ماء معروف في جبل صغير منقطع من جبل رمان الواقع في بلاد طيء . سقفه أعرفه ، وقد وردت ، يعد من مياه رمان الجبل المشهور ، ورمان طرفه الجنوبي محاذ لبلاد بني أسد

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٨ / ٦٥ .

(٢) يضبطه قوم بفتح السين ويضبطه آخرون بضمها ، وذكر ياقوت (المعجم ٥ / ٩٤) عن نصر أن سقفا جبل في ديار طيء ، وقال بعد ذلك « وقيل : ماء لطيء بإزاء سمراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة » اهـ .

وطرفه الشمالى واقع في بلاد طيبة ، وسقف : في طرف رمان الشمالى الغربى مما بلى القرية التى يقال لها الغزالة ، ولم أر للغزالة ذكراً في كتب المعاجم ، إلا رواية عن الأصمعى على ذكر « الغزائل » في معجم البلدان ، قال : هو ماء بتجد لعبادة خاصة يقال له « ذو غزائل » .

أما الساجوم : فقد غلط فيه كثير من الشراح ، حيث زعموا أنه موضع قريب من سف ، ولكنه في هذا البيت بعينه نوع من ألوان الصبغ ، وقد قال في القاموس « والساجوم : صبغ »

* * *

٢٩ - قال امرؤ القيس :

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ آتَتْ عَلَى خَمَلِي خُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَا
فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ وَالْأَلْ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرًا
تَقَطُّعُ أَسْبَابِ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْرَا
أما نجد : فلا أعلم فيها موضعاً يقال له خَمَلِي ، وجدت موضعاً في معجم^(١) البلدان يقال له « خميل » واستشهد بقول جرير :

أَلَا حَيُّ الدِّيارِ وَإِنْ تَعَقَّتْ وَقَدْ ذَكَّرَنَ عَهْدَكَ بِالْخَمِيلِ
وَكَمْ لَكَ بِالْمُجَنِّمِ مِنْ مَحَلٍّ وَبِالْعِزَافِ مِنْ طَلَلٍ مُجِيلِ
أما أوجر فلا أعلمه في بلاد العرب ، لكن قال في معجم^(٢) البلدان : أوجار قرية في البحرين لبني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ، وارتفع بهذا النسب إلى عبد القيس .

وأما حَوْرَانُ : فهو كورة واسعة من أعمال دمشق ، مشهورة بهذا الاسم ، سكنتها العرب بعد الفتوحات ، وبقيت فيها إلى يومنا هذا ، وتقع حَوْرَانُ من دمشق في جهتها الجنوبية أمام المصلى بدمشق المتجه إلى بيت الله الحرام ، قاعدتها بُصْرِي ، وفيها قُرَى ومزارع ، وفيها جبل الدروز ، قال جرير :

هَبَّتْ شَمَالًا فذَكَرِي مَا ذَكَرْتَكُمْ عِنْدَ الصَّفَاةِ الَّتِي شَرَقُ حَوْرَانَا
هَلْ يَرْجِعَنَّ ، وَلَيْسَ الدَّهْرُ مَرْتَجِعًا ، عَيْشٌ بِنَا طَلَمَّا اخْلَوْنَا وَمَا لَانَا
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ولَّى علقمة بن عُلانة حَوْرَانُ ، فقصدته الحطيئة الشاعر ، فوصل حوران وقد انصرفوا عن قبره ، فقال عند ذلك :

أعمرى لنعم المرء من آل جَعْفَرٍ حَوْرَانُ أَمْسَى أَقْصَدَتْهُ الْحَبَائِلُ

لقد أقصدتُ مجداً وجوداً وسوداً وحلماً أصيلاً خالفته المجاهلُ
وما كان بيني لولقيتهُك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ فلالُ
فإن تحيى لم أملك حياتي ، وإن تمت فما في حياتي بعد موتك طائلُ
وقد افتتحت حوران صلحا في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تجد ذلك في كتب
الداريخ على ذكر بصرى .

وأما حمّاة وشيزر : فهما معلومتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، أطال الكلام عليها صاحب
معجم البلدان ومما قاله عنهما^(١) : ولما افتتح أبو عبيدة حمصَ وفرغ منها في سنة ١٧ خلف بها عبادة
ابن الصامت ، ومضى نحو حمّاة ، فلقاه أهلها مذكّنين ، فصالحهم على الجزية في رؤسهم ، والخراج
على أرضهم ، ومضى إلى شيزر فكان حالها حال حمّاة ، وقد ذكرها الشعراء في أشعار كثيرة .

* * *

٣٠ — وقال امرؤ القيس :

وَلَمْ يَنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَامِنَا وَخَلَا لَهَا كَالْقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرًا
كَأَثْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ يَشَّةٍ وَدُونَ الْغُمِّمِ عَامِدَاتٍ بِفَضُورًا
أما يشة : فيأتى الكلام عليها في معاقبة لبيد إن شاء الله تعالى .

وأما « الغميم » وغصور « فهما موضعان معروفان بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

أما الغميم : فهو معروف في طَرْف أجا الغربى الجنوبى ، قال شبيب بن البرصاء :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَيَّ فَرَّقَ بَيْنَهُم نَوَى بَيْنَ سَحَرَاءِ الْغُمِّمِ الْجَوْجُ
فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَيْنَكَ مَعْجَبًا وَبَاكِ لَه عِنْدَ الدِّيَارِ نَشِيجُ

وقد أكرر الشعراء من القول في هذا الموضع الذى لا يزال معروفًا بهذا الاسم ،
قال كثير^(٢) :

قَم تَأْمَلُ فَأَنْتَ أَبْصَرُ مِنِّى هَل تَرَى بِالْغُمِّمِ مِنْ أَجْجَالِ
فَاضِيَاتٍ لِبَانَةٍ مِنْ مَنَاحِ وَطُوفٍ وَمَوْقِفٍ بِالْغُلِيَالِ
فَسَقَى اللَّهُ مُنْتَوَى أُمَّ عَمْرُو حَيْثُ أُمْتُ بِهِ صَدُورَ الرَّحَالِ

(١) للمعجم ٣ / ٣٣٦ .

(٢) ذكر ياقوت (المعجم ٦ / ٣٠٨) أن أبيات كثير هذه في « الغميم » بفتح الغين ، وأبيات
شبيب بن البرصاء السابقة في « الغميم » بضم الغين .

وقال جرير ، وقد صغره :

يا صاحبي هل الصباح مُنيرُ أم هل للوم عَوَاذِلِي تَغْيِيرُ
أني تَكَلَّفْتُ بِالْفُؤْمِ حَاجَةً نَهْيًا حَمَامَةً دُونَهَا وَجْفِيرُ
لَيْتَ الزَّمَانَ لَنَا يَمُودُ بِسُرِّهِ إِنْ الْيَسِيرَ بِذَا الزَّمَانَ عَسِيرُ

غضور

وأما « غضور »^(١) : فهو ماء معروف غربي جبل رَمَّانَ ، يقع قريبَ سَقَفٍ في جنوبيه الغربي ، في طرف حَرَّةٍ سوداء ، وقد وردتْ ، وهو ماء كثير كأنه عين جارية طام عليه العَرْمَضُ والطحلب ، وهو باقٍ على اسمه إلى اليوم يعرف عند جميع الناس بغضور .

قال عروة بن الورد في قصيدة له :

عفت بعدنا من أم حَسَّانَ غُضُورُ وفي الرمل منها آية لا تَغْيِرُ

وقال رجل من بني أسد :

تَبَعْتُ الهَوَى يَاطِيبَ حَتَّى كَانَنِي مِنْ أَجَلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوُودُ
تَعَجَّرَ دَهْرًا نَمَّ طَاوَعُ قَلْبِهِ فَصَرَفَهُ الرُّؤَاصُ حَيْثُ تَرِيدُ
وَإِنْ زِيَادَ الْحَبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِكَ آيَاتُ الهَوَى لَشَدِيدُ
وَمَا كُلُّ مَا فِي النَفْسِ لِلنَّاسِ مُظْهَرٌ وَلَا كُلُّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ تَذَوُّدُ
فِيَا أَيُّهَا الرِّيمُ الْحَلَّى لَبَّانَهُ بِكَرَمَيْنِ كَرَمَى فِضَّةً وَفَرِيدُ
أَجِدُّي لَا أَمْشِي بِرَمَّانَ خَالِيَا وَغُضُورَ إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تَرِيدُ

* * *

٣١- وقال امرؤ القيس في وصفِ راحلته :

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا تَجَلَّتْهُ رِجْلُهَا حَذْفُ أَغْمَرَا
كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تُطِيرُهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْتَقَدَنَ بِمَبْقَرَا^(٢)
ذَكَرُوا أَنَّ « عَبَقَر » مَوْضِعٌ فِي الْبَيْنِ كَثِيرُ الْجَنِّ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْحُلَالُ الْعَبْقَرِيَّةُ ، وَأَمَّا
« عَبَاقِر » فهو ماء في نجد لبني فزارة قال ابن عنمة :

عبر

أَهْلِي بِنَجْدٍ ، وَرَخْلِي فِي بَيْوتِكُمْ عَلَى عِبَاقِرَ مِنْ غَوَرِيَّةِ الْعَلَمِ
وَأَنَا لَا أَعْلَمُهُ بِهَذَا الْأَسْمِ الْيَوْمَ .

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٢٩٦ .

(٢) هذه رواية ياقوت (المعجم ٦ / ١١٢) وفي الديوان ٧١ « كَانَ صَلِيلُ الْمَرْوِ حِينَ تَشْدَهُ » .

٣٢ — وقال امرؤ القيس :

هُوَ الْمُنْزِلُ الْأَلْفُ مِنْ جَوْنَاعِطٍ بَنَى أَسَدٌ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرًا

أما جوناياط فلا عرف في نجد موضعاً بهذا الاسم ، وقد ذكر أهل المعاجم أن في اليمن حصناً في رأس جبل يقال له « ناعط » ذكروا أنه قديمُ البناء ، وذكروا أنه لبعض الأذواء^(١) قرب عدن .

* * *

٣٣ — وقال امرؤ القيس :

بَكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَآيَقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبِكْ عَيْنَاكَ ، إِنَّمَا نَحْوُلُ مُلْكَاً أَوْ نَمُوتُ فَنُغْزَرَا

لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بِمَلَبَّتِكَ وَأَهْلُهَا وَلَا بَنُ جُرَيْجٍ كَانَ فِي خَمَصٍ أَنْكَرَا^(٢)

أما « الدرب » هذا فهو المدخل إلى بلاد الروم ، ويقال له « درب القلّة » بضم القاف وتشديد اللام ، قال المتنبي :

لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقَلَّةِ الْفَجْرَ لَقِيَةً شَفَّتْ كَدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ

وهذا الدرب هو الذي كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأنه إلى سلمان ابن ربيعة الباهلي « أن لا يقطع الدرب معك إلا فرس عريب » فقال سلمان : تُعْرِضُ عَلَى الخيل ، فُعْرِضْتُ عَلَيْهِ ، فقال لعمر بن معد يكرب : هذه الفرسُ هَجِين - يعني فرس عمرو ابن معد يكرب - فقال عمرو : إنها عريب أيها الأمير ، قال سلمان بن ربيعة : ارددْهَا فَإِنَّهَا هَجِين قال عمرو بن معد يكرب : صدقت ، الهجينُ عَرَفَ الهجين ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب إلى عمرو بن معد يكرب ألا تقدم على المدينة حتى تُرَضِيَ أميرك .

أما بملبك وحمص فهما معروفان ، ولا تزالان تذكران بهذين الاسمين ، ولكل واحدة بملبك وحمص منهما ذكر في الفتوح .

* * *

٣٤ — قال امرؤ القيس :

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الْحِصَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا

(١) الأذواء : ملوك اليمن ، كان يقال لواحد منهم : ذو جدن ، وآخر : ذو وزن ، وهكذا .

(٢) هذه رواية أبي سعيد السكري ، وهي أظرف من رواية غيره « ولا بن جريج في قري حمص

أنكرنا » .

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ بُدِّلَتْ آخَرًا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَرَأَيْتُ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

الحساء : هى المياه التى وردها امرؤ القيس لما دخل بلاد الروم ، أما مدافع قيصر : فهى الساحل ومدافع قيصر الواقعة على حدوده التى يدفع الأعداء بها .

* * *

٣٥ - وقال امرؤ القيس :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْذِفِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطْرَا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُذَارَانَ ظَلَمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرَا
فَهَلْ أَنَا مَا شِ بَيْنَ شَوْطٍ وَحَيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَيَّ قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا^(١)

تاذف « قرية » من قرى حلب .
و « طرطر » قال ياقوت فى معجمه^(٢) : قرية بوادى بطنان ، وهو وادى بزاعة قرب حلب ، يسمونها طلطل اليوم .

« قذاران » اسم رومى لقرية فى نواحي حلب ، كما رواه^(٣) ياقوت ، وهذه القرية كانت موجودة إلى عهد ياقوت ، وكانت معروفة بهذا الاسم ، وبحلب قرية يقال لها « أقدار » ملك ابنى أبى جرادة .

* * *

٣٦ - وقال امرؤ القيس :

تَبَصَّرْتُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجَى بِاللَّيْلِ مِنْ سَرَوْ حَمِيرَا
« سَرَوْ حَمِير » أعلى بلاد اليمن ، وهذا من تَوَجَّدَ على بلاده .

* * *

٣٧ - وقال امرؤ القيس :

أَجَادَ قُسَيْسًا قَالَطُهَا فَسَطَحًا وَجَوًّا فَرَوَى نَحْلَ قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا
قُسَيْسٌ وَالطُّهَاءُ : هذه مواضع فى جبال طيء ، ولا أعلم لها ذكراً اليوم^(١) ، فَمَا جَوُّ وَمِسْطَحٌ : فإن لها ذكراً قديماً فى أشعار العرب ، وهى واقعة فى أجأ ، قال حاتم الطائى :

(١) شوط وحية موضعان فى أجأ وهو الجبل الأول من جبال طى وشمر هم عنصر القبيلة الموجودة اليوم . (٢) المعجم ٤١/٦ . (٣) المعجم ٣٩/٧ . (٤) اتضح لى بعد التحرى الدقيق أن قسيساً والطهء ومسطحا مواضع فى أجأ لا تزال بهذه الأسماء إلى يوم الناس هذا .

لَيْلَى تَمْشِي بَيْنَ جَوْرِ وَمُسْطَحٍ نَشَاوَى لَنَا مِنْ كُلِّ سَاعَةٍ جَزْرُ

* * *

٣٨ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّ فِي الشَّعْبَيْنِ شِعْبٍ بِمُسْطَحٍ وَشِعْبٍ لَنَا فِي بَطْنِ بُلْطَةِ زَيْمَرَا
وقال أيضاً :

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوْرِ وَمُسْطَحٍ تَرَأَى الْفِرَاحَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلِ
وقال أيضاً :

وَكُنْتُ إِذَا مَا خِفْتُ يَوْمًا ظُلَامَةً فَإِنَّ لَهَا شُعْبًا بِبُلْطَةِ زَيْمَرَا
وقد ظهر لي من هذه النصوص كلها أن قيساً والطهء وجواً كل هذه الأسماء المذكورة
كاثنة في نواحي أجأ ، وأنا لا أعلم شيئاً بهذا الاسم في تلك الناحية .

* * *

٣٩ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيْلَالٍ وَأَعْصُرٌ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٌ بِمُسْتَمِرٍّ^(١)
لَيْلَالٍ بِذَاتِ الطَّلُوحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيْلَالٍ عَلَى أَقْرَ

أما مُحَجَّرٌ : فهو معلوم إلى يومنا هذا ولكنه يقال له اليوم « الحجرة » وهو في بلاد غنى
ابن أعصر بين شعبي الجبل المشهور في الحمى ، وبين الكشيبي الذي يقال له « عريق الدسم »
تصب في مُحَجَّرٍ أودية شعبي ، ويحجرها الكشيبي ، وليس للسيول منفذ ، فسمى مُحَجَّرًا الحجرة
السيلى ، وقد سموه اليوم « الحجرة » لهذا المعنى أيضاً ، قال طُفَيْلُ الْعَنَوِي^(٢) :

وَهُنَّ الْأَلَى أَدْرَكْنَ تَبَلَ مُحَجَّرٍ وَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ التَّنَائِيلُ تَنْشَبُ
وقال طفيل أيضاً :

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ مِنْ الْحَرِّ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّخَوُّبِ
وقال بشر بن أبى خازم :

مُعَالِيَةَ لَامٍ إِلَّا مُحَجَّرٍ وَحَرَّةٌ لَيْلَى السَّهْلِ مِنْهَا فُلُوْهُهَا
وقال زبد الخليل :

(١) في هذا البيت من الزحاف الكف ، وهو ثقیل ، ولو أنه قال : أَلَا إِنَّمَا دَهْرِي لَيْلَالٍ وَأَعْصَرُهُ
لَحَلَامُهُ ، ولكن الشعر الجاهلي قدامي نحو عن مثل ذلك . (٢) انظر شواهد محجر كلها في المعجم ٢٩٢/٧
(٩ - صحيح الأخبار ١)

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ مُحَجَّرٍ بِالْخَيْلِ مُحَقَّبَةً عَلَى الْأَبْدَانِ
نُزْجِي الْمَطَى مُنْعَلًا أَخْفَاهَا وَالْجُرْدَ مَرْسَلَةً بِلَا أَرْسَانَ
حَتَّى وَقَعْنَا فِي سُلَيْمٍ وَقَعَةً فِي شَرِّ مَا يُخْشَى مِنَ الْخَدَتَانِ
فَأَسْأَلُ غَرَابَ بَنِي فِزَارَةَ عَنْهُمْ وَأَسْأَلُ بَنِي الْأَحْلَافِ مِنْ غَطْفَانَ
وَأَسْأَلُ غَنِيًّا يَوْمَ نَعْفٍ مُحَجَّرٍ وَأَسْأَلُ كَلَابًا عَنْ بَنِي نَهْهَانَ
تَرْمِي بِهِنَّ بَغْمَرَةً مَكْرُوهَةً حَتَّى يَخْبِنَ بَنُو إِلَى الْأَذْقَانِ

أما محجر الذي بيناه فهو الذي عناه زيد الخيل في كلمته التي رويها ، وهو الذي عناه طَقِيلُ
الْفَنَوِي في بيتيه .

ذات الطلح : أما « ذات الطلح » : لجميع أودية شعبي أغلب نباتها الطلح ، وهي معروفة بكثرة الطلح
إلى يومنا هذا .

غراب : وغراب الذي ذكره زيد الخيل في مخاطبته بني فزارَةَ وغطفان : جبل أسود كأنه الغراب ،
فيه ماء قد وردته ، وهو أعلى الشعبة ، وهو واقع في بلاد غطفان ، ويقال له « غراب » إلى يومنا
هذا ، وهو في حرَّة سوداء .

أقر : أما « أقر » فهو وادٍ معروف تحميه الملوك ، وقد حماه عمرو بن الحارث الغساني وتربعت به
بنو ذبيان ، فأوقع بهم هناك ، فذلك قولُ النابغة :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذَبْيَانَ عَنْ أَقْرِ وَعَنْ تَرْبَعَةٍ مِنْ بَعْدِ إِصْفَارٍ
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّيْثَ مَنَقِبُضٌ عَلَى بَرَائِنِهِ لَعْدُوهُ الضَّارِي
وفي معجم^(١) ياقوت عن نصران « أقر » ملا في ديار غطفان قريب من أرض الشربة ،
وهذا الذي عناه امرؤ القيس قريب مُحَجَّر ، قال ابن مقبل :

مِنَّا خَنَازِيدُ فَرَسَانَ وَالْوَيْةِ وَكُلُّ سَائِمَةٍ مِنْ سَارِحِ عَكَرَ
وَنُورَةٍ مِنْ رِجَالٍ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَقُلْتُ لِأَحَدِي جِرَاجَ الْجَرِّ مِنْ أَقْرِ
وقال الشاعر^(٢) :

(١) المعجم ١ / ٣١٠ .

(٢) أقر في هذين البيتين والبيتين بعدها بضم الهمزة وسكون القاف ، وهو فيما قبل ذلك بضم
الهمزة والقاف جميعاً ، ويظهر من مراجعة ياقوت أنهما يطلقان على شيء واحد ، وإن كان ياقوت قد
أفرد كل واحد بترجمة ، وعلى هذا يكون إسكان القاف للتخفيف ، وذلك من سنن العرب في كلامها

تَوَزَّعْنَا نَقِيرَ مِيَاهِ أَقْرِ لِسَكْلُ بَنِي أَبِ مَنْفَقِيرُ
 حَصَّةٌ بَعْضُنَا خَمْسٌ وَسَتْ وَحَصَّةٌ بَعْضُنَا مَنَنْ بِيرُ
 وَقَالَ الْخُبَلُ بْنُ شَرْحِبِيلِ الْبَكْرِيُّ فِي بَنِي زَهْرَةَ . وَقَدْ مَنَعُوا سَعْدَ بْنَ مَسْعُودَ الْمَزَنِيَّ مِنْ
 الْيَمْدَى فِي صَدَقَاتِ بَكْرِ وَكَانَ يَلْبِهَا :

فَدَى لَبْنِي زَهْرَةَ يَوْمَ أَقْرِ وَقَدْ خَذَلُوا بِهَا أَهْلِي وَمَالِي
 فَهَمَّ مَنَعُوا مَظَالِمَ آلِ بَكْرِ وَقَدْ وَرَدُوا بِهَا قَبْلَ السُّوَالِ
 وَأَنَا لَا أَعْلَمُ « أَقْرَا » هَذَا الْاسْمَ الْيَوْمَ فِي نَجْدٍ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ ، وَقَدْ
 تَغَيَّرَ اسْمُهُ ، لِأَنَّهُ مَحْجَرًا مُجَاوِرٌ لِبِلَادِ غَطَفَانَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا الْكَشِيبُ الَّذِي يَدْعَى ، عَرَبِيٌّ الدَّمْسُ .

* * *

٤٠ — وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

أَغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هَرٍّ وَفَرَّتَنِي وَلِيدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هَرٍّ
 إِذَا ذُقْتُ فَأَهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُتَّقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ الثُّجَرُ
 كَنَائِمَتَيْنِ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ لَدَيَّ جُوذُرَيْنِ أَوْ كِبْعُضٍ دُمِي هَكْرُ

« تَبَالَةُ » وَادٍ ^(١) مُجَاوِرٌ لَوَادِي بَيْشَةَ يَنْصَبُّ مِنْ جِهَةِ الْقَرْبِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ ، بِأَعْلَاهُ
 قُصُورٌ وَمَزَارِعٌ ، وَأَسْفَلُهُ مَرْعَى لِلْبَوَادِي تَقَعُ قَرِيبَ بَيْشَةَ عَلَى شَاطِئِهَا . بَيْشَةُ الشَّالَى ، وَيَصُبُّ سَيْلُهَا
 فِي أَسْفَلِ وَادِي بَيْشَةَ . وَكَانَ وَادِي تَبَالَةٍ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ لَبْنِي مَازَنْ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبَ :

(١) وَفُرُوعُ تَبَالَةٍ وَاقِعَةٌ فِي بِلَادِ دُوسَ ، وَفِيهَا « ذُو الْخَلَصَةِ » الْعَصَمُ الْمَشْهُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِدُوسَ
 وَخَنَعَمَ وَبَحِيلَةَ وَمِنْ وَالَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ أَطَالَ السَّكَامُ عَلَيْهِ أَهْلُ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ ، قَالُوا : إِنَّهُ لَمَّا
 قَتَلَ حَجَرَ وَالِدَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الشَّاعِرَ ، قَتَلْتَهُ بَنُو أَسَدَ ، وَاسْتَجَارَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ
 مَرْثَدُ الْخَيْرِ بْنِ ذِي جَدْنِ الْحَمِيرِيِّ وَأَمَدُهُ بِحَيْشَ ، وَبَطْرِيْقُهُ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ فَاسْتَقَمَّ عِنْدَهُ بِأَقْدَامِهِ
 وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : الْأَمْرُ ، وَالنَّاهِي ، وَالْمُتَرَبِّصُ ، فَخَرَجَ لَهُ النَّاهِي ، فَجَمَعَ الْقِدَاحَ وَكَسَرَهَا وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ
 ثُمَّ قَالَ :

لَوْ كُنْتُ يَازَا الْخُلَصُ الْمَوْتُورَا مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْقَبْرُورَا
 * لَمْ تَنْهَ عَنِ قَتْلِ الْعِدَاةِ زُورَا *

فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ . وَأَحْرَقَهَا
 وَقَاتَلَتْهُ عِنْدَ ذَلِكَ خَنَعَمُ ، فَقَتَلَتْهُمْ وَهَزَمَتْهُمْ وَتَمَّ إِحْرَاقُ الْعَصَمِ ، وَجَرِيرٌ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلِهِ نَعَمَ الْفَقَى وَبُئِستَ الْقَبِيلَةُ

أُغْزُو رِجَالَ بَنِي مَازِنٍ بَيِّنُ تَبَالَةٍ أَمْ أَرْقُدُ؟
وهي التي يضرب بها المثل فيقال « أهون من تبالة على الحجاج » سميت بتبالة بن جفاب
ابن مكنف من بني غنم، قال لبيد :

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةً مُخَصِبَا أَهْصَامُهَا
وقال القتال الكلابي :

وَمَا مُغْزِلُ تَرْغَى بِأَرْضِ تَبَالَةٍ أَرَاكَ وَسِذْرًا نَاعِمًا مَا يَنَالُهَا
وترغى بها البرذنين ثم مقيلاً غياطل ملثفاً عليها ظلالها
بأحسن من ليلي ويلي بشبهها إذا هتكت في يوم عيد حبالها

وتبالة : باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا على شاطئ بيشة الشامي .

وأما هـ كـ فقد قال في معجم البلدان^(١) عن الأزهري : هو موضع أراه روميا ، وقال في
رواية أخرى عن ابن الأعرابي : مدينة لمالك بن سقار من مذحج ، وهو حصن باليمن من أعمال
ذمار ، وأنا لا أعلم في نجد موضعاً بهذا الاسم إلا موضعاً يقال له هـ كـ ران^(٢) : قريب الموية المعروف

* * *

٤٩ — وقال امرؤ القيس والحرث بن التوأم الشكري ، وكل يجيز لصاحبه :

أَحَارَ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارٍ مَجُوسَ تَسْتَعِرُّ اسْتِعَارًا؟
إلى أن قالا :

فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَدْفَى أَضَاخٍ وَهَتْ أَغْجَازُ رَيْقِهِ فَحَارَا
فَلَمَّ يَتْرُكُ بَذَاتِ السَّرِّ ظَنِيًّا وَلَمْ يَتْرُكْ بَقَاعَتَهُ جِمَارَا

أضاخ والسر : باقيا بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال أبو عبيد البكري في معجم ما استمع^(٣)
وعند أضاخ وجدت نعلًا شرحبيل بن الأسود الذي قتله الحرث بن ظالم فأحوى لهم الأسود
الصفاء الذي عند أضاخ ، وقال : إني أحذيك نعلًا من هذا الصفاء الذي يتوقد ، فأمشاهم عليها ،

(١) المعجم ٨ / ٤٦٩ والذي في ياقوت أن رواية الأزهري في موضع يقال له « هـ كـ » بفتح
فكسر ، وأنشد عليه أبيات امرئ القيس ، ورواية ابن الأعرابي في موضع يقال له « هـ كـ ران » بفتح
فكسكون ، ويقال بفتح فكسر ، والذي يظهر لنا أن سكون الكاف عند من يرويه بفتح فـ فكسكون
أصله للتخفيف على ما هو سنن العرب ، فظنوه موضعاً آخر .

(٢) ذكر ياقوت هـ كـ ران ، وقال عن عرام « هو جبل بمخاض مران » وهذا صحيح .

(٣) معجم ما استمع ١ / ١٦٤ .

فتساقطت أقدامهم ، قال شاعر من كنفدة :

على عهد كسرى تملّيتكم ملوكنا صفًا من أضاحٍ حامياً يتلمّب

وقال في معجم ما استعجم أيضاً عن ابن قتيبة : قال الأصمعي : وَجِدَ بَدِمَشَقَ حَجَرٍ مَكْتُوبٍ

فيه : هذا من ضِلَعِ أضاحٍ ، وقال الجعدي :

تَوَاعَدْنَا أَضَاخَهُمْ صَبَاحًا وَمَنْعَجَهُمْ بِأَحْيَاءِ غِضَابِ

وذكره صاحب معجم البلدان ، وأطال عليه ، قال في معجم^(١) البلدان عن الأصمعي : ومن

مياهم الرُّسَيْسِ ، ثم الأراطة ، وبينها وبين أضاحٍ ليلة ، وأضاحٍ سوق وبها بناء وجماعة ناسٍ ،

وهي معدن البُرَم ، وأضاحٍ على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وبه تصنع البرم إلى هذا العهد ، وهو

واقع بين نفي وبين الشقيقة .

أما السر : فهو كثيب مُرْتَكَم بين الهامة والشرف : طرفه الجنوبي محاذٍ من الهامة فروعَ
نساح من الجهة الغربية ، وعنده ماء يقال له دلقان ، وطرفه الشمالي يختلط بأُكْثَبَةٍ عظيمة وتندفع
شمالاً إلى قريب الجوف الذي كان يقال له في الزمن القديم « دومة الجندل » واسم « السر »
يطلق على ما كان من حد القصيم الجنوبي ، والمياه التي تلي النفود غرباً يقال لها « مياه السر »
وحدّها الشمالي المربع والعمار ، وحدّها الجنوبي الأنجل ودلقان ، قال جرير :

أَسْتَقْبِلَ الْحَيَّ بَطْنَ السَّرَامِ عَسَوْا فَالْقَلْبُ فِيهِمْ رَهِيْنٌ أَيْنَا أَنْصَرَفُوا

وقال خِرَار بن الأزور رضي الله عنه :

وَنَحْنُ مُنْعَنَا كُلٌّ مَنِيَّتِ تَلْعَةً مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَعَاهَا مُجَاوِرًا

من السَّرِّ والسَّراءِ وَالْحَزْنَ وَالْمَلَا وَكُنَّ مَخَنَاتٍ لَنَا وَمَصَائِرُ^(٢)

وقد نص ياقوت على أن السر والسراء بنجد في بلاد بني أسد . فأما السر المشهور الذي قال

فيه امرؤ القيس والحارث « ولم يترك بجانبها حماراً » فهو السر المعروف بهذا الاسم والذي هو

أُكْثَبَةٌ متراكمة تقطعها السيارات المتوجهة من مكة إلى الرياض الواقع بين وادي خف وبين

مرأة . وقد وردت فيه شواهد كثيرة من الأشعار والأخبار ، وأما السرة والسرر والسرار : فهي

مواضع معروفة ، فالسرة في نجد ، وسرر في بلاد بني أسد ، وسرر : في تهامة ، وجنابت السر

المذكورة الغربية كثيرة المياه ، فيها أعين جارية ، وفيها آبار كثيرة الماء قريبة المنزع ، وقد ذكرنا

(١) معجم البلدان ١ / ٢٧٩ .

(٢) المخنات : الساعات (ياقوت ٥ / ٥٧)

أنه واقع بين الجامة والشرف ، وفيه نخيل كثيرة .

* * *

٤٢ — وقال امرؤ القيس في قصيدة مطلعها :

دِيمَةٌ هَظْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقُ الْأَرْضِ نَحَرَى وَتَدَرُّ

إلى أن قال :

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيَةٍ عَرَضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسْرُ

أما « خيم » فقد ذكر في معجم^(١) البلدان خِيَمًا ، وذكر أنه ماء لبنى أسد ، وذكر أيضاً : خِيَمًا بوزن قَيْمٍ وقال : إنه اسم جبل بعمّاتين ، وأنشد لابن مقبل * حَتَّى تَنُورَ بِالزُّورَاءِ مِنْ خَيْمٍ * وهذا غلط : وإنما خَيْمٌ ماء في شُعْبٍ في جبال الحصاة الذي يقال لها اليوم « الحصاة » وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو الذي عناه المرقش الأكبر بقوله :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِجَنْبَى خَيْمٍ غَيْرَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الدَّيْمِ

وقال في معجم^(٢) البلدان : خَيْمٌ : بوزن غَيْمٍ جبل ، عن النوري . وقال الحازمي : ذات خَيْمٍ : موضع بين المدينة وبلاد غطفان ، ثم قال صاحب المعجم^(٣) : وذات الخَيْمِ من بلاد مهرة بأقصى اليمن .

أما التي عناه امرؤ القيس في شعره فهي معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقعة على وادي الرُّمَّة في جانبه الشمالى ، يقال لها « الخيمة » اليوم لبياضها ، وهى : جَبِيلٌ صغير غربى أبانين في جهة الشمال .

قال في معجم^(٤) البلدان : وعندها ماء يقال لها الغبارة ، ولا أعلم في تلك الناحية ماء بهذا الاسم ، إلا ماء يقال لها المعجاجة ، وقال بعض الأعراب :

خَيْرُ اللَّيَالِي إِنْ سَأَلْتَ بَلِيلَةَ لَيْلٍ بِخَيْمَةٍ بَيْنَ بَيْشَ وَعَثَرِ

بِضْجِيعِ آنَسَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا شَهْدُ يُشَابٍ بِمَرْجَةٍ مِنْ عَثَرِ

وَضْجِيعِ لَاهِيَةِ الْأَعْبِ مِثْلَهَا بِيضَاءُ وَاضِحَةٍ كَطَظِيطِ الْمُرَرِ

(١) معجم البلدان ٣ / ٥٠١ ولكل واحد من هذه الألفاظ ضبط يخالف ضبط الآخر ، عند يافوت .

(٢) المعجم ٣ / ٥٠٢ وذكر ذلك في « الخيمة » قال ثقلان الأصمعى « وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماء يقال لها الغبارة ، لبنى عيسى . »

ولأنتِ مثلُهما وخيرُ منهما - بعد الرقاد وقبل أنْ تَسْجِرَ

وأما « خُفَاف » فقد قال في معجم^(١) البلدان : بضم أوله وفادين - وهو من مياه عمرو بن كلاب ، وأنا لا أعلم اليومَ في نجد ماء بهذا الاسم ، وثمة خف وخفيف ، وهما واقعان في طريق السيارات المجاورة لنفود السر في بطن الوادي الذي ينصبُّ من وادي حميان والتسرير والدوادمي ، وتسلق مع القرنة التي تسلكها السيارات اليوم في صفراء السر ، فتتحدّر السيولُ ، وتمر بخفيف ، ثم بخف وتندفع إلى رياض السر ، وتجتمع في روضة يقال لها مطربة ، وكان وادي خف لبني مُنَمِّر في الزمن القديم ، قال الراعي النميري :

رعت من خفاف حيث نَقَّ عُبابه وحل الروايا كلَّ أسْحَمٍ ماطرٍ

والمجاور لخف من فُرَى السر المعروفة : بلد البرود ، وشرقة ، وسنادات ، وعسيلة هجرة الحفافة من الروقة ، وساجر هجرة الحفائش من الروقة ، وأما وادي خف فهو يُعَدُّ من أودية السر ، وخف وخفيف تعد من مياهه .

وأما يُسْر^(٢) فلا أعلم في نجد ماء بهذا الاسم ، إلا أن المتقدمين ذكروا في كتب المعاجم^(٣) نقباً في الأرض يمسك الماء ابني يربوع ، وذكروا أنه واقع في الدهناء أو قريباً منها ، قال طرفة ابن العبد :

أرَقَ الثَّيْنِ خيالَ لَمْ يقر طافَ والركبُ بصحراء يُسْرُ
جازت البيدة إلى أرْحُلنا آخرَ الليل بيمَ مُوَرٍ خَدْرُ
ثُمَّ زارتني وصحبي هُجْعُ في خليطين لُهدٍ ونَمِرُ
لا تَلْمِني إِنْها من نِسوة رُفْدِ الصَّيفِ مَقَاليتَ نَزْرُ

وقال جرير :

لما أتيتَ على خطابتي يُسْرُ أبدى الهوي من ضمير القلب مَكْنُونَا
فشبه القومُ أظلالاً بأسنمة ريش الحمام فزدنَ القلبَ تحزينا

(١) المعجم ٣ / ٤٥١ .

(٢) لعله الماء الذي يقال له « الأيسري » الواقع شرقي نفود سبيع . وقد اختلف في ملكيته بين سبيع وقبيلة المقطة فبعد منازعات طويلة جرت بينهم رأى جلالة الملك عبد العزيز أن يدفن وينقطع النزاع ، فدفن وعمى خبره ، وسبب النزاع طيب فلاته للابل وترغبه البوادي . المصنف .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٥٠٨ .

دار يجدها هطالُ مُدْجِنَةٌ بِالْقَطَرِ حِينًا وَنَعْمُوهَا الصُّبَا حِينًا
والتحديد المذكور في كلامهم يفيد أنه واقع في القطعة الشرقية من نجد :

* * *

٤٣ — وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

أَرَى نَاقَةَ الْقَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَيْنِ ذَاتَ هَيْبَابٍ نَوَارًا
رَأَتْ هَلَكًا بِنَجَافِ الْغَبِيطِ فَكَادَتْ تَجُذَّ لِذَلِكَ الْهَجَارًا

نَجَافِ الْغَبِيطِ زعم كثير من الشراح أن « نجاف الغبيط » جبل يشد به الرجل ، وليس بشيء ، وإنما
« نجاف الغبيط » الذي ذكره امرؤ القيس هنا موضع ، كقوله في المعلقة :

* وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاةً *

وأما الْغَبِيطُ فقد تقدم الكلام^(١) عليه وبيننا أنه واقع في بلاد غطفان ، وقال في معجم^(٢)
البلدان : النجفة : رملة فيها نخل في شرقي الحاجر بالقرب منه ، والحاجر : ماء معلوم بهذا الاسم
إلى يومنا هذا قريب النقرة ، وهو واقع بين بلاد بني أسد وبلاد غطفان ، ولا شك أن « نجاف
الغبيط » موضع غير أنى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٤٤ — قال امرؤ القيس :

عَفَا شَطْبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَعَرُورُ فَعَرُورَةٌ إِنْ الدِّيَارَ تَدُورُ
فَجَزَعُ مُحَيَّاةٍ كَأَنْ لَمْ تُقَمِّ بِهَا سَلَامَةٌ حَوْلًا كَامِلًا وَقَدُورُ

شطب قد غلط كثير من الشراح في ذكر شَطْبٍ إذ زعموا أنه جبل في بلاد بني أسد ، وأنا أقول :
لا نعلم أن في بلاد بني أسد جبلا يقال له شَطْبٌ ، غير أن الذي عناه امرؤ القيس جبل منقطع من
تَهْلَانِ كَأَنَّهُ مِنْهُ بِلُونُهُ وَشِمَابُهُ وَطُولُهُ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ تَهْلَانٍ قِطْعَةٌ مِنَ الصَّحْرَاءِ يَمْشِي فِيهَا السَّائِرُ
عَلَى أَقْدَامِهِ أَقْلٌ مِنَ السَّاعَةِ ، وَمَا زَالِ يَعْرِفُ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَهُوَ يَعُدُّ مِنْ جِبَالِ بَنِي
نَمِيرٍ ، كَمَا أَنَّ تَهْلَانَ يَعُدُّ مِنْ جِبَالِهِمْ ، وَقَدْ قَلَبُوا ثَاءَ « تَهْلَانِ » ذَالًا ، فَقَالُوا : ذَهْلَانُ ، قَالَ بَشَرُ
ابْنِ أَبِي خَازِمٍ :

سَائِلُ نَمِيرًا غَدَاةَ النَّعْفِ مِنْ شَطْبٍ إِذْ فَضَّتِ الْخَلِيلُ مِنْ تَهْلَانٍ إِذْ رَهْمُوا

(١) انظر ص ٣٢ من هذا الجزء في الكلام على البيت رقم ١٣ .

(٢) معجم البلدان ٨ / ٢٦٧ .

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

دعا معاشر فاستككت مسامعهم يالHF نفسي لو تدعو بني أسد
لوم حمانك بالحي حميت ، ولم يترك ليوم أقام الناس في كبد
كما حينك يوم الذعف من شطب والقصد للقوم من ربح ومن عدد
وكان منشأ خطأ الشراح أنهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي ، فظنوا أن هذا
الجبيل واقع في بلاد بني أسد :

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

بذي شطب أحداجهم إذ تحملوا وحتّ الحداة الناجيات الذواملاً

وقال عبيد بن الأبرص يصف سحاباً :

يا من لبرقي أبيت الليل أرقبه في عارض كفيض الصباح لمّاح
دان مسيف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
كان ريقه لما علا شطباً أقرب أبلق ينفي الخليل رمّاح
فمن يحوزته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشى بقزواح

قال في معجم البلدان^(١) على ذكر شطب ، عن نصر : جبل في ديار بني نمير ، وهو جانب
تهلان الشمالى ، أما هذا التعديد : فقد أصاب فيه كأنه براه ، وأما الروايات التي ذكرها قبل هذه
الرواية والتي ذكرها غيره من أصحاب المعاجم ، فقد أخطأت موضعه ، وهو واقع في ظقت وادى
الرشا الشرقية ، وظقت : وادى الشعراء الغربية ، وسيل الواديين يجتمع إذا خلفت شطباً .

وأما غرور الذى ذكره امرؤ القيس : فهي ثنية تقع على طرف جبل دمنخ الشمالى ، فيها
جبيلات سود صغار تقع هي في شماليها ، ويُعدّ غرور من دمنخ ، قال في معجم البلدان^(٢) : غرور
جبل بدمنخ في ديار عمرو بن كلاب ، وقد أصاب في قوله : بدمنخ ، قال السرى بن حاتم :

تلبّث عن بهيمة خادياها قليلاً ثم قاما يحذوان
كأنهما وقد طلعا غروراً جنباً احاً طائر يتقلبان

وغرور أيضاً : ثنية باليمامة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال في معجم البلدان^(٣) ،
وغرور أيضاً : ثنية باليمامة وهي ثنية الأحبسى ، ومنها طلع خالد بن الوليد رضى الله عنه في غزوته
إلى مسيلة ، والأحبسى : هو المسمى « وادى الحبسية » اليوم ، وشطب معروف بهذا الاسم إلى

(١) المعجم ٥ / ٢٦٥ . (٢) (٣ ، ٢) المعجم ٦ / ٢٨١ .

(١٠ - صحيح الأخبار ١)

حياة

يومنا هذا ، وغرور أيضا الواقع في اليمامة : معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ^(١) .
 أما « حَيَاة » فهو جبل منقطع من أبان في جهته الجنوبية مما يلي مطلع الشمس ، جبيل صغير يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وذلك أنهم يقولون له « حَيَاة » قال الراعي
 وَنَسَكَبْنِ زَوْرًا عَنْ حَيَاةٍ بَعْدَ مَا بَدَأَ الْأَثْلُ أَثْلُ الْغَيْثَةِ الْمُتَجَاوِرُ
 قال في معجم البلدان ^(٢) على ذكر حَيَاة : وهي ماء لأهل النهانية ، وهذا صحيح أقرب ما يكون لِحَيَاة التي يقل لها اليوم « حَيَاة » من القرى المعمورة قرية النهانية الواقعة في شرق أبان ، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم « حَيَاة » وبلغني أن عندها واديا كثير المياه بعثه أناس من حَرْب ، ولا يبعد أن تكون عيونا جارية أو تشرع غرستها في الماء ، كما شرعت في جبل سواج وفي جبل غول في هذا العهد الأخير .

فأما الأثل الذي ذكره الراعي في قوله * بدأ الأثل أثل الغينة المتجاور * فإن هناك واديين لا يبعدان عن « حَيَاة » يقال لأحدهما « الذيبية » والآخر « الدلبية » فيها أثل وطرفاء كثير ، ويراها الذي غادر « حَيَاة » متجها شمالا ، ومياهها قريبة كأنها عين ، وقد صرعا أناس من حرب واستوطنوها ، وهي عامرة اليوم .

* * *

٤٥ — وقال امرؤ القيس لما اشتد به مرضه وهو في بلاد الروم :

أَلَمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بِمَسَمَا
 كَأَنِّي أَنْادِي أَوْ أَكَلُّمُ أَخْرَسَا
 فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنَا
 وَجَدْتُ مَقِيلًا عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسَا
 فَلَا تُسْكِرُونِي إِنَّنِّي أَنَا ذَاكُمْ
 لِيَالِي حَلَّ الْحَيُّ غَوْلًا فَالْعَمَسَا

عَمَس

عَمَس : جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقع من ضَرْبَةٍ في الجهة الجنوبية ، ويليه جبل بينه وبين ضَرْبَةٍ يقال له « وسط » وهذا اسمه في الجاهلية ، وله دارة يقال لها « دارة

(١) يروي أن سبب تسميتها بذلك أن خالدًا رضى الله عنه جعل كمينًا لجيشه ، وأمرهم إذا التحم الصمان أن يأتوا عدوهم من هذه النية ويقطعوا عليهم خط الرجعة ، فكان سبب انتصارهم بعد أن انكشف المسلمون وتذامرت بنو حنيفة ، فهنا قالوا « غربتنا يا غرور » اه ، قال المصنف : إني أعرف هذه النية وأعرف موضع المعركة التي دارت بين بنى حنيفة وخالد بن الوليد رحمه الله ، يبعد بعضها عن بعض مسافة نصف يوم تقريبا ، إلا إن كانت بنو حنيفة زاحفة إلى طريق خالد ، لأن الحرب امتد أياما ، ولسكن المعركة الحاسمة في عقرباء ، وعقرباء معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والمسافة الواقعة بين عقرباء وثنية غرور أكثر من نصف يوم . (٢) المعجم ٤٠١/٧ .

وسط « ووسط هذا : في بلاد جعفر بن كلاب ، على مسافة أقل من نصف يوم من ضربة في جهتها الجنوبية الغربية ؛ فإذا كنت عند باب ضربة فانظر إلى سُبُلٍ فإنك تجد فوق عَمَس وتجد وسطا في النصف بين ضربة وعَمَس ، قال الشاعر :

دَعَوْتُ اللَّهَ إِذْ شَقِيتْ عِيَالِي لِيَرْزُقَنِي لَدَى وَسْطِ طَعَامَا
فَأَعْطَانِي ضَرْبَةً خَيْرَ أَرْضٍ تَمُجُّ الْمَاءُ وَالْحَبُّ التُّوَامَا
ولعمس دارة يقال لها « دارة عَمَس » وقد أكَثَرَتِ الشَّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ بَشَرُ
ابْنِ أَبِي خَازِمٍ :

لَمِنْ دِمْنَسَةٍ عَادِيَّةٍ لَمْ تَوُتْ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ السَّكْنَبِ فَعَمَسُ
لقد صدق في قوله « بسقط اللوى » فإن هناك قريب عَمَس « عريق الدسم » وهو سِقْطُ
اللوى ، وعريق الدسم : كَتِيبٌ يَقِفُ أَمَامَ عَمَسٍ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ ، وَيَتَدَلَّى إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ يَبَارِي
شُعْبَى تَارِكَهَا عَنْ يَمِينِهِ وَيَقِفُ فِي جِهَةِ وَادِي الرِّمَةِ . وقد ذكرنا أنك إذا كنت واقفاً عند باب
ضربة ونظرت إلى الجهة الجنوبية منها رأيت عَمَساً ووسطاً ، وتزيدك هنا أن عَمَساً جبل رفيع
عن الأرض ليس بالكبير أسود تلابسه شقرة ، أما وسط فهو جبل أسود نازل للأرض ليس
بالرفيع ، ذكروا أن رباحا الصانع ^(١) من سكان ضربة ، وأنا أعرفه ، اختتم هو وزوجته بنتُ
عثمان المزيني ^(٢) ، فلما اشتدَّ اللُّجَاجُ بينهما قالت : طلقني ، فخرج عند باب ضربة وقال : يا أهل
ضربة اشهدوا أن زوجتي بنت عثمان المزيني طالق عدد مافي مزارع ضربة من الحَبَّازِ ^(٣) ثم التفت
وراء جبل عَمَس وجبل وسط ، وقال : أشهدُ على يا جِبِلَّ عَمَسِ وَيَا وَسْطَ أَنِّي طَلَقْتُ ، وَأَهْلُ
ضَرْبَةٍ أَهْلُ كَذِبٍ ، أَخْشَى أَنْ يَحْجِدُوا الشَّهَادَةَ .

وأما غَوْلٌ : فقد مررنا على ذكره ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، ذكره لبید بن ربيعة في معاقته

(١) يطلق لفظ الصانع عند عامة أهل نجد على الذي يصنع الحديد والنحاس ، فأما صناعته في
النحاس فإنه يصنع منه القدور والجفان والأواني الصغار ، ويصنع من الحديد حذاء الخيل والمسامير
والمساحي والمحاش التي يعضد بها الشجر وغيره .

(٢) المزيني : رجل نجار ، والنجار عند أهل نجد : الذي يشتغل في الأخشاب كالأبواب على جميع
أنواعها والحمال والدراج التي يستعملها الفلاحون ، وجميع ما يوضع على ظهور الإبل من الأحداج
كأشدة والمسام والمواذج ، ولا يقوم بهاتين الصناعتين عند أهل نجد إلا الموالى .

(٣) الحَبَّازُ : هو نبات معروف عند جميع أهل نجد ينبت أيام الربيع ، ويكثر في مزارع
اتقري ، وهو نوع من العشب أخضر ، ورقه قدر الدرهم ، ليس بالرفيع عن الأرض .

وهو معروف في الجاهلية بهذا الاسم ، ولا يزال معروفا به إلى يومنا هذا ، وكانت به رقعة لضبة على بني كلاب ، قال أوس بن غلفاء :

وَقَدْ قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ تَقَطَّعَ يَابْنَ غُلَفَاءَ الْحَبَالِ
وقال أعرابي :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ تَغَيَّرَ بِمَدْنَا مَعَارِفَ مَا بَيْنَ اللَّوَى فَأَبَانَ
وهل برح الريانُ بعدى مكانه وغول؟ وَمَنْ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ؟
والريان باقي بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو وادٍ بين غول وطخفة ، وغول هذا : هو الذي قُتِلَ فيه جَنَامَةُ بن عمرو بن مُحَلَّم الشَّيْبَانِي ، قتله أبو شحنة طريف بن تميم النخعي في الجاهلية ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

أَجْنَمًا مَا أَلْفَيْتَنِي إِذْ لَقَيْتَنِي هَجِينًا وَلَا غَمْرًا مِنَ الْقَوْمِ أَغْرَلَا
تذكرت ما بين النجاء فلم تجد نفسك عن وِرْدِ المذبة مَزْخَلَا

وغول وشعب القد ، وطخفة ، والبكرات ، ومنى التي يقال لها اليوم « منية » هضبتها
حر كأنها مطلية بذهب ، بخلاف الهضبات التي تقع منها جنوباً وشرقاً فإنها سود كأنها غريبان
كحليت وكبشان وهضابه التي تليه .

وأما أُنَاسٌ : فقد قال صاحبُ معجم^(١) البلدان : هو اسمُ جبلٍ في بلاد بني عامر بن صعصعة
والجبالُ التي ذكرت معه في أبيات الشعر واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، غير أني لا أعرفه
اليوم بهذا الاسم .

الأس

٤٦ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِجٍ بِشُرْبَةٍ أَوْطَاوِ بِمِرْنَانَ مُوَجِسِ
تَعَشَّى قَلِيلًا ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ يُشِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسِ

أما شربة وعرنان فهما باقيان بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا ، إلا أن شربة استعاضت من
الباء ميما فسميت « شرمة » وهي مجاورة لعرنين ، ليست بعيدة عنه ، تقع من الخال المجاور للدفينة
على مسافة نصف يوم مما يلي مطلع الشمس ، قال رجل من غامد :

وَطَائِبَ نَفْسِي أَسْرَةَ غَامِدِيَةِ أَطَابُوا شِفَاءَ يَوْمِ شُرْبَةِ مَقْنَعَا

شربة

شفوني وأرضوني وأمسيته نائما وكنت قليلاً في الأيام مضجعا
وعرنان هذا جبل صغير يقع بين الأكموم وجبل هكران الواقع عن بلد المويه المحطة المعروفة
في الطريق من مكة إلى الرياض جنوباً ، وهو معروف بكثرة الوحش ، قال الشاعر ^(١) :
قلت لعلاق بعرنان : ما ترى ؟ فما كاد لي عن ظهر واضحة يبدي
وقال بشر بن أبي خازم :

كأنى وأقنادى على تحشة الشوى بشرية أو طاورٍ بفيفاء موجس ^(٢)
تمكث شيئاً ثم أنحى ظلوفه يشير القراب عن مهيت ومكس
أطاع له من جوء عرنين بارض ونبد خصال في الخائل مجلس
وقال القتال السكلابي :

وما مغزل من وخش عرنان أنلمت بسمتها أخلت عانيها الأواعس
تنبيه عن اشتباه يقع - أما الموضع الذي ذكره امرؤ القيس مع عرنان باسم شربة فنير « شربة » دفع التباس
بالميم التي هي هضبة في رأسها شرم ، وقد ذكرها أوس بن حجر مع أبان وذلك في قوله :
تشوب عليهم من أبان وشربة وتركب من أهل القنان وتفرع
فانظر في هذا البيت تجده قرن شربة بأبان والقنان ، أما أبان فهو واقع في وادي الرمة مما يلي
القصيم ، والقنان مجاور لسيمراء واقع بين بلاد بني أسد وبين بلاد غطفان .
واليك شاهداً آخر :

أرقنت لبرق آخر الليل دونه رضام وهضب دون رمان أفيج
بحزن شام كلما قلت قد ونى سنا والقرار الخضر في الدجن جنج
فأضحي له وبلى بأكناف شربة أجش سماكي من الوبل أفصح

ذكر أن هذا البرق ستره رضام وهضب دون رمان ، ورمان : جبل معروف في شمالي بلاد
بني أسد مجاور لجبلي طي أجاً وسلمي ، فأما ما ذكره امرؤ القيس بلفظ « شربة » فهو المعروف
اليوم بشربة في أرض مستوية كما ذكرنا . وهي بئر تردها العرب إلى هذا العهد .

* * *

٤٧ — وقال امرؤ القيس بعد الأبيات المتقدمة وهو يصف ظلياً تطرده كلاب القنص :

(١) البيت لشبيب بن البرصاء المري . (٢) رواية ياقوت (١٥٩/٦) لهذا البيت « بحربة
أوطاو بمسان موجس » . والفيفاء : البداء البعيدة من الماء .

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشَّرُوقِ غُدِيَّةً كِلَابُ ابْنِ مُرَاوِ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسِ
مُفَرَّثَةً زُرْقًا كَأَنَّ عُيُونَهَا مِنَ الدَّمْرِ وَالْإِيْحَاءِ تَوَارُ عَضْرَسِ
فَأَذْبَرَ يَتَكْسُوها الرِّغَامَ كَأَنَّهُ عَلَى الصَّمَدِ وَالْأَكَامِ جَذْوَةٌ مُقْبَسِ
وَأَيْقَنَ إِنَّ لَاقَيْنَهُ أَنَّ يَوْمَهُ بِذِي الرَّمْثِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمَ أَنْفُسِ

ذو الرمث

أما ذو الرمث فهو معلوم بهذا الاسم ، إلا أنه اختلف اختلافا قليلا فسمى « الرميثي » وهو : واد عظيم كثير الرمث يصب من جبل النير مُتَّجِماً إلى جهة الشمال ، يقطعه السالك من غنيفة إلى القاعية ، وإذا سلك سبله طريق السيارات اتجه إلى جهة الشرق واجتمع بوادي غنة ، ولم أر لغنة المعروفة اليوم بهذا الاسم ذكراً ، إلا ما ذكره صاحب معجم البلدان ^(١) قال « غُثَّتْ ماء لَفَنِي عن الأصمعي » وفي معجم البلدان عبارة أخرى أقرب من هذه قال « وقال أبو بكر ابن موسى : ذو غُثَّتْ جبل بحمي ضريبة تخرج السيول منه ومن نضاد » اهـ ، أما وادي غنة فهو يتجه إلى جهة الشرق ، ويترك جبل نضاد على يمينه ، ونضاد موجود بهذا الاسم إلى اليوم يقال له « النضادية » ^(٢) وأما « الرميثي » الباقي بهذا الاسم فهو الذي ذكره امرؤ القيس باسم ذي الرمث سمي الرميثي لكثرة نبات الرمث فيه ، والرمث : نوع من الحنظل ترغبه الإبل ، قال دريد ابن الصمة يذكر هذا الوادي :

ولولا جُنُونُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكْضَنَا بِذِي الرَّمْثِ وَالْأَرْطَى عِيَاضَ بْنَ نَاشِبِ
وقال ليبد بن ربيعة العامري وهو من أهل تلك الناحية :

بذى شطب أخذ أجها قد تحمّلوا وحثّ الحداة الناجيات الذواملاً

بذى الرمث والطرفاء لما تحملوا أصيلاً وعالين الحول الحوافلاً

وشطب : طرف تهلان الشمالى ، منفرد منه والرميثة : يصب من طرف النير الشمالى ، والمسافة الواقعة بين تهلان والنير أقل من يوم ، والمسافة الواقعة بين شطب والرميثة يوم للراكب المجتهد .

* * *

٤٨ - وقال امرؤ القيس :

تَرَأَيْتُ لَنَا يَوْمًا بِسَفْجِ عُيَيْرَةٍ وَقَدْ حَالَ مِنْهَا رَحْلَةٌ وَقُلُوصُ

(١) المعجم ٦/٢٦٨ (٢) وهو الجبل المنيف الذى يجعله سالك طريق الرياض على السيارات عن يمينه بعد أن يتكبد القاعية ويعلو الثنية المشرفة عليها من شرقها .

إلى أن قال :

كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالْفَرَابَ وَتَمُرُقِي إِذَا شُبَّ لِلْمُرُو الصَّارِ وَيَبِصُ
عَلَى يَفْنَقِ هَيْنَ لَهُ وَإِمْرَسِهِ بِمُنْتَرَجِ الْوَعَاءِ بَيْضُ رَصِيصُ
وَيَا كَذَنَ مِنْ قَوِّ لَعَا وَرَبَّةَ تَجَبَّرَ بَعْدَ الْأَكْلِ فَهَوَ نَمِيسُ
تَطِيرُ عَفَاءَ مِنْ نَسِيلِ كَأَنَّهُ سُدُوسُ أَطَارِنُهُ الرِّبَاحُ وَخُوصُ
تَضَيِّعُهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَسْغُ لَهُ نَصِيٌّ بِأَعْلَى خَائِلِ وَقَصِيصُ

أما غنيمة : فهي معلومة اليوم من مدُن القصيم ، وقد تقدم الكلام عليها ^(١) .

وأما الوغساء فهي أكثبة رمل متصل بعضها ببعض على طريق الحاج من البصرة إلى مكة الوغساء

قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلَ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ
وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ مَوْضِعًا بِهَذَا الْاسْمِ .

وأما « قَوْ » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، وقد اختلف الرواة فيه ، قال في معجم البلدان : ^(٢) قو

قال الجوهري : قو بين فيذ والنباج ، واستدل بيت امرئ القيس حين قال :

سَمَّاكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَفْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

وقو الذي ذكره امرؤ القيس في هذا البيت وقَرَنَهُ بِعَرَعَرِيقٍ فِي الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ نَجْدٍ ، وقد اندرس اسمه ، لأن عرعر الذي قَرَنَهُ امرؤ القيس به واقعٌ فِي الْمَضْبِ بِقَالَ لَهُ الْيَوْمَ : عَرَاعَرُ ، وَالْمَضْبِ وَاقِعٌ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ ، وَقَالَ زُرْعَةُ بْنُ تَيْمٍ الْحَطْمُ الْجَمْدَى :

وَإِنْ تَكُ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةُ حَيِّمَتْ بِقَوِّ فَإِنِّي وَالْجَنُوبُ يَمَانِ

وَمُعْتَرِبٌ مِنْ أَهْلِ لَيْلِي رَعِيَّتُهُ بِأَسْبَابِ لَيْلِي قَبْلَ مَا تُرِيَانِ

نَشَرْتُ لَهُ كَذَّانَةً مِنْ بَشَاشَةٍ وَمَنْ نَصَحَ قَلْبِي شُعْمَةً وَسَلَانِي

وأما قو الذي ذكره الحطيم لما نزل على الزُّبَيْرِ بْنِ بَدْرٍ وَتَرَكَهُ زَوْجُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ :

أَلَمْ أَكُ نَائِبًا فَدَعَوْتُمُونِي لِحَافَتِنِي الْمَوَاعِدُ وَالِدُعَاءُ

أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ فَتَرَكَتُمُونِي لِكَلْبِي فِي دِيَارِكُمْ عُوَاءُ

أَجِيلٌ عَلَى الْخَبَاءِ بِيْطُنَ قَوْ بَنَاتِ اللَّيْلِ فَاحْتَمِلِ الْخَبَاءُ

فإن قوا هذا الذي ذكره الحطيم واقعٌ فِي بِلَادِ بَنِي تَيْمٍ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ نَجْدٍ ، قَالَ فِي

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٢٠ . (٢) المعجم ٧ / ١٨٦ .

معجم^(١) البلدان : و بطن قو وادٍ يقطع الطريقَ ، طريقَ القاصد من البصرة إلى المدينة ، إلى أن قال « موضع تدخله المياه ولا تخرج ، وعليه قنطرة يعبر القنول عليها يقال لها بطن قو » ٥١ . ولا أعلم شيئاً بهذه الصفة ليس بينه وبين النجاج إلا مرحلة واحدة إلا أسفل وادى الرمة إذا ترك السالك عنيزة عن يمينه وانعرج إلى روضة الرغيفية ، وهي التي نصب فيها سيول الرمة ولا تخرج . وقد غلط كثير من الشراح والطباع في لفظة . قو . وجو . وخو . فحرفوها ، حتى إنهم ذكروا في بيت زهير بن أبي سلمى :

لئن خَلَّتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينَ عَمْرٍو وَحَالَاتِ بَيْنَنَا فَذَلِكَ

وزهير يعني خَوْ لأنها موجودة اليوم بهذا الاسم يقال لها « الخطوة » واقعة من سميراء في جنوبها الشرقي قريبَ الجبل الذي يقال له حبشى ، تقع في شرقيه .

أما « حائل » فهي المدينة المشهورة في جبل طيء ، واقعة من جبل أجأ في جنوبه قريباً حائل منه ، وهي باقية على اسمها إلى يومنا هذا . قال امرؤ القيس :

أَبْتُ أَجَأً أَنْ تُسَلَّمَ الْيَوْمَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْنَعْ لَهَا مِنْ مَقَاتِلِ
تَبَيْتَ لَبُونِي بِالْقَرْيَةِ أَمْنًا وَأَسْرَحَهَا غَنِيًّا بِأَكْنَافِ حَائِلِ
بَنُو تُعَلَّ جِبْرَانَهَا وَحَمَاتَهَا وَتَمَنَعَ مِنْ رَجَالِ سَعْدٍ وَذُنُلِ

ودخل بدوى إلى الحضرم وهو في العراق ، فاشتاق إلى بلاده ، فقال :

لِعَمْرِي لَنَوُرُ الْأَفْحَوَانِ بِحَائِلِ وَنَوُرُ الْخَزَامِي فِي الْإِاءِ وَعَرْفَجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا يَا حَمِيدُ بْنُ مَالِكٍ مِنَ الْوَرْدِ وَالْخَيْرِي وَذَهْنُ الْبَهْمَقِ
وَأَكْلُ يَرَابِيعِ وَضَبٍ وَأَرْبِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سُمَالِي وَتَدْرَجِ
وَنَصُّ الْقِلَاصِ تَذْمِي أَنْوَفَهَا يَحْمُنُ بِنَا مَا بَيْنَ قَوْ وَنَمِجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَفِينِ بِدَجَلَةِ وَدَرْبِ مَتَى مَا يَظْلِمُ اللَّيْلُ يُرْتَجِ

أما حائل فقد ذكرها امرؤ القيس في مواضع كثيرة من شعره ، وسنمر على بعض المواضع التي فيها ذكر حائل .

* * *

٤٩ — قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

أَعِنِّي عَلَى بَرْقِ أَرَاهُ وَمِیْضِ يُضِيءُ حَبِيئًا فِي شَمَارِيحِ بِيضِ

إلى أن قال :

فَعَدْتُ لَهُ وَصَحْبَتِي بَيْنَ صَارِجٍ وَبَيْنَ تِلَاعٍ يَثْلُثُ قَالَعِ رِيضٍ
أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لَوَاهُمَا فَوَادِي الْبَيْدَى فَاثْنَحَى لِلْأَرِيضِ

أما ضارج : فقد تقدم الكلام عليه ^(١) وهو في هذا الشعر واقع بين بلاد بني أسد و بلاد غطفان .

وأما يَثْلُثُ : فهو جبل في عالية نجد ، يقال له اليوم « أثلت » أبدل القوم ياء همزة ، وهو واقع بين ثملان ودمخ ، جبيل ليس بالكبير بين الشقرة والسواد .

وأما العريض الذي ذكره امرؤ القيس فهو عرض ابني شمام ، يقع في سواد باهلة ، وهو جبل متصل بعضها ببعض ، يقال لها اليوم « العرض » وهو يحاذي يثثل المذكور ، إذا سال يثثل من سحاب ، وهو على مسيره إلى جهة الشرق يسيل منه العرض ، وفيه قرى كثيرة ومزارع وأودية عامرة ، من أوديته « وادي الخنفة » قال القمي العقبلي :

تَحْمَلُنْ مِنْ بطنِ الْخُنُوقَةِ بَعْدَ مَا جَرَى لِلثَّرْيَا بِالْأَعَاصِيرِ بَارِحَ

وقرى العرض : أكبرها بلد القويعية ، ووادي القويعية أسفلها البلد المشهورة بهذا الاسم ، وأعلىها ثنية ابن عصام الباهلي التي يقال لها اليوم « ريع الشعر » وفي هذا الوادي مما يلي بلد القويعية « بلد مزعل » وسكانها العراف من جبور بن خالد و « بلد الجفارة » وهي تبعد عن مزعل مسير ثلاث ساعة للسائر على قدميه ، وأعلى القرى قصور القويع ، إذا كنت منحدراً تبدأ بالقويع وتنتهي بالقويعية ، وهو منقطع من اليمامة بينه وبينها أربع مراحل ، جباله سود ، يقال له اليوم « العرض » وهو الذي عناء امرؤ القيس في هذا الشعر بقوله « العريض » وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضع : العرض الذي تقدم ذكره ، والعارض المتصل من العك إلى وادي برك ، وهذا يقال له « عارض اليمامة » والمويرض المتصل من وادي برك إلى وادي الهدار وطرف الأفلاج الجنوبي ، وهذا الجزء كله يقال له : المويرض ، وهو في اليمامة أيضا .

وأما « قُطَيَّاتٍ » فهي هَضَبَاتٌ حُرٌّ معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمها في الجاهلية إلا أنه تغير قليلا بإبدال بعض الحروف ، وفي جنوبى حتى ضرية هضبات حر ، يقال لها اليوم « مغطيات » زادوا على قطيات ميا ، وأبدلوا القاف غينا ، وهي واقعة شرقي جبل شعر المشهور بعالية نجد ، تبعد عنه مسافة نصف يوم ، وهناك هَضَبَاتٌ بها ماء وقلات بالقرب من ضرية في جهتها الجنوبية يقال لها « مطبوى ضرية » ، وهناك هضبات حر في طرف شمعى مما يلي شمالها ويقال لها « المطبويات » وهي واقعة في نفس الحلى حتى ضرية ، والأول أقرب لمغطيات ، قال

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء في شرح البيت رقم ٤ .

مُطَيْرِ بْنِ أَشْثِمِ الْأَسَدِيِّ^(١) :

فَجَالَ جَابُ كَسْفُودِ الْحَدِيدِ لَهُ وَسَطَ الْأَمَاعِزِ مِنْ نَقَعِ جَنَابَانِ
تَهَوَّى سَنَابُكَ رَجْلِيهِه مَجْنَبَةً فِي مَكْرِهِ مِنْ صَفِيحِ الْقَفِّ كَذَّانِ
يَنْتَابُ مَاءَ قُطَيَّاتٍ فَأَخْلَفَهُ وَكَانَ مِنْهُ لَهُ مَاءُ بَحْوَِرَانِ
تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ طَافِيَةً كَأَنَّ أَعْيُنَهَا أَشْبَاهُ خَيْلَانِ

وأما وادي الهدى فيأتي الكلام عليه إن شاء الله في معلقة لبديد .

فأما الأريض : فهو كما ذكره امرؤ القيس ، لكنني لا أعرفه بهذا الاسم .

البدي

الأريض

٥٠ — وقال امرؤ القيس :

لَمَعَرِي لَقَدْ بَأَنْتُ بِحَاجَةِ ذِي الْهُوَى سَعَادٌ ، وَرَاعَتْ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعَا
وَقَدْ عَمَرَ الرُّوَصَاتِ حَوْلَ مُحَطَّطٍ إِلَى اللَّحْجِ مَرَأًى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعَا
مَتَى تَرَى دَارًا مِنْ سَعَادٍ تَقِفُ بِهَا وَتَسْتَجِرُ عَيْنَاكَ الدُّمُوعَ فَتَدَمَعَا
أما الروضات ومخطط واللح فهي مواضع ، ولكنني لم أعرفها بهذا الاسم إلا في جهة اليمن ، قال أبو شمير الحضرمي^(٢) :

الروضات
ومخطط واللح

عَفَا مِنْ سُلَيْمِي رَوْصَاتَا ذِي الْحَابِطِ إِلَى ذِي الْعَلَاقِ بَيْنَ خَبْتِ خَطَائِطِ

فهذا شاهد صاحبُه يمان ، وهناك موضع قريب وادي الرمة يقال لها « الخطائط » يقع من وادي الرمة في شماليه ، ومخطط الذي ذكره امرؤ القيس يمكن أن يكون قريبا من تلك الناحية ، وأن اسمه قد تغير وسمى الخطائط ، قال مالك بن نويرة في يوم الغبيط حين هزمت يربوع بنى شيبان ولم يشهده^(٣) :

وَلَا أَكُنْ لَا قَيْتُ يَوْمَ مُحَطَّطِ فَقَدْ خَبَّرَ الرِّكْبَانُ مَا أَنْوَدُ
أَنَا بِنَقْلِ الْخُبَرِ لَمَّا نَقِيَتْهُ رَزِينٌ وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَصَمِّدُ
فَأَقْرَرْتُ عَيْنِي يَوْمَ ظَلَوْا كَأَنَّهُمْ بِيْطَانُ الْغَبِيْطِ خُسْبُ أَثَلٍ مُسَدَّدُ
صَرِيْعٌ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَنْقُرُ عَيْنَهُ وَآخِرُ مَكْجُولِ يَمَانٍ مَقِيدُ

فهذا الشاعر رجل من بني يربوع ، ومنازلهم في أسفل وادي الرمة على حدود القصيم ، وهو رجل مشهور بفروسيته ومجده ، قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ، وهو الذي رثاه أخوه مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ

(١) الأبيات في معجم ياقوت ٧ / ١٢٨ . (٢) المعجم ٧ / ٤٠٢ . (٣) المعجم ٧ / ٤١٠ .

في قصيدته حين قال :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

٥١ — وقال امرؤ القيس وهو برثى الحارث بن حبيب السلمي ، وكان قد خرج معه إلى

الشَّام ومات في بصرى :

تَوَى عِنْدَ الْوَدِيَّةِ جَوْفَ بُضْرَى أَبُو الْأَيْتَامِ وَالْكَلِّ الْعِجَافِ
فَنَنْ يَحْمِي الْمُضَافَ إِذَا دَعَاهُ وَيَحْمِلُ خُطَّةَ الْأَنْسِ الضَّمَّافِ^(١)
و بصرى : قد مضى الكلام عليها^(٢) وأنها قاعدة حوران . وهي باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا

٥٢ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ فَانْطِقِ وَحَدَّثَ حَدِيثَ الرِّكْبِ إِن شِئْتَ فَاصْدُقِ
وَحَدَّثَ بَأْنَ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ كَنَحْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُتَّبِقِ
جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَمَعْنَ قَعَائِدًا وَحَقَّقْنَ عَنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ الْمُنْمَقِ
عَلَى إِمْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنَيْبَةٍ كَفَلُوا الْعَقِيقَ أَوْ تَنِيَّةَ مُطْرِقِ

الأعراض

أما الأعراض فهي أعراض اليمامة ذات النخيل .

العقيق

والعقيق : في هذا البيت يقصد به عقيق اليمامة ، وهو واد ينصب من الغرب إلى جهة الشرق

بطرف عارض اليمامة جنوبى الأفلاج .

مطرق

وأما مطرق : فهو ملزم ماء في بلاد بني تميم الشرقية ، قال ذو الرمة :

(١) وقع في الديوان « فن يحمى المضاف » وضبطه بفتح الميم وبالضاد المعجمة ، وفسره الشارح
الهندوني بساحة الحرب ومعترك الزلزال ، وليس بشيء ، وإنما هو « المضاف » بضم الميم وبالضاد المعجمة -
وهو الذى ألجأته الحاجة وأثقله الهم والشعر ، وهى عبارة كثيرة الورد فى شعر العرب ، فمن ذلك قول
البريق الهندلى :

ويحمى المضاف إذا ما دعا إذا ما دعا اللمعة الفيلم

ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكرى :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نهته المتورد

(٢) انظر ص ٦٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٢٩ .

نَصَيَّفَنَ حَتَّى أَصْفَرَ أَنْوَاعَ مَطَرٍ وَهَاجَتِ لِأَعْدَادِ الْمِيَاهِ الْأَمَارِ
وهو واقع بالقرب من عارض اليمامة ، قال في معجم البلدان^(١) عن الحفصى : ومن قلات العارض
المشهوره - يعنى عارض اليمامة - الحاييم ، والحجائز ، والنظيم ، ومطرق . قال مروان بن أبى حفصة
إذا [ما] تَذَكَّرْتُ النَّظِيمَ وَمَطْرُقًا حَنَنْتُ وَأَبْكَاكَ النَّظِيمَ وَمَطْرُقُ
فأما مطرق : فقد اندرس اسمه هذا ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

وأما النظيم : الذى قرَّنه مروان بن أبى حفصة مَطْرُقُ فهو باقى بهذا الاسم إلى اليوم فيه ماء
ينصبُّ من ثنية بنى سدوس إلى وادى الأحيسى الذى يقال له اليوم « وادى الخيسية » إذا كنت
قاصداً الرياضَ عاصمةً نجد وكنت فى وادى الأحيسى قبل أن تحصل خراب العينه فالنظيم على
يسارك ، فيه ملزم ماء لا ينقطع^(٢) .

وأما عقيق اليمامة : فهو كما ذكرنا ، قال فى معجم^(٣) البلدان : قال السكونى : عقيق اليمامة
لبنى عقيل ، فيه قرى ومخيل كثيرة ، ويقال له « عقيق تمر » وتمره : قرية باقية بهذا الاسم إلى
يومنا هذا ، أعرفها بتلك الناحية ، وقال شاعر من بنى عقيل فى ذكر عقيقهم :
تَرْبَعُ لَيْلَى بِالْمُصَيِّحِ فَالْحَى وَتَحْفَرُ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ السَّوَاقِيَا
وقال الفرزدق :

أَلَمْ تَرَ أَنَى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتِ فَنَادَتْنِي هَنِيْدَةً مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبَكَاءَ لَرَّاحَةٌ بِهِ يَشْتَفَى مِنْ ظَنٍّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
فَقَبِي وَدَّعِينَا يَا هَنِيْدَةَ فَإِنِّى أَرَى الرِّكْبَ قَدْ سَامُوا الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا
والركب متجهون من عارض اليمامة إلى اليمن ، فجعله الفرزدق عقيقا يمانيا ، وهو موجود
اليوم بهذا الاسم واقع بين الأفلاج ووادى الدواسر ، وهو إلى الأفلاج أقرب من الوادى ، فيه
نخل ، وسكانه من الدواسر ومواليهم .

* * *

٥٣ - وقال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَهْلًا الطَّلُلُ الْبَالِي وَهَلْ يَمَعَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْصَرِ الْغَالِي

(١) المعجم ٨ / ٨٦ فى ترجمة (مطرق) . (٢) والنظيم أيضا : قلتان عظيمتان فى أعلى وادى
صفار غربى بلد الدرعية ، وهذا الموضع كثرته يرتاده من شاء الزهرة من أهل الدرعية وقت الربيع .
(٣) المعجم ٦ / ١٩٨ .

إلى أن قال :

دِبَارُ سَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ أَلَحَّ عَلَيَّهَا كُلُّ اسْحَمٍ هَطَّالٍ
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًّا مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمِثَاءٍ يَخْلَلِ
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا بَوَادِي الْخَزَامَى أَوْ كَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ

أما الخال فهو جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قريب الدفينة الماء المشهور في طريق نجد بين المويه وعفيف ، يقع من الدفينة في جنوبيها الغربي على مسافة ساعة الدامشي المجيد ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

أَهَاجِكَ بِالْخَالِ الْخَوْلُ الدَّوَاعُ فَأَنْتَ لَمْ تَوَاهَا مِنَ الْأَرْضِ نَازِعُ
وقال عمرو بن معد يكرب :

وَهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ الْخَالِ قَيْسًا وَأَشْمَتَ سُلُوسًا مِنْ غَيْرِ عَهْدٍ
وفيه ماء يقال له « خالة » وهو سكب بن وَبَرَة في بادية الشام ، قال النابغة :
بِخَالَةٍ أَوْ مَاءِ الذَّنَابَةِ أَوْ سَوَى مِظْنَةَ كَلْبٍ أَوْ مِثَاءَ الْمَوَاطِرِ

وقد ظننت أول الأمر أن النابغة قصد بخالة خال الدفينة ، لأن الذناب قريب منه ، ولكنني رأيت أنه ذكر « سوى » وهي واقعة في بلاد كلب بن وَبَرَة في أرض مضلة ، ففي فتوحات خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أخذ دليلا من طيء لقطع المسافة يقال له رافع ، فلما ورد بهم الماء قل الشاعر :

لله در رافع لما اهتدى فوز من قراقر إلى سَوَى

وسوى في طريق الشام ؛ لما رأيت أنه ذكر سوى علمت أن خالة هناك في بلاد كلب بن وَبَرَة .
أما ميثاء فهي لفظة مستعملة عند العرب للأرض السهلة المستوية .

ووادى الخزاعي لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، ولا أشك أنه موضع قد تغير اسمه أو بعضه .

وأوعال : جبل أحمر باق على اسمه إلى اليوم ، إلا أنه تغير قليلا فسموه « وعلة » فهو الآن يذكر بهذا الاسم ، وموقعه بين جبل كرش وبين جبل السكبدى ، وهو إلى جبل كرش أقرب ، وهو في القطعة الجنوبية الغربية من نجد ، وجبل كرش وجبل وعلة قريبان من ماء الصمخة يقعان منها في الجهة الجنوبية الغربية ، وسمى أوعالا لأنه تصطاد فيه الأوعال^(١) ، لأن الأوعال لا ترتفع إلا في شعاف الجبال ، وقال عمرو بن الأهتم :

قفا نبيك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

(١) الأوعال : جمع وعل ، وهو النيس الجبل .

الرضم

أما الرضم فهو باقي هذا الاسم إلى يومنا هذا ، لم يتغير ، وهو ماء مشهور واقع في فيضة وادي
النيه ووادي الجريب إذا قربتا من وادي الرمة ، سمي الرضم لكثرة الرضم المحيط به من هضبات
وغيرها ؛ أما الرمانتان فهما واقعتان في طرف رمان الجبل الواقع في بلاد بني أسد ، وهما بهذا الاسم
إلى يومنا هذا في طرف رمان ، أما أوغال : فهو الذي ذكرنا أنه « وعلة » وهو الذي ذكره عمرو
ابن الأهم ، وهناك رمانتان في البلاد الشرقية قريب الأحساء ، وهما هضبتان صغيرتان واقعتان من
بلاد الأحساء في شمالها ، قال عرقل بن الحطيم العسلي :

أصمرك للرمات إلى بشاء فخرم الأشيمين إلى صباح^(١)
وأودية بها سلم ويدر وحض هيكل هذب النواحي
أسافلن ترفض في سهوب وأعلامن في لطف وراح
تحل بها ونزل حيث شئنا بما بين الطريق إلى رماح
أحب إلى من أطام جوى ومن أطواها ذات التناحي

والرمانتان صباح ورماح ، كلها باقية بهذه الأسماء : أما صباح فهي أرض « صباحا » في
أسفل سدير ، تقع في الجهة الشرقية . وقد تقدم الكلام عليها وذكرنا سبب تسميتها صباحا^(٢)
ورماح : ماء قديم جاهلي على طريق الأحساء بينه وبين نجد مما يلي الدهناء في جهتها الغربية ،
والرمانتان اللتان ذكرناهما قريب بلاد الأحساء في جهتها الشمالية .

* * *

٥٤ — وقال امرؤ القيس :

ومثلك بينضاء العوارض طفلة لعوب تنسني إذا قمت سيربالي
إذا ما استحمت كان فيض جميعها على متفتها كالجمان لذي الجالي
تنورتها من أذرع وأهلها ييثر أذلي ذارها نظر عالي
أما أذرعان فهي من نواحي اللقاء بين الشام وعمان ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها أيام
الفتوحات في صدر الإسلام ، قال بعض الأعراب^(٣) :

أذرعان

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ويجلودجى الظلما ، ذكرني نبي نجد
وهيجتني من أذرع ، وما أرى بنجد على ذي حاجة طربا ، بمد
لم تر أن الليل يقصر طوله بنجد ، وتزداد الرياح به بردا

(١) لا يتم وزن هذا البيت إلا بتخفيف الميم من « رمان » ونس ياقوت أنه بتشديدها ، وانظر
المعجم ٤ / ٢٨٣ . (٢) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء . (٣) للمعجم ١ / ١٦٣ .

وأذرعنا باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا وليست مجهولة .

يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويثرب : اسم قديم من أسمائها ، ذكروا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثا ، فإنها طيبة ، وقد أكثر الشعراء من ذكر يثرب ، قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي تخاطب أخاها ضبأ لما حلما إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وتزوجها وقتل وهي عنده :

أحَقَّا تَرَاهُ الْيَوْمَ يَاضِبُ أُنَى مُصَاحِبَةٍ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكَبَا
لَقَدْ كَانَ فِي فَتْيَانِ حِصْنِ بْنِ ضَمْضَمٍ لَكَ الْوَيْلُ مَا يَمْحِزِي الْخِلَاءَ الْحُجَبَا
قَضَى اللَّهُ حَقًّا أَنْ تَمُوتَ غَرِيبَةً بِيَثْرِبَ لَا تَلْقَيْنَ أَمَّا وَلَا أَبَا

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر « اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك إلى ، فأسكنني أحب أرضك إليك » فأسكنه الله المدينة ، وإليها تُنسب السهام اليثربية ، قال كثير عزة (١) :

وَمَا كَانَ الْيَثْرِبِيَّةُ أَنْصَلَتْ بِأَعْقَارِهِ دَفَعَ الْإِزَاءَ نَزُوعِ

* * *

٥٥ - وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي بِفَتْحَاهُ الْجَنَاحَيْنِ لَقَوَةَ صَيُودٍ مِنَ الْعُقْبَانِ طَاطَأَتْ شِمْلَالَ
تَحْطَفُ خِزَّانَ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا تَعَالِبُ أَوْرَالِ
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِ

اختلف الرواة في تحديد الشربة ، والصحيح أن حدّها الشرق « عريق الدسم » المحاذي لشُعْبَى الْجَبَلِ المشهور في الحى ، وحدّها الشمالى ماوان والنقرة ، وحدّها الجنوبى وادى الجريب الذى يقال له اليوم « وادى الجرير » وحدّها الغربى جبال الشمبة التى فيها عدنة ، واسكن عدنة في عهدنا هذا قد أبدلت عينها باء فهي تسمى اليوم « بدنة » ، والمياه الواقعة في الشربة : الرضم وهو في شرقيها ، والجثوم والضريح وشعب العسيبيات ، والعسيبيات : جبال حمر في جنوبى الشربة ، وأبو طريفى والغشة في جنوبىها أيضا . ومنهم من قال : إن حدودها الغربية تمتد إلى جبال أبلى ، وسيأتى الكلام عليها ، وجبال هضب الشرار المسمى بهذا الاسم اليوم وهو فيما سبق هضب شَرَوْرَى (٢)

(١) ديوان كثير عزة ١ / ١٣٠ . (٢) وهضب القتاد : هو الذى كان يسمى فيما

سبق « هضب القليب » وعامة أهل نجد يسمونه اليوم « هضب القتاد » .

وأما المياه الواقعة في شمالي الشربة فهي : طلال ، وحسي عاليا ، والنفازي ، وبلقة ، والمأوية .
وأما النقرة فهي منقطعة من بلاد غطفان داخلية في بلاد بني أسد ، والمشهور عند جميع الرواة أن
الشربة واقعة في بلاد غطفان .

وقد سمي الرضيم بهذا الاسم لكثرة هضابه ، وربما قيل له : رضام ، قال السيد الحميري :
وأصْبَحَ راسيا برضامَ دَهْرًا وسال به الحائل في الرمال
الرمال : هو « عريق الدسم » الواقع في شرقي الرضيم ، وقال تميم بن [أبي بن] مقبل :
أرقت لبرق آخر الليل دونه رضام ، وهضب دون رمان أفيح
وقال عمرو بن الأهتم التيمي وقد أوردنا هذا البيت فيما مضى على ذكر أوعال :
قفا بك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرضيم فالرمانتين فأوعال
وقال الراعي في ذكر الجنوم والمضيح :
تروحن من هضب الجنوم ، وأصبحت هضاب شروزي دونه فالمضيح
وهضب شروزي هو الذي مر ذكره ، وهو اليوم يسمى « هضب الشرار » وقال القتال السكلابي
في المضيح ^(١) .

عفا لقلق من أهله فالمضيح فليس به إلا الثعالب تضيح
وقال الطرماح :

وليس بأدمان الثنية موقد ولا نابع من آل طيبة ينبع
لئن مرّ في كرمان ليلي ، فرما حلا بين تلّ بابل فالمضيح
وقال كثير :

فأصبحن بالعباء يرمين بالحصى مدى كل وحشيّ لمن ومستم
موازنة هضب المضيح ، وانقت جبال الحمى والأخشين بأخرم

لقد أصاب كثير ، لأن اللعناء مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم ، وهي مقابلة للمضيح في الجهة
الشمالية وجبال الحمى في الجهة الشرقية ، أما العسيديات فقد قال الأصمعي : إن في عالية نجد جبلا
يقال له : عسياء ، وأما الشعب الذي أضفناه للعسيديات فلم أر له ذكرًا في الشعر القديم ، وأما
أبو طريفي فهو ماء حديث يعلم خروجه المسنون من أهل نجد ، وأما النشة : فلم أر من ذكرها في
الشعر القديم بهذا الاسم ، وأما طلال فهو ماء معروف بهذا الاسم في الجاهلية ، قال أبو صخر

(١) انظر هذه الشواهد في المحجم ٨ / ٨٢ .

الهذلي^(١)

يُفِيدُونَ الْقِيَانَ مَقِينَاتٍ كَأَطْلَاءِ النَّعَاجِ بِذِي طَلَالٍ
وَصُلْبِ الْأَرْحَبِيَّةِ وَالْمَهَارِيِّ مَحْسَنَةِ تَرْيُّنٍ بِالرَّجَالِ

وعنده جبل يقال له جبل طلال ، قال الفرزدق :

فِي جَعْفَلٍ لَجِبَ كَانَ زُهَاهُ جِبِلَّ الطَّلَالِ يَضَعُضِعُ الْأُمْيَالَ^(٢)

وأما « حسي عليا » فبالقرب منه ماء يقال له : المرير ، والمريرة ، وفي بعض الأشعار يضاف

الحسي إليها ، قال الشاعر :

أَيَا تَحَنَّنِي حَسَى الْمَرِيرَةِ ، هَلْ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى ظَلِيكِنَا أَوْ جِنَانَا
أَيَا تَحَنَّنِي حَسَى الْمَرِيرَةِ ، لَيْتَنِي أَوْ كُنُ طَوَالَ الدَّهْرِ حَيْثُ أَرَاكَ

سمى المرير والمريرة لأن ماءه ملح ، قال أعرابي وهو يصبُّ ليلبه وتسكظم عليه ولا تُسِفِّغُه :

هَذَا الْمَرِيرُ فَاشْرَبِيهِ أَوْ ذَرِي إِنْ الْمَرِيرَ قِطْعَةً مِنْ أَخْضَرِ

وأما « النفازي » فلم نجد له ذكرا في شعر الجاهلية ، وهو بهذا الاسم ، وأما بلغة اليوم فلم نجد لها ذكرا أيضا ، وهي بهذا الاسم اليوم . وماوان قد تقدم الكلام عليه في بائية امرئ القيس^(٣) .

وقد حدد الشربة جميع الرواة الخبيرين بنجد وبقاعها كالأنصمي ، وآخر تحديد لها تحديد

الكتاب الأديب رشدي ملحس ، ونحن استقصينا في تحديدها فيما قدمناه قريبا ، وهذه التحديدات التي ذكرها الناس وإن اختلفت عبارتها فهي متقاربة المعنى ، وقال بعض الشعراء^(٤) :

وَإِلَى الْأَمِيرِ مِنَ الشَّرْبَةِ وَاللَّوَى عَمِيَتْ كُلُّ نَجِيَّةٍ شِمَالَالٍ

واللوى الذي قرَّنه بالشربة في هذا البيت هو الكتيب الذي ذكرنا أنه حدُّها الشرق الذي

يقال له اليوم « عريق الدسم » والعرب تسميه الدسم في الجاهلية ، قال أعرابي يرثي أخاه وقد قبره في هذا العريق^(٥) :

وَقَفْنَا عَلَى فَبِرٍ بَدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَّرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْعَبُ
لُجَالٍ بِأَرْجَاءِ الْجَفُونِ سَوَافِحِ مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَقِلُّ الَّتِي تَعْقِبُ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ اخْتَدَّ سَاقُهَا دَمٌّ بَعْدَ دَمْعٍ إِثْرُهُ يَتَصَبَّبُ
فَإِنْ تَسَمَّيْنَا نَدَبَ عَبِيدَا بِعَوَلَةٍ وَقَوْلٌ لَهُ مَنَا الْبَسْكَى وَالتَّحَوُّبُ

(١) انظر المعجم ٦ / ٥٣ .

(٢) رواه ياقوت « جبل الطلالة » .

(٣) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٤) المعجم ٥ / ٢٤٩ . (٥) المعجم ٤ / ٦٠ .

(١٢ - صحيح الأخبار ١)

وقال في ذكر الشربة ضباب بن وقدان الظهري :

لعمري لقد طالما غالى تداعي الشربة ذات الشجر

واستعمل هشام بن عبد الملك الأسود بن بلال الحاربي على بحر الشام ، فقدم عليه أعرابي من بني عمة ، ففرض له وأغراه البحر ، فلما رأى البدوي تلك الأهوال قال ^(١) :

أقول وقد لاح السفين ملجلجا وقد بَعُدَتْ بَعْدَ التقرب صُورُ

وقد عصفت ربح ، وللموج قاصف ، وللبحر من تحت السفين هدير

ألا ليت أجري والمطاء صفًا لهم وحظي حُظوظ في الزمام وكُور

فله رأى قاذي لسفيني وأخضر مَوَارِ الشرار يَمُور

تري مَنَته سَهْلًا إذا الریحُ أَقْلَمَتْ وإن عَصَفَتْ فالسهلُ منه وَعُورُ

فيا بْنَ بلال للضلال دَعَوَاتِي وما كان مثلي في الضلال يسير

كَيْنَ وَقَعَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ مَرَّةً وحان لأصحاب السفين بُكُورُ

وَسَلَّمْتُ من موج كان مُتُونَهُ حِرَاءَ بَدَتْ أَرْكَانُهُ وَتَبِير

ليترَضَّنَّ اسْمِي لَدِي الْعَرْضِ خَلْقَةً وذلك إن كان الإياب يسير

وقد كان لي حَوْلَ الشَّرْبَةِ مَقْعَدٌ لَنَذِ وَعَيْشٌ بِالْحَدِيثِ غَيْرُ

ألا ليت شعري هل أَقُولُنَّ لِقَتِيَّةً وقد حان من شمس النهار دُرُورُ

دَعُوا الْعِيسَ تَذْنِي لِلشَّرْبَةِ قَافِلًا نه بين أمواج البحار وكور

وذكروا أن الشربة هي أشدَّ نَجْدٍ قرًا .

أورال : أما أورال : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم ، وذكر أصحاب المعاجم ^(٢) أن أورال ثلاثة أجبل

سود في جوف الرمل ، الواحد ورل ، فيقال : الورل الأيمن ، والورل الأيسر ، والورل الأوسط

وحذاوهم مائة لبنى عبد الله بن دارم يقال لها : الورلة ، قال عبيد بن الأبرص :

وَكُنْ أَقْتَادِي تَضْمَنُ نَسْعَهَا من وحش أورال هيبط مُقَرَّدُ

باتت عليه ليلة رَجَبِيَّةَ نَصَبًا نَسَحَ الْمَاءُ أَوْهَى أَبْرَدَ

وهذا الجبل في بلاد بني تميم ^(٣) وظنى أنه هو الذي عناه امرؤ القيس .

وأما أُرال في قول كثير :

(٢) المعجم ١ / ٣٧٠ .

(١) المعجم ٥ / ٢٤٩ .

(٣) قال ياقوت « وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل » المعجم ١ / ٣٧١ .

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا أَرَأَيْتَ فَصِرْمًا قَادِمًا فَتَمَاضِبُ ؟ !
فهو جبل بالحجاز ، وأنا أعرف تناضب بهذا الاسم اليوم ، وقد وردتها ، وهي واقعة من بلد
الحناكية في جنوبي الغري ، في وادٍ كثير الشجر ، وتناضبه عظيمة ، وظنى أنه لم يسم التناضب
إلا لكثرة شجره ، وهو وادٍ مشهور بهذا الاسم ، وظنى أن سيله يصب في أودية المدينة .

* * *

٥٦ - وقال امرؤ القيس :

حَيَّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ إِذْ لَا يُبْلَغُ شَكْلُهَا شَكْلِي
مَاذَا يَشْقَى عَلَيْكَ مِنْ طُعْمٍ إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّةَ الْعَقْلِ

قال في معجم البلدان ^(١) : العزل ماء بين البصرة والجماعة ، وهناك موضع يقال له اليوم
« المعزيلة » وهي أكتبة رمل قليلة بين الجماعة والدَّهْنَاءَ معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد .

* * *

٥٧ - وقال امرؤ القيس :

لَمَّا سَمَا مِنْ بَيْنِ أَقْرَنَ قَالَ أَجْبَالٍ قُلْتُ : فِدَاؤُهُ أَهْلِي
هَمْ سَيَبْلُغُهُ التَّمَامُ فَذَا ظَنِّي بِهِ سَيْنَاكُ أَوْ يُبْلِي

أما أقرن فقد قال في معجم البلدان ^(٢) : هو موضع ، واستدل بيت امرئ القيس هذا ، وهناك
موضع يقال له « قرن » جبل أسود في أعلى بلاد غطفان ، باق بهذا الاسم ، وذكروا أن الأجبال
التي عنها امرؤ القيس هي أجبال صبح ، وهي كذلك في بلاد غطفان ، فسميت بأجبال صبح ،
وصبح هذا : رجل من عاد كان يسكنها فسميت به ، لأنه كان يطيل الإقامة فيها ، قال الشاعر :
أَلَا هَلْ إِلَى أَجْبَالِ صَبِيحٍ بَدَى لَفْضِي غَضَى الْأَثَلِ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ مَعَادُ ؟
بلاد بها كنا ، وكنا نُحِبُّهَا ، إِذِ الْأَهْلُ أَهْلٌ ، وَالْبِلَادُ بِلَادُ
وأنا لا أعرفها اليوم بهذا الاسم .

* * *

٥٨ - وقال امرؤ القيس :

يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخُبَيْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

أما حائل هذه فلا أظن أنه غنى بها ، حائل الواقعة في جبال طي . وأما السهب فهو موضع

حائل

السهب معروف تصب فيه أودية اليمامة ويقال لها اليوم « السهباء » قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيُّ وقد ذكر السهب^(١)
وَالسَّهْبُ مَيِّمُونَ الْخَلِيقَةَ ، قَوْلُهُ لَمَلْتَمِسِ الْمَعْرُوفَ أَهْلُ وَمَرْحَبُ
وقال جرير وأتى به مقصورا :

كَلَفْتُ صَحْبِي أَمْوَالًا عَلَى نَقَةٍ اللَّهُ دَرَّهُمْ رُكْبًا وَمَا كَفَمُوا
سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْبِا وَدُونَهُمْ فَيَحَانُ فَالْحَزَنُ فَالْعَمَانُ فَالْوَكْفُ
بُزْحُونُ نَحْوِكَ أَطْلَاحًا مُخَذَّمَةً قَدْ مَسَّهَا النُّكْبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْمَجَفُ

وَالسَّهْبِا فِي أَسْفَلِ بَلَدٍ الْخُرُجِ تَصُبُّ فِيهَا سَيُولُ أَوْدِيَةُ الْيَمَامَةِ ، وَهِيَ نَاقِيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ
وَأَمَّا الْخَبْتَانِ مِنَ عَاقِلٍ فَإِنَّ أَصْلَ الْخَبْتِ مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَدْ أَضَافَ أَمْرُو الْقَيْسِ
الْخَبْتَيْنِ إِلَى عَاقِلٍ ؛ فَمَرَادُهُ بِالْخَبْتَيْنِ الْمُنْخَفِضَ مِنْ جَانِبِي عَاقِلٍ ، وَعَاقِلٌ بَاقِي هَذَا الْاسْمِ إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا ، وَهُوَ وَادٍ عَظِيمٌ يَصُبُّ فِي وَادِي الرِّمَّةِ يُسَمَّى الْيَوْمَ بِالْعَاقِلِي ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ^(٢) .

* * *

٥٩ - وقال امرؤ القيس :

نَظَمْنَاهُمْ سُلُوكِي وَمُخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمْنَيْنِ عَلَى نَابِلِ
إِذْ هُنَّ أَفْسَاطُ كَرَجَلِ الدَّبْنِي أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ

كاظمة : مَنَهَلُ مَاءٍ فِي السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ مِمَّا إِلَى الْبَصْرَةِ ، مَاوِهَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ، تَرِدُهَا
أَسْرَابُ الْقَطَا ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :

يَا حَبْذَا الْبَرْقِ مِنْ أَكْنَفِ كَاطِمَةٍ يَسْعَى عَلَى قَصَاصَاتِ الْمَرْخِ وَالْمُشْرِ
لِلَّهِ دَرِ بِيوتِ كَانَ يَعْشَقُهَا قَلْبِي وَبِأَلْقَاهَا إِنْ طَيَّبَتْ بَصْرِي
فَقَدَّتْهَا فَقَدْ ظَمَأْنِي إِذَا وَتَهُ وَالْقَيْظُ يَحْذِفُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالشَّرَرِ
أُمْنِيَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَرْدَادَ ثَانِيَةً وَحَالُنَا وَالْأُمَانِي حُسْلُوَةُ النَّمْرِ

* * *

٦٠ - وقال امرؤ القيس :

فَدَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صَيِّحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَسَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرُّوَاحِلِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

(٢) المعجم ٥ / ١٨٥ .

(٤) المعجم ٧ / ٢٠٨ .

(١) المعجم ٥ / ١٨٤ .

(٣) انظر ص ٥٣ من هذا الجزء .

أَبَتْ أَجَا أَنْ تُسَلِّمَ الْيَوْمَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْنَحْ لَهَا مِنْ مَقَابِلِ
تَبَيَّتْ لَبُونِي بِالْقَرْيَةِ أَمْنَا وَأَبْعَثَهَا غَيًّا بِأَكْتَفِ حَاتِلِ
أما أَجَا : فهو الأول من جبال طيء الواقع في الجهة الشمالية من حاتل ، ولا يزال معروفا
هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود به شجرة ، به قِلات ^(١) تلزم الماء ، وبه نخيل عظيمة
والقرية مشهورة اليوم باسم عقدة ، والقرية المشهورة بهذا الاسم في جهة حاتل الجنوبية ،
إذا قلت القريتان فالقريتان قريبان ^(٢) شرق القصيم ، قال معن بن أوس :
لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرِيَّتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لَقَوْتُ فِلَاةً لَا تَزَالُ تَنَازِلُهُ
وقال جرير :

تَفْشَى النَّبَاجَ بَنُو قَيْسٍ بِنَ حَنْظَلَةَ وَالْقَرِيَّتَيْنِ بِسُرَاقٍ وَنَزَالِ

* * *

٦١ — وقال امرؤ القيس :

نَزَلْتُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْمَطَةَ فَيَا كَرَمَ مَجَارٍ وَيَا حَسَنَ مَافَعَلْ
تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ تُرَاعَى الْفَرَاحُ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلْ
أما بلطة فهو موضع معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو واقع في جبل طيء في الزمن القديم
وقد قال امرؤ القيس في رائيته :

أَلَا إِنَّ فِي الشَّعْبَيْنِ شَعْبَ بِمِسْطَحٍ وَشَعْبَ لَنَا فِي بَطْنِ بُلْمَطَةَ زَيْمِرَا
وقال سلام بن درماء الطائي ^(٣) :

إِذَا مَا غَضِبْتُ أَوْ تَغَلَّدْتُ مُنْغَلِي فَلَايَا لَكُمْ فِي بَطْنِ بُلْمَطَةَ مَشْرَبُ
فَإِنَّكُمْ وَالْحَقُّ لَوْ تَدْعُونَهُ كَمَا اتَّحَلَّتْ عَرْضَ السَّمَاءِ أَهْيَبُ

(١) القلات : جمع قلت - بالفتح - وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء .

(٢) الذي في بيت معن بن أوس وبيت جرير « القريتين » - بفتح القاف وسكون الراء - على
لفظ تثنية قرية ، لكن الذي في بيت امرئ القيس بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة ،
وكأنه مصغر قرية ، وقد نص أبو عبيد البكري على أن القريتين من منازل تميم ، وأنشد فيه قول
مالك بن نويرة :

فَجْتَمَعَ الْأَسْدَامُ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَى جِبَالَ الْقَرِيَّتَيْنِ فَضْلَعَا
وقال : إن شارعا من منازل تميم . وأقول : إن ضلعا هده في أعلى القصيم ويقال لها اليوم
« الضلفة » . [٣] انظر معجم البلدان ٢ [٢٧١] .

كَسْبِئِينَا الْمُدْلِينَ فِي جَوِّ بُلْطَةِ أَلَا بَنَسَ مَا أَدْنَوْا بِهِ وَتَقَرَّبُوا
وقد مت أعرابية من أهل جبلي طبيء إلى مصر، فرضت، فأتاها النساء يعرضن لها ويعطنها
بالكملك والرمان وأنواع الفواكه، فقالت:

لَأَهْلُ بُلْطَةِ إِذْ حَلَّوْا أَجَارِعَهَا أَشْهَى لِنَفْسِي مِنْ أَبْوَابِ سُودَانَ
جَاهُوا بِكُمْ وَرُئُوسُكُمْ لِبَشْفِي يَأْوِنِحْ نَفْسِي مِنْ كَمَلِكِ وَرُمان

وأما جو: فهو مضاف إلى بلطة، يقال له «جو بلطة».

ومسطح موضع مشهور على ألسنة الرواة في جبلي طبيء بهذا الاسم، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا
الاسم، ولعل سكان تلك الناحية يعرفونه اليوم بهذا الاسم.

قلت: قد وقفنا بعد السؤال والبحث على تحقيق هذه الأسماء فوجدناها باقية على أسمائها إلى
هذا العهد وهي: جو، ومسطح، وبلطة، وزيمر، أما بلطة: فهي عين ماء عليها نخيل وزأرع
وموقعها في أجأ، تقع من حائل في الجهة الغربية الجنوبية، وزيمر: وادٍ به ماء يقع شماليه،
وأما مسطح فقد تغير اسمه وصار اسمه اليوم «مسيطح» يقع في شمالي حائل، وجو: قريب بلطة
وهي جميعها في جبل أجأ.

* * *

٦٢ — قال امرؤ القيس:

قَدْ أَقْطَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ قَفْرٌ وَصَاحِبِي بَازِلٌ شِمْلَالٌ
نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَيْحَلُهَا كَانَ حَارِكَهَا أَثَالُ

وصف امرؤ القيس حاركها ^(١) بأثال الذي هو القصر، وقد تقدم الكلام عليه في معانيه
على ذكر الجؤاء ^(٢).

* * *

٦٣ -- وقال امرؤ القيس، وأنا أشك أنها من شعره، وإن أثر الصنعة لباقٍ عليها:

لَمِنْ طَلَلٍ بَيْنَ الْجُدَيْدَةِ وَالْجَبَلِ مَحَلٌّ قَدِيمٌ الْعَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطَّيْلُ
عَفَا غَيْرَ مَرْتَادٍ وَمَرَّ كَسْرَ حَبٍ وَمُنْخَفِضِ طَائِمٍ تَنَكَّرَ وَأَضْمَحَلْ
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ

(١) الحارك: أعلى الكاهل، وأراد ناقة تامة الخلق قوية على السير.

(٢) انظر ص ٣٦ من هذا الجزء.

أما جُدَيَّة : فهو موضع معروف في الزمن القديم بهذا الاسم في بلاد طيبة ، قال شاعرهم :
 وَهَلْ أَشْرَبَ الدَّهْرُ مِنْ مَاءِ مَرْزَنْةٍ عَلَى عَطَشٍ مِمَّا أَقْرَ الْوَقَائِعِ
 يَقْبَعُ الْقَنَاةِى أَوْ يَهْضُبُ جُدَيَّةَ سَرَى الْغَيْثِ عَنْهُ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ نَقِيعٌ
 وَأَنْ لَا أَعْرِفَهَا بِهَذَا الْأَسْمِ الْيَوْمَ ، وأما الجبل : فهو جَبَلُ أَجَا ، وهو مشهور بهذا الاسم
 إلى يومنا هذا عند عامة أهل نجد .

* * *

٦٤ — وقال امرؤ القيس :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ خَتُولُ الْعَمِّدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالَ
 أَزَالَ مِنَ الْمُصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ الشَّهْوَلَةُ وَالْجِبَالُ

المصانع في الأصل : الأبنية ، وقد ذكر المفسرون في بيان قوله تعالى (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
 لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أن المصانع : الأبنية ، وقال لبيد :

بَلِيغًا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتَبَقَى الدِّيَارُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ

والمصانع : التي عنها امرؤ القيس في قصيدته اسم لِمِخْلَافٍ باليمن كان يسكنه ذو رِيَاشٍ ، وهو
 باقٍ على اسمه إلى يومنا هذا ، ويطلق هذا الاسم على عدة مواضع : منها موضع من أعمال صنعاء
 يقال له « المصانع » وفي الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية قرية يقال لها المصانع ، ذكرها
 صاحب المعجم ، وذكر أنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد ، ولا تزال باقية بهذا الاسم إلى
 هذا العهد .

* * *

٦٥ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَشْمَرْ بِدُمُونٍ مَرَّةً وَلَمْ أَشْهَدْ الْفَارَاتِ يَوْمًا بِعَنْدَلٍ
 وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرَّئِدَ الْخَيْرِ رَبَّنَا وَإِذْ نَحْنُ لَا نُدْعَى عَمِيدًا لِقَرْمَلٍ

فأما دُمُونُ : فهي قرية من قرى اليمن القديمة ، وقد قال امرؤ القيس غير هذا البيت :
 تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دُمُونُ دُمُونُ إِنَّا مَعَشَرٌ يَمَانُونُ

* وَإِنَّمَا لِأَهْلَانَا مُحِبُّونُ *

وأما عنْدَلُ فهي واقعة في بلاد اليمن ، واستدل عليها أهل المعاجم ببيت امرؤ القيس ، وهي
 مشهورة في أشعار كثيرة ، وأنا لا أعلم أهي باقية على اسمها أم تغيرت .

جدية

المصانع

دمون

عندل

٦٦ - وقال امرؤ القيس :

خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ لَاحِيٍّ مِثْلُنَا بِأَيَاتِنَا نُرْجِي اللَّقَاحَ الْمَطَافِلَا

النقبان

النقبان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، وهما في جبل في شمالي أجنا ، إذا كنت في مدينة حائل فالنقبان بينك وبين القطب الشمالي ، وقد أطلق عليهما هذا الاسم لأنها نقبان في وسط جبل من جبال أجنا ، وإذا طلعت نقبا خرجت منه على نخيل ومزارع وسكان ، ثم تطلع النقب الثاني فإذا استويت في أعلى الجبل طلعت على نخيل ومزارع وسكان ، وهذا الجبل ينتابه أهل مدينة حائل لتغيير الهواء فيه ، وهذه الأسماء باقية من العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وهذا البيت قد أورده ابن كثير رحمه الله في أول تفسيره قبل الفاتحة منسوباً إليه .

* * *

٦٧ - وقال امرؤ القيس :

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِسُحَامٍ فَعَمَّائَتَيْنِ فَهَضْبِ ذِي أَقْدَامٍ

فَصَفَا الْأَطْيَاطُ فَصَاحَتَيْنِ فِقَاضِرٍ تَعْمَشِي النَّعَاجُ بِهَا مَعَ الْأَرَامِ

عَوَجًا عَلَى الظَّلَالِ الْمُجِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ جَذَامٍ

سحام

أما سحام : فهي موجودة بقرية من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهي واقعة بين دَمَخ وشلان ، ويقال لها اليوم « السحاميات » إذا جمعتها ، وإذا أفردت إحداها قلنا لها « السحامية » وهي على شكلين : أما الواقعة في جهة الجنوب مما يلي دَمَخ فيقال لها « السحامية السوداء » وأما الشمالية فيقال لها « السحامية البيضاء » لأنها كثيرة الأبارق تقرب من طرف شلان ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، وهي واقعة في بلاد بني كلاب بن عامر ، وفيها يقول عامر بن السكاهن الكلبي^(١)

وَمَنْ يَرَى يَوْمَ السُّحَامَةِ فَوْقَنَا عَجَاجَةً أَذْوَادٍ لَهَا سَوَاطِرُ

إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَحْضَرٍ سَدِّ فَرْجِهَا خَفَافٌ مُنِيفَاتٍ وَجَذَعٌ بِهَازِرٍ

دَعَا الْحَرْبَ لَا تَشْجَوْا بِهَا آلَ حَنْتَرٍ شَجَا الْخَلْقَ إِنَّ الْحَرْبَ فِيهَا تَهَابِرُ

وَلَا تُوعِدُونَا بِالْفِوَارِ فَإِنَّا بَنِي عَمَّا فِيهَا نُحْمَاءُ مَقَاوِرِ

عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ السَّرَّاءُ كَأَنَّهَا عَقَابٌ إِذَا مَا حَثَّهَا الْحَرْبُ كَاسِرُ

مُحَالِفَةٌ لِلْهَضْبِ صَقْعَاءُ لَقَّهَا بَطْخَفَةٌ يَوْمَ ذُو أَهَاضِيبٍ مَاطِرِ

أما عماتان فقد تقدم الكلام عليها في بائية امرئ القيس^(٢) .

عماتان

(٢) انظر ص ٣٧ من هذا الجزء

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٤

وهضب ذى إقدام هو الهضب المشهور الواقع في القطعة الجنوبية من نجد ، وقد تقدم الكلام عليه في أول أشعار امرئ القيس ، وقد ذكرنا مياحه ووصفنا موقعه ، وكان اسمه في الجاهلية « هضب ذى إقدام » وأما اليوم فيقال له « هضب آل زايد » .
أما « صفا الأطيظ » فلا أعرفه بهذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان قال ^(١) : إنه صفا الأطيظ موضع ، واستدل له ببית امرئ القيس .

أما صاحتان فهما هضبتان حراوان يقال لإحداهما « صاحة » وللثانية « صوحة » وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهى التى عنها امرؤ القيس ، ويحف بصاحة وادى الركى من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السودة فهى فى طرفه الجنوبى مما يلى مطلع الشمس ، تقع من ماء الأرمض المعروف فى بطن الركى فى جهته الجنوبية الشرقية بينها أقل من مسافة ثلث يوم ، وهى من طرف السودة كذلك ، وأما « صوحة » فهى متاخمة لها من جنوب ، قال بشر بن أبى خازم :

لِيَالِي تَسْتَبِيكَ بَذَى غُرُوبٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ وَهْنًا مُدَامُ
وَأَبْلَجَ مُشْرِقَ الْخَلْدَيْنِ فَخَمَ يَسْنُ كُلِّي مَرَاغِيهِ الْقَسَامُ
تَعْرِضَ جَابِقَ لِدَرْيَ خَذُولٍ بِصَاحَةِ فِي أَسْرَتِهَا السَّلَامُ
وَصَاحِبُهَا غَضِيصُ الطَّرَفِ أَخَوَى يَضُوعُ فَوَادِهِ مِنْهَا بُقَامُ

أما غاضر : فلا أعرفه بهذا الاسم ، أعرف « غَضُورًا » وهو باقى إلى يومنا هذا ، وهو واقع فى غاضر بلاد بنى أسد ، وقد مضى الكلام عليه فى شعر امرئ القيس ^(٢) ونسمع فى أشعار العرب غاضارا جبلا فى بلاد هذيل ، قال ابن نَجْدَةَ الهذلى :

تَغْنَى نِسْوَةَ كَدْنِي غُضَارٍ كَأَنَّكَ بِالنَّشِيدِ لَهْنِ رَامٍ

ونمة موضع يقال له « الغَضُور » فى حجاز المدينة ، قال الشماخ :

فَأَوْرَدَهَا مَاءَ الْغَضُورِ آجِنًا لَهُ عَزْمَضٌ كَالْفَسْلِ فِيهِ طُمُومُ

وأما امرؤ القيس فإنه عطف غاضرا على صاحتين ، فلا يكون غاضر إلا فى القطعة الجنوبية من نجد ، ولكننى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٦٨ - وقال امرؤ القيس :

أَوَمَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ

(٢) انظر ص ٦٢ من هذا الجزء

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٣٠ و ٣٦٦

(١٣ - صحيح الأخبار)

حُورٌ تَمَلُّ بِالْعَبِيرِ جُلُودَهَا بِيضُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَجْسَامِ
فَظَلَلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنِّي تَشْوَانُ بِأَكْرَهُ صَبُوحِ مُدَامِ
أَنْفٍ كَلْبُونِ دَمِ الْغَزَالِ مُتَمَقِّقٍ مِنْ خمرِ عَانَةٍ أَوْ كُرُومِ شَبَامِ

شوكان الذي ذكره امرؤ القيس : قرية يمانية في ناحية ذمار ، وهي التي ينسب إليها الشوكانى صاحب « نيل الأوطار » ، في شرح منتهى الأخبار « المشهور ، وهي غير شوكان الواقعة بين سرخس وأبيورد ، والتي ينسب إليها أبو الوفاء عتيق بن محمد بن عيسى الشوكانى .
عانة وهي ندة مشهورة واقعة بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة ، وهي التي غناها الأعشى حين قال ^(١) :

كَأَنَّ جَبِيئًا مِنَ الزَنْجِيئِ خَالَطَ فِيهَا وَأَرِيًّا مَشُورًا
وَإِسْفَظَ عَانَةً بَعْدَ الرِّقَا دِشَكَ الرُّصَافِ إِلَيْهَا غَدِيرًا
وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَهْوَايَ عَلَى اسْمِهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ أَمْ تَغْيِرُ .

وأما شبام : فهو جبل عظيم قريب صنعاء ، ذكروا أن مياه صنعاء تنصب منه ، وقالوا : إن بينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ ، وهو باقى بهذا الاسم إلى اليوم ، وكان هذا الجبل كثير القر ، قال شاعر يمانى :

مَا زَالَ ذَا الزَّمَنِ الْخَبِيثُ يُدِيرُنِي حَتَّى بَنَى لِي خِيَمَةً بِشَبَامِ

* * *

٦٩ — وقال امرؤ القيس :

مُجْزِيتُ خَيْرِ جَزَاءِ نَاقَةٍ وَاحِدٍ وَرَجَعَتِ سَالِمَةً الْقَرَى بِسَلَامِ
فَكَأَنَّمَا بَدَرٌ وَوَصَلُ كَتِيفَةٍ وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلِ أَرْمَامٍ ^(٢)

بدر : فهو موضع مشهور كانت به الوقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وهو باقى بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وقد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، وهو قد كف بصره ، وكانت قريش قد منعت النياحة على قتلى بدر ، تصنعاً للجلد ، ولثلاث يشمت بهم المسلمون ، فبينا هو ذات يوم إذ سمع نائحة ، فقال لعلام له : اذهب لعله أحل لنا النحيب ، وقد بكت قريش على قتلاهم ، لمى أبكى على أبي حكيم ، يعنى زمعة ، فإن ^(١) للمجم ٦ / ١٠٢ (٢) في هذا البيت من عبوب القافية الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى

جوف قد احترق ، فلما رجع الغلام عليه قال : إنما هي أعرابية تنكي على بعير لها أضلته ، فقال حينئذ :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ ، وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتْ الْجُدُودُ
عَلَى بَدْرِ سَرَّاءِ بَنِي هُصَيْنٍ وَمَحْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّيْ إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسْوَدِ
وَبَكَيْهِمْ وَلَا تَنْسَيْ جَمِيعًا وَمَا لِأَيِّ حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرِ لَمْ يَسُودُوا

وفي هذه الأبيات الإقواء ، وقال في معجم البلدان^(١) : وبدر جبل في بلاد باهلة بن أعصر ؛ وأنا لا أعلم في تلك الناحية المتصلة ببلاد باهلة جبلا يقال له بدر ، إلا أنني أعرف بثرا شرق الركي يقال لها « البدرية » عذبة الماء ، وظنى أنها نسبت إلى هذا الجبل المسمى بدرا ، لأنها واقعة في جنوى بلاد باهلة ، تقع من الحصة في الجنوب الشرق ، على مسافة يوم .

وكتيفة أنا أعرف اليوم ستة أجبل صفار في بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفة ، الأول : واقع في بلاد بني أسد غربي سميراء يبعد عنها مسافة يوم ، والثاني : واقع في بلاد غطفان في أعلاها ، منقطع من أبلئ ، وهو جبل صغير أسود يقع من أبلئ في الجهة الشرقية على مسافة نصف يوم ، وسيأتى الكلام على أبلئ في معلقة الأعشى ، والثالث : في أسفل بلاد غطفان قريب مهبل الوادي المعروف الذي يصب في وادي الرمة ، وهو معروف بهذا الاسم ، ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره ، والرابع : واقع في حمى ضرية قريبا من الجبال المحيطة ببليد ضرية وهو في بلاد غنى بن أعصر ، والخامس : واقع غربي السحامية البيضاء ، يبعد عنها أقل من مسافة نصف يوم ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره ، إلا الذي ذكر في معلقته فإنه كتيفة مهبل^(٢) ، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبائين وقطن والجيمر ، والسادس : واقع في بلاد عقيل بن عامر في وسط عرف سبيع مقابل ماء القنصلية مما يلي مطلع الشمس ، يبعد عنها مسافة يوم ، قال جابر الكلبي :

أَيَا نَخْلَتِي وَادِي كُتَيْفَةٍ هَذَا ظَلَالُكُمْ لَوْ كُنْتُ يَوْمًا أَنَا لَهَا
وَمَاؤُكُمْ كَمَا الْعَذْبُ الَّذِي لَوْ شَرِبْتُهُ شَفَاءَ لِنَفْسِي كَانَ طَالِ اعْتِلَالُهَا

(٢) قد مضى ذكره في ص ٢٥ من هذا الجزء .

مَعْنَى عَلَى طَوْل الْهَيْكَمِ غَلِيلُهُ بِذِكْرِ مِيَاهِ مَا يُتَقَالُ زِلَافُهَا
وكثيفات التي تقدم ذكرهن باقيات إلى عهدنا هذا بهذا الاسم ، وأما كنهن متباعدة ،
والنخلات التي ذكرها الشاعر هي في أسفل وادي الخرمة المعروف لبني عقيل بن عامر ، وهذه
القبيلة باقية إلى اليوم في تلك الناحية في الواديين : وادي الخرمة ، ووادي رنية ، يقال لهم سبيع ،
ويقال لجماعات منهم إلى يومنا هذا : بنو عامر ، وسبيع : بطن من عقيل بن عامر .

عاقل

أما عاقل فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أشعار زهير .
وأرمام : جبل معروف بهذا الاسم في الجاهلية في بلاد غطفان ، وهناك جبيلات صغار يقال
لها اليوم « الرميم » واقعة عن وادي الرمة شمالا ، ولا أظن أنها هذا الجبل الذي ذكره امرؤ القيس ،
وكانت به وقعة من أيام العرب يقال لها « يوم أرمام » قال الراعي :

أرمام

تبصر خيلبي هل ترى من ظفانٍ تجاوزن مَلْحُونًا فَقِانَ مَتَالَعًا
جواعل أرمام شمالا وصارة يمينًا ، فَقَطَّعْنَ الْوَهَادَ الدَّوَاغَا
وهناك موضع آخر يقال له « رسم » وهو واقع في ضفة الشعبة في أعلى بلاد غطفان قريبا
من أبي ، ولا أعلم موضعا آخر يقارب اسمه هذا الاسم إلا هذين للموضعين اللذين ذكرتهما .

٧٠ - وقال امرؤ القيس :

فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيفَةَ هَمَّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ صَارِجٍ بَنِي عُلَيْنِهَا الظَّلُّ عَرَمَ مَضْطَاطِي
أما صارج الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته فهو واقع في بلاد بني أسد ، وقد تقدم الكلام عليه^(١)
وصارج الذي في هذه الأبيات : من جبال الحجاز الواقعة في طريق الشام ، وأنا لا أعرفه
بهذا الاسم ، وقد أجمع الرواة على ما ذكرنا .

ضارج

٧١ - وقال امرؤ القيس وقد توعد المنذر بن ماء الماء ونزل على المملئ أحد بني تيم بن
ثعلبة فأجاره ومنعه فقال :

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمَمْلِئِ نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ
فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمَمْلِئِ عُمُقْتَدِرٍ وَلَا الْمَلِكُ الشَّامِي

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء .

أما شمام : فهو جبل أسود عظيم له رأسان واقع في جبال العرض ، وتنسب إليه هذه الجبال شمام فيقال « عرض ابني شمام » وهو من سواد باهلة ، ويسمى اليوم عند أهل نجد « أذنى شمال » ولا نشك أنه هو « ابنا شمام » قال جرير :

عَايَنْتُ مُشْعَلَةَ الرِّعَالِ كَأَنَّهَا طَيْرٌ تُنْقَاوِلُ فِي شَمَامٍ وَكُورَا

ذكره صاحب معجم البلدان ، ومن ^(١) عباراته أنه جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، إذا رأيت جبال العرض رأيت قُلتَي ابني شمام مرتفعتين على جميع الجبال التي حولها ، قال لبيد ابن ربيعة وهو يرثي أخاه أربد بن قيس ، وهو الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلته صاعقة رعد ، وهو أخو لبيد لأمه ، فقال يرثيه :

وَفَتَيَانِ يَرْوَنَ الْجَدَّ غَمًّا صَبَرْتُ بِحَقِّهِمْ لَيْلَ التَّيَامِ
فَوَمَّعَ بِالسَّلَامِ أَبَا جَرِيرٍ وَقَلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
فَهَلْ نَبَيْتُ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَحْدَاثِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ ؟
وَالَا الْفَرْقَدَيْنِ وَالْ نَعَشِ خَوْلَدَ مَا تَحَدَّثَ بَانَهُنَّ دَامِ

وهذا الجبل العظيم واقع في ضفة وادى الخنفة الجنوبية ، وعنده من القرى المعمورة « قرية نخيلان » وهى واقعة من ابني شمام في الجهة الغربية ، إذا كان المنادى في ابني شمام سمعه أهل تلك القرية .

* * *

٧٢ وقال امرؤ القيس :

كَلَّا ، يَمِينُ الْإِلَهِ يَجْمَعُنَا شَيْءٌ وَأَخْوَالُنَا بَنُو جُشَمَا
حَتَّى تَرْوَرَ الضَّبَاعُ مَلْحَمَةً كَأَنَّهَا مِنْ نَمُودَ أَوْ إِرَمَا

نمود ، وإرم : قد أطال أهل التفسير على ذكرهما .

* * *

٧٣ - وقال امرؤ القيس :

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَجٍ حَدِيثُ أَطَارَ النَّوْمِ عَنِّي فَأَنَعَمَا
تَقَاتُ لِعَجَلِي بَعِيدِ مَا بَهُ أُنْ لِي وَبَيْنَ لِي الْحَدِيثِ الْمُجْمَعَمَا
فَقَالَ : أَيْتَ الْأَمْنِ ! عَمَرُوا وَكَاهَلُوا أَبَاخُوا حَمِي حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلِمَا

صليح : موضع ، وأظنه في جهة اليمن ؛ لأن الرواة ذكروا أنه ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حين قتله بنو أسد وهو في اليمن ، قال في معجم^(١) البلدان : صليح : موضع ، واستدل بيت امرئ القيس المذكور .

* * *

٧٤ — وقال امرؤ القيس :

عَلَى هَيْكَلٍ يَعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَزِيٍّ غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَانَ
كَتَيْسِ الظُّبَاءِ الْأَعْفَرِ النَّضْرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ شُهْلَانَ
إلى أن قال :

وشجر كغفلان الأنعم ببايع ديار القدو ذي زهاء وأز كان
شهلان : جبل عظيم أسود في عالية نجد ، ومن الرواة من أخذه بسواد باهلة ، ومنهم من قال :
شهلان جبل لبني نمير في الزمن القديم ، وهو أصح : لأنه واقع في بلاد بني عامر بن صعصعة ،
وبنو نمير هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وفيه أشعار كثيرة ، قال جحدر اللص ، وقد ذكر شهلان
والنير ، والنير باق على اسمه إلى هذا العهد :

ذَكَرْتُ هَذَا ، وَمَا يُعْنِي تَذَكُّرُهَا وَالْقَوْمُ قَدْ جَاوَزُوا شُهْلَانَ وَالنَّيْرَا
عَلَى قَلَانِصٍ قَدْ أَفْنَى عَرَانِسُكُنَّهَا تَكَلِّفُنَاهَا عَرِيضَاتِ الْفَلَاوُورَا
والنير : مقابل لشلان في الجهة الغربية ، بينهما مسافة يوم ، ولونه كونه ، وقال محمد بن إدريس
ابن أبي حنيفة اليمامي :

وَلَقَدْ دَعَانَا الْخُشْعِيُّ فَلَمْ يَزَلْ يَشْوِي لَدَيْهِ لَنَا الْعَبِيْطَ وَيَنْشَلُ
مِنْ لَحْمٍ تَامِكَةِ السَّنَامِ كَأَنَّهَا بِالسَّيْفِ حِينَ عَدَا عَلَيْهَا بِجَدَلٍ
ظَلَّ الطُّهَاءُ بِلَحْمِهَا وَكَأَنَّهُمْ مُسْتَوْبُونَ قَطَارَ نَمَلٍ يَقْلُ
وَكُنْ دَمَخٌ كَبِيرُهُ ، وَكَأَمَّا شُهْلَانُ أَصْفَرُ بِيَدَيْهِ وَيَذْبُلُ
وَكُنْ أَصْفَرُ مَا يَدُهُ مِنْهَا فِي الْجَوِّ أَصْفَرُ مَا لَدَيْهِ الْجَفْدَلُ
وقال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانُمُ أَعْزُ وَأَطْوَلُ
بَيْتًا زُرَّارَةً مُخْتَبِ بِفَنَائِهِ وَتُجَاشَعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ تَهْشَلُ

(١) المعجم ٥ / ٥٦ ، وذكر أن فيه ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر .

فَأَذْمَعُ بِكَفِكَ إِنْ أُرِدْتَ نَهْنَانَا تَهْلَانِ ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ
وتهلان باقي هذا الاسم إلى اليوم ، ومنهم من يبدل الناء ذالا فيقول « ذهلان » له قيم عالية
طوله من الشمال إلى الجنوب أكثر من مسافة يوم ، ومن الشرق إلى الغرب أقل من مسافة يوم ،
والجبال المحيطة به من جهة الشرق : تيماء ، وأم نخيلة ، والحذني ، ومجيرة إن أفردت وإن
جمعت فجيرات لأنها هضبات متفرقة ، والمهضيب ، والمصلوخة ، والقينة ، وأما أبو دخن وشطب :
فهما واقعان عند طرفه الشمالي منفطعان منه ، وكلهما موجودة في عهدنا هذا بهذه الأسماء .
أما « مجيرات » فهذا اسمها الجاهلي ، و « الحذني » كان يقال له في الزمن القديم « حذنة »
قال محرز بن المسكبر الضبي وهو شاعر جاهلي :

دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَحَهُمْ ضَرْبُ تَصَيِّحٍ مِنْهُ قَلَّةُ الْهَامِ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مَجِيرَاتٍ يَلْدُنَ بِهِمْ وَالْمُوهُنُ مِنْهُمْ أَيْ الْخَامِ
حَتَّى حُدْنَةُ لَمْ تَتْرَكْ بِهَا ضُبْعًا إِلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شِلْوٍ مُقْدَامِ
ظَلَّتْ تَدُوسُ بَنِي كَعْبٍ بِكَلْسِكَاهَا وَهُمْ يَوْمَ بَنِي نَهْدٍ بِإِظْلَامِ
إِذْ خَبَّرْتُ مَذْحِجَ عَنَّا وَقَدْ كَذَبَتْ أَنْ لَنْ يَرُوعَ عَنْ أَحْسَابِنَا حَامِي
فَدَنَى لِقَوْمِي مَا جَمَعْتُ مِنْ شَبِّ إِذْ لَقَّتِ الْحَرْبُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامِ

وحُدْنَةُ ومجيرات : باقيتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، حذنة : واقعة بين تهلان ومجيرة ، وهي
جبل طويل أسود ، وهو صغير المنظر ، ومجيرات : هضبات حُرْ متفرقة تقع من حذنة في مطلع
الشمس على مسافة ساعتين الماشي على قدميه ، وأما مياهه الخارجية منه في جهة الشرق فهي :
دلة ، والرافع ، ومضلعة ، والشعراء : قرية عامرة إلى يومنا هذا ، وهي معروفة في الزمن
الجاهلي بهذا الاسم ، قال الشاعر :

* خَفَّ الْقَطِينُ مِنَ الشَّعْرَاءِ وَارْتَحَلُوا *

أما صاحب معجم البلدان فلم يذكرها ، وقد ذكرها الهمداني في « صفة جزيرة العرب »
لما أتى على ذكر تهلان ، قال : ومن مياهه : الريان ، والشعراء ، والحسي ، وأما مياهه الداخلة في
وسط الجبل فهي : المطيوى ، والركية ، والمزيرع ، والسدرية ، والشطبة ، والريان ، والمنجور ،
والقليب ، والشبرمية : وادٍ عامر فيه مزارع ونخيل وقصور . والريان الواقع في تهلان بهذا الاسم
هو الذي يقول فيه جرير :

بِأَحْبَدَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَمْدًا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا

الريان

وَحَبَّذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَةِ تَأْتِيكَ مِنْ جَبَلِ الرِّبَّانِ أَحْيَانًا
وأنا أعرف بهذا الاسم في بلاد العرب ثلاثة أودية : أولها الواقع في نهلان ، وثانيها الواقع بين
غول وطخفة ، وسياق السكلام عليه إن شاء الله في معلقة ليبيد ، والثالث : يصب في واد الرمة .
وأما الجبال المحيطة به من جهة الغرب منقطعة منه فهي : ذربع ، والخوار ، وأبو حرك ، ونطاق
والأسودة ، وقنيغزة ، وكوبكب . والخوار معروف بهذا الاسم من قديم ، قل الشاعر^(١) :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالطَّعَانِ نَعَامَنَا جنوبا عن الخوار في الدمش السهلا
بِكُلِّ كَمَيْتٍ مُجْفَرِ الدَّفِّ سَابِح وكلّ مزاقٍ وردة نعلك النسكلا
وهو على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، ونطاق : اسم قديم جاهلي ، قال ابن مقبل :
ضَحَّوْا عَلَى عَجَلِ ذَاتِ النِّطَاقِ ، فَلَمْ يَبْلُغْ ضَحَاوُعُ هَمِي وَلَا شَجِي
وقال ابن مقبل أيضا :

خَلَدَتْ وَلَمْ يَخْلُدْ بِهَا مَنْ حَلَمَهَا ذات النطاق فبرقة الأمهال
قال في اشتقاق الأسماء : سمي بنطاق لأن فيه برقة في أسفله مثل النطاق ، فسمى بها ، وهو
بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

والأسودة هي التي قال فيها أبو عمير الجرمي :

أَلَا مَا لِعَيْنِي لَا تَرَى أَسْوَدَ الْحَمَى ولا جبل الأوشال إلا استهلت
غَنِينَا زَمَانًا بِاللَّوَى نَمِ أَصْبَحَتْ براق اللوى من أهلها قد نخلت
وَقُلْتُ لِسَلَامِ بْنِ وَهَبٍ وَقَدْ رَأَى دموعي جرت من مقلتي فذرت
وَشَدَى يَبْرُدَى حُسُوءَ ضَبْثِهَا يذ الشوق في الأحشاء حين أجزأت
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وقاتل دنيانا بها كيف ولت

ولم نورد هذه الأبيات إلا لأنه عطف جبل الأوشال على هذا الجبل الأسود ، وجبل الأوشال
هو جبل نهلان لأنه كثير القلات والأوشال ، وقل أن نجد فيه موضعا خاليا من الماء . وذربع :
كانت تسمى في الزمن القديم « ذراعان » وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، إذا خرجت
من ماء القاعية قاصدا الرياض وأجزت وادي طينان فانظرها مما يلي حججك الأيمن ، قالت
امرأة من بني عامر بن صعصعة^(٢) .

(١) البتآن لكثير عزة ، وقد رواها ياقوت (٣ / ٤٧٣) ورواية البيت الأول عنده :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا مِنْ تَهَامَةِ كُلِّهَا جنوب نقي الخوار فالدمش السهلا
وكذلك في ديوان كثير ٢ / ١٨ ، ومجفر الدف : واسع الجنب ، وكل مزاق : أراد فرسا
سريعة تكاد تنمزق من سرعتها . (٢) روى ياقوت هذه الأبيات ٤ / ١٩٢ .

سَمِيًّا ورعيًا لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحيانًا
تبدو لنا من ثَنَائِيَا الضمر طالعة كُنْ علامها جللن سيجانًا
هيف يلد لها جسمي إذا نسمت كالخضرمي هَمًّا مسكا وريحانًا
يا حبذا طارق وَهَنًا أَلَمٌ بما بين الدراعين والأخواب مَنْ كانا
شبهت لي مالكا يا حبذا شَمِيهاً إِمّا من الإِيس أو ما كان ضانا
ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أَمسى بجوزانا
عَمْدًا أخادع نفسي عن تذكركم كما يخادع صاحي العقل سكرانا
وجوزان : موضع في اليمن ، ويمكن أنه جيزان ، وذكر الرواة عن قنيضة أنها موضع للنمر
ابن عامر ، وهي في بلاد نمر ، وهي على اسمها القديم لم تغير .

وكويكب : جبل صغير أحمر على ضفة الرشا الغربية ، بين شعلان والخور ، وهذا اسمه
قديم وبه يوم من أيام العرب ، وقُتل عند هذا الجبل زيادة بن زيد بن مالك الحارثي ، قَتَلَهُ
هُذَيْلَةُ بْنُ خَشْرَمٍ الْعُدْرِيُّ فَقَتَلَ ابْنَهُ مِسُورَ بْنَ ^(١) زِيَادَةَ :

أبعد الذي بالنعم نفع كويكب رهيفة رَمْسٍ ذِي تُرابٍ وجندلٍ
أَذْكَرٌ بِالْبُقْمَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وبقياي أُنَى جَاهِدٍ غَيْرِ مُؤْتَلٍ
فَإِنْ لَمْ أَتَلْ تَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ بَنِي عَمْنَا فَالدهر ذُو مُتَطَوِّلٍ
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لَنْ لَمْ أَعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعَجِّلِ
أَتَحْتَمُّ عَلَيْنَا كَأَكْلِ الْحَرْبِ مَرَّةً فنحن مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّ كَلٍ
يَقُولُ رِجَالٌ مَا أَصِيبَ لَمْ أَبْ وَلَا مِنْ أَخٍ : أَقْبِلْ عَلَى الْمَالِ تُعْقَلِ
كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذُنَابٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَذَرِ حَتَّى جُنَّ مِنْ كُلِّ مَدْخَلِ
ذَكَرْتُ أَبَا أُرْوَى فَأَسْبَلْتُ عَبْرَةً مِنْ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ الْعَيْنِ تَنْجَلِي
وهو باقٍ على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وفيه أشعار كثيرة لشعراء الجاهلية . فأما مسور
بن زيادة هذا فهو شاعر إسلامي في عهد الدولة الأموية .

قال مؤلف هذا الكتاب : الحديث ذو شجون يمر بعضه بمضا : في شهر صفر سنة

(١) روى هذه الأبيات في ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزي بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين
٢٣٩) وهذه الأبيات بقولها للمسور بن زيادة حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات فأبى ،
ويقال : إن قاتلها هو عمه عبد الرحمن أخو زيادة القاتل .

١٣٦٥ وأنا في بلد الشعراء جاءنا صاحب السمو للملكي الأمير عبد الله آل فيصل بن عبد العزيز قانصا فأخذني صحبته أيام إقامته قريب بلد الشعراء ، وكنا نتجول في تلك الفيافي لاصطياد الطباء والحبارى . فبينما نحن عند كويكب يوما إذ عَرَضَ لنا ذئب فهمنا بقتله ، ولكني لم أر أعظم من خَلقه وأقوى منه ، ومع الأمير عبد الله صاحب السمو الأمير فهد بن سعد ، ونحن في سيارة واحدة فكنا نرميه بالشوازن فتصيبه واسكنها لا نصيب مقاتله ، فأخذ صاحب السمو الأمير عبد الله بدقية من النوامس ورماء بواحدة ، فأنفذ قلبه ، فخر على وجهه قتيلا عند كويكب عند مقفل زيادة بن زيد الحارثي .

الأنيم

أما الأنيم فهو معروف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، يقال له اليوم « وادي النيم » موقعه في القطعة الجنوبية من نجد ، في أرض يقال لها اليوم « العيلة » إذا كنت قاصداً الغرب وأجزت جبال البديعة الماء المعروف في أعلى نجد ، وهي الجبال التي يقال لها المقر ، ثم أجزت كثيراً يقال له البشارة فيه جبل صغير ؛ خرجت إلى وادي النيم ، وظنى أن سيله يصب في وادي خنثل الوادي المعروف الواقع بين بلد سبيع بن عامر و بلد عتيبة في يومنا هذا ، والنيم يتجه سيله إلى جهة الشمال جاعلا جبال البديعة وأكثبة البشارة وجبال الحداث وما يليها من الهضاب عن يمينه حتى يصب في وادي خنثل أو يقرب منه ، ووادي خنثل معروف بهذا الاسم من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا ، وذكروا أن سعد بن صبيح النهشلي نزل على مربع بن وعور بن ثمامة السكلابي في وادي خنثل المذكور ، وغاب مربع يستعذب لأهله الماء ، فلما رجع إلى أهله وجد سعد بن صبيح حداثته نفسه أن يفجر بزوج مربع ، فأخبرت مربعا ، فأخذ مربع السيف وقتل سعدا ، وقال عند ذلك ^(١) :

فزعنا إلى سيفي فنازعنا غده	حساماً به أثر قديمٍ مسلسل
فغادرت سعدا والسباع تنوبه	كما ابتدر الوراد جمةً ممهل
دعا تهشلاً إذ حازه الموت دعوة	وأجلين عنه كالحوار المجدل
فإنك قد أوعدتني غضب الحصى	وأنت بذات الرمث من بطن خنثل
وقلت لأصحابي النجاء فإنما	مع الصبح إن لم تسبقوا جمع نهشل
فأصبحن يركضن المحاجن بعدما	تجلى من الظلماء ما هو منجلي

وقال الفرزدق في ذلك ، لأن سعد بن صبيح ابن عم الفرزدق :

(١) ارجع إلى هذه القصة وأبيات مربع وأبيات الفرزدق في معجم البلدان ٣ / ٤٦٩ .

بني نَهْشَل هَلَا أَصَابَتْ رِمَاحُكُمْ عَلَى خَنْثَلٍ فِيمَا يَصَادِفُنِ مَرْبَعًا
وَجَدْتُمْ زَمَانًا كَانَا أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْرَبَ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ وَأَضْرَعَا
قَتَلْتُمْ بِهِ ثَوَلِ الضَّبَاعِ فَغَادَرْتُ مَنَاصِلَكُمْ مِنْهُ خَصِيلاً مَرْصَعَا
فَكَيْفَ يَنَامُ ابْنًا صَبِيحًا ، وَمَرْبَعٌ عَلَى خَنْثَلٍ يُسْقَى الْحَلِيبَ الْمَقْنَعَا ؟
ومربع المذكور هو الذي قال فيه جرير وهو يهجو الفرزدق :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَنْبَشُرُ بَطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبِعُ
أَمَا الْأَنْعِيمُ الَّذِي ذَكَرَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي شَعْرِهِ فَهُوَ وَادِي النِّعَمِ الَّذِي تَقْدُمُ ذِكْرَهُ ، وَقَالَ حَضْرَمِي
ابْنُ عَامِرِ الْأَسَدِي :

لَقَدْ شَاقَّنِي لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنَ الصَّبَا لَمَيَّةَ رُبْعٍ بِالْأَنْعِيمِ دَارِسُ
لَيَالِي إِذْ قَبْلِي بِمَيَّةِ مُوَلَعٍ وَإِذْ نَحْنُ جَبْرَانُ لَهَا مَتَلَابِسُ
وَإِذْ نَحْنُ لَمْ نَخْشَ النَّمِيمَةَ بَيْنَنَا وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ بَيْنَنَا مَتَشَاكِسُ
وهو معروف عند عامة أهل نجد بوادي النعيم في هذا العهد .

* * *

٧٥ - وقال امرؤ القيس :

لَمَنْ طَلَلْتُ أَنْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَحَطِّ زَبُورٍ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
دِيَارُ لِهْنِدٍ وَالرَّبَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَا لَيْنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدْلَانِ

قال ياقوت في معجمه ^(١) : بَدْلَانُ موضع ، واستدل بيت امرئ القيس ، وأنا لا أعرف
في نجد موضعاً بهذا الاسم ، إلا أكتبة متراكمة في شرقي الدهناء على طريق الأحساء بين
مرعلات ورجم الشويمر المعروف على الطريق ، ويقال لتلك الأكتبة اليوم « بدالي » .

* * *

٧٦ - وقال امرؤ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ نَهْجَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِوَادِي الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْدَدِرَانِ

الملا : حسب تحديد واد معروف بين بلاد بني أسد وبلاد طى في أسافلها قريب الأجر ،
وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، قال الشاعر ^(٢) :

أَلَا غَنِّيَانِي وَارْقَمَا الصَّوْتِ بِالْمَلَا فَإِنَّ الْمَلَا عِنْدِي يَزِيدُ الْمَدَى مُبْدَاً

(١) المعجم ٢ / ٩٠ (٢) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٨ / ١٤٣ وما بعدها .

وقالت امرأة من العرب تهجو مئى صاحبة ذى الرمة :
 ألا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَئى فَلَا حَبَّذَا هِيا
 عَلَى وَجْهِ مَئى مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاةٍ وَتَحْتَ الشَّيَابِ الْخُرَى لَوْ كَانَ بَادِيا
 وقال كثير :

ورسومُ الديارِ تعرفُ منها بِالْمَلَا بَيْنَ تَغْلَمَيْنِ فَرِيمِ
 وقال عدى بن الرقاع العاملى :

نَسِيتُمْ مَسَاعِينَا الصَّوَابِجَ فَيْكُمْ وَمَا تَذَكَّرُونَ الْفَضْلَ إِلَّا تَوْهُمًا
 فَإِنْ تَعِدُونَا الْجَاهِلِيَّةَ إِنَّا لَنُحَدِّثُ فِي الْأَقْوَامِ بؤْسًا وَأَنَمًا
 فَلَا ذَاكَ مِنَّا ابْنُ الْمَعْدِلِ مَرَّةً وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ عَامُ أَصَمَدَ مَوْشِمًا
 يَقُودُ إِلَيْنَا ابْنُ نَزَارٍ مِنَ الْمَلَا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ سَامِيَا مَتَعْظِمًا
 فَلَمَّا ظَنَنَّا أَنَّهُ نَازِلٌ بِنَا ضَرَبْنَا وَوَلَّيْنَاهُ جَمْعًا عَرَمَرَمًا
 والأشعار والأخبار فيه كثيرة ، وهو واقع فى القسم الشمالى من نجد .

* * *

٧٧ - وقال امرؤ القيس :

هُمْ أَبْلَنُوا حَتَّى الْمُضَلَّلِ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 العراق ونجران : معروفان للناس ، تفنى معرفتهما عن ذكرهما .

* * *

٧٨ - وقال امرؤ القيس :

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرِو لَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ إِلَى عُحْمَانَ
 مُجَاوِرَةَ بَنِي شَمْعَجَى بْنِ جَرِيمِ هَوَانًا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ

والعراق موضعه معروف ، وعمان : معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، مقاطعة عظيمة تقع على الساحل الجنوبي للبحر الشرقى ، جنوبى مقاطعة قطر .

* * *

٧٩ - وقال امرؤ القيس :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقُ غَيْرُ مَنَازِلِ دَوَارِسَ بَيْنَ يَذْبُلِ فَرَاقَانِ
 وَغَرَبَ عَلَى مَقْطُورَةٍ بَكَرَتْ بِهِ غَدَتْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الثَّمَانِي

أما يَذْهَبُ : فقد مضى الكلام عليه في معاقته ^(١) .

وأما فرقان فأنا أعرف جباله رأسان يسمى فرقين يقع شمالي بلد نفي ، يراه مَنْ كان في نفي بيمينه ، وسيأتى الكلام عليه في معقته عبيد بن الأبرص إن شاء الله ، وأما فرقان من غير تصغير فأني لا أعلم شيئاً بهذا الاسم إلا طريقاً يسلك من بلد المزاحمية الواقعة في جو اليمامة إلى بلد الحريق الواقعة في وادي بني هزان في بريك يقال له « مرقان » بميم في موضع الفاء ، يقطع الماشي وادي الأوسط ، ووادي لحا ، ثم يقطع وادي نساح ، وهناك عقبة يقال لها « مرقان » تصعد بها الجبال بأحمالها ، وقد طلعتها ، إذا جُزّت نساحاً كانت عليّة على شمالك ، وإذا بلغت رأس هذه العقبة فأنت في ظهر عليّة ، وإذا هبطت إلى الوادي الذي يبلعك الحريق فعليّة على شمالك ، فإذا رأيت نخيل الحريق اجتمعت الطرق طريق مرقان وطريق حنيظلة الماء المعروف في أعلى وادي الحريق ، والماء المذكور هو أعلى الوادي ، وقد ذكر حنيظلة ياقوت في معجمه ^(٢) وحددها وأصاب في تحديدها برواية أبي حفصة اليمامي .

٨٠ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتِهَا الْعِصَى
وَجَادَ لَهَا التَّرْبِيعُ بِوَاقِصَاتِ فَارَامٍ وَجَادَهَا الْوَلِيّ

أما واقصة : فهي موضع قريب النباخ ينزلها حاج البصرة ، ولا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، إذا كنتَ سائراً من البصرة جاعلاً ذا طلوع الذي يقال له اليوم « الطليحي » وكتبان عالج التي يقال لها اليوم « العروق » عن يمينك ، والنباج التي يقال لها اليوم « الأسياح » عن يسارك وأجزت الأكمة فواقصاتٍ هناك ، ولعل اسمها اليوم قد تغير ، معروفة بمجودة الصلابيخ ، وعند أهل نجد إذا أعجبهم الرجل بشجاعته ، أو فصاحته ، أو كرمه ، قالوا : هذا يتقد كأنه من صلابيخ ^(٣) واقصة .

(٢) المعجم ٣ / ٣٥٣ .

(١) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء

(٣) الصلابيخ : جمع صلبوخ ، وهو حجارة صغيرة بين السواد والبياض وكانت العرب تستعمله لإشعال النار ، تضرب به الزناد ، والزناد : حديدة صغيرة معكوفة الطرفين تجعل بينهما خرقه فيها نارود ، فإذا ضرب بالصلبوخ على الزناد اشتعلت الخرقه ناراً ، وهو الذي شبه به عنزة بن شداد العبسي الذباب في معاقته حين قال :

وهناك موضع آخر يقال له « واقصة » لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا المهد ، وقد يكون هو الذى عنه امرؤ القيس ، وهو واقع بين الحجر والحفيرة فى مساكن عزة الأيدى وقومه ، وهو ماء فى جبل أسود ، يقال للجبل « واقصة » ، إذا كفت فى تيماء السؤال ونظرت إلى نجم سُمَيْل نظرتَه يتَّقد على جبل واقصة .

آرام
وأما آرام فعلى هضبة سوداء منقطعة من أبلى ، لا تزال بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى مجاورة لأروم ، وشابة : واقعة من أبلى فى الجهة الجنوبية الشرقية ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم وآرام وشابة فالحضر
وهل تركت أبلى سواد جبالها وهل زال بعدى عن قنينته الحجر
وهى فى بلاد غطفان ، معروفة بهذا الاسم .

انتهى ما أمكن من توضيح الأماكن الواردة فى شعر امرئ القيس والله - سبحانه ! - ولى التوفيق والمعونة .

= هزجا يحك ذراعاه بذراعاه قدح المكب على الزناد الأجزم
وقبل أن تخرج صناديق الكبريت كان أغلب إشعال الناس فى نجد بالصلبوخ والزناد ، وهو المستعمل عند العرب إلى نصف القرن الثالث عشر ، فلما كثر الكبريت تركه العرب إلا شذاذا من العرب لا سيما الأعراب فإنهم لا يزالون يستعملونه إلى يومنا هذا .

٢

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْمُرْنِيُّ

زهير بن أبي سلمى المزني

مات سنة ١٤ قبل الهجرة (سنة ٦٠٨ الميلادية) تقريباً

نذكر أولاً المواضع الواردة في معلقته :

١- أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَأَلَمَّتْهُمْ
وَدَارٍ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجِيْعٌ وَشِمٍ فِي نَوَاسِرٍ مِعْصَمٍ

حومانة
الدراج

الحومانة : المضافة إلى الدراج لم أرها إلا في شعر زهير ، قال في معجم البلدان ^(١) : هي على طريق البصرة قريب القيصومة ، أما القيصومة : فهي واقعة في الشمال من قرى النباذج وأبعد قرى النباذج من جهة الشمال : حنيطل . وأبو الدود ، والقيصومة . ويظهر لي أن حومانة الدراج قريب القرى التي ذكرنا ، ولسكنى لم أعثر عليها بهذا الاسم في هذا العهد ، وهناك موضع في الدهناء متاخم لهذه الناحية من النباذج يقال لها اليوم « حومة النقيان » على الطريق من البصرة إلى النباذج ، وفي عالية نجد مواضع بين وادي خنثل الذي مر ذكره في أشعار امرئ القيس على ذكر الأئيم ^(٢) ، وبين ماء البقرة المشهورة قريب الحمار ، والبقرة والحار باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ولها ذكر في أشعار العرب ، وهي هضبات يقال لها الحوميّات ، وربما قالوا لها « الحوم » وهي واقعة في بلاد بني عامر بن صعصعة ، قال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر هذه المواضع :

وَأُخْبِي يَقْتَرِي الْحُومَانُ قَرْدًا كَنْضَلُ السَّيْفِ حُوْدُثَ الصَّقَالِ

وقال عامر بن الطفيل :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَفِيرُ بَعْدَنَا مِرَائِمُ جَنْبِي مَحِيْطُ وَجَنَائِبِي
وَهَلْ تَرَكَ الْحُومَانُ بَعْدِي مَكَانَهُ وَهَلْ زَالَ مِنْ بَطْنِ الْجَوَى تَمَاضِيَهُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْغَلِبُنِي الْهُوَى إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَإِنْ أُسْتَطْعَ أَغْلَبُ ، وَإِنْ يَغْلِبِ الْهُوَى فَتِلْكَ الَّذِي لَا قِيْتُ يُغْلِبُ صَاحِبَهُ

ومن عبارات معجم البلدان أن حومانة الدراج في منقطع رمل النعلبية متصلة بالخرن من بلاد بني أسد ، عن يسار مَنْ خَرَجَ يَرِيدُ ^(٣) مكة ، واستدل بيت زهير هذا ، وهذا التحديد قريب القيصومة التي مر ذكرها من قرى النباذج ، قرية عامرة إلى هذا العهد ، وهي غير القيصومة

(١) المعجم ٣ / ٣٧١ . (٢) انظر ص ١٠٦ من هذا الجزء . (٣) المعجم ٣ / ٣٧٢ .

الماء المعروف في القطعة الشمالية من الدو ، وتكون حومانة الدراج غربا عن العروق التي تعرف في الزمن القديم برمل عالج .

وَعَطَفَ على حومانة الدراج المتلم ، والمتلم : معروف اليوم بما يقرب من هذا الاسم ، يبعد عن الموضع الذي حسبناه حومانة الدراج مسافة يومين ونصف يوم ، وذلك أني - كما أسلفت - لا أعلم اليوم موضعاً يقال له حومانة الدراج ، إلا ما ذكرنا عن حومة النقيان الواقعة في الدهناء أو الحوم أو الحوميات الواقعين في عالية نجد .

أما المتلم فهو جبل في رأسه تلوم كأسنان المشط ، يسمى اليوم « أبو تلوم » مطل على الجِوَاء مما يلي صارة المعروفة من أجيلة الجِوَاء . . وقد غلط من قال إن المتلم الذي ذكره زهير بالصمان واستدل بقول عنترة :

* بالحزن فالصمان فالمتلم *

فإن هذا الذي ذكره عنترة ملزم ماء في الصمان قد تلم من السيل ، وليس بجبل ، قال الراجز :

* تَرَبَّعَتْ جَوْ جُوى فَالْتَلَمَ *

وفي الصمان مواضع يقال لها إلى اليوم « جويات الحمل » وأنت ترى الراجز عطف التلم على جويات ، وهذا التلم هو الذي ذكره عنترة في الصمان ، وهناك في جهة وادي الخُزج ماء كان يقال لها قديماً « التلءاء » ويقال لها في عهدنا هذا « التلءاء » قال في معجم^(١) البلدان التلءاء من نواحي اليمامة ، وقيل : التلءاء حفرة يحكي بن أبي حفصة باليمامة ، وقال يحكي في ذلك :

حَيُّوا المنازل قد تقادم عهدُها بين المرائخ إلى نَقَا تَلْءائها

وأما الذي ذكره عدى ابن الرفاع العاملي في قوله :

فَنَكَبُوا الصَّوَّةَ الْيَسْرَى وَمَالَ بِهِمْ عَلَى الْفَرَاضِ فَرَاضِ الْحَامِلِ السَّالِمِ

فهو الذي ذكره زهير في شعره ، قال ابن الأعرابي^(٢) في نوادره : المتلم جبل في بلاد بني مرة . وقد أصاب ، هو جبل في بلاد بني مرة لا يزال اسمه باقياً إلى يومنا هذا ، إلا أنه حرف تحريفاً قليلاً فقد صار يقال له اليوم « أبو تلوم » وأنا أعرفه وقد رأيته .

وأما الرقنتان فهما في جنوبي النباخ المتصل بأرض الزاني ، وأنا لا أعرفهما بهذا الاسم ، ولا يكونان إلا أكتين أو قريتين أو روضتين ، وهما لا يعرفان بهذا الاسم اليوم ، ولكن ذكر زهير إياهما مقرونتين بحومانة الدراج والمتلم فيفيد أنهما قريب النباخ ، وهما اللتان عناهما مالك

(١) المعجم ٣ / ٢١ . (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٨١ .

ابن الريب المازني ، وكان من قطاع الطريق في صدر الإسلام ، ثم صحب سعيد بن عثمان بن عفان حين استعمله معاوية على خراسان ، ذكرهما في قصيدته التي رثي فيها نفسه ، وذلك أن منيته جاءت فجأة ، فإنه خلع خفيه لوضوء صلاة الصبح ، فجاءت حية فدخلت في أحده خفيه ، فلما فرغ من صلاته ورجع إلى خفيه ليلبسهما أدخل رجله فنهشته الحية ، وكانت فيها منيته ، وقد أطلأ أبو الفرج الأصفهاني في كتابه ^(١) الأغاني ، وذكر جملة من القصيدة التي فيها ذكر الرقتين ، وهو من سكان تلك الناحية ، من سكان بلاد الزلفي ، والذباب والزلفي بينهما أقل من مسافة يوم ، قال مالك ابن الريب :

وَلِلَّهِ دَرِيٌّ حِينَ أتركُ طائِعاً بَنِيَّ بِأَعْلَى الرِّقَتَيْنِ وَمَالِيَا

وقال في قصيدته :

وإن بأطراف السميئة نسوة يشق عليهنَّ العشيَّةَ ما بيا

والسميئة : قرية من قرى الزلفي ، معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال لها « سمنان » ولا تكون الرقتان إلا في تلك الناحية ، والأمكنة الذي ذكرنا أن حومانة الدراج والتملم والرقتين بها لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ونصف .

* * *

٢ - وقال زهير : ^(٢)

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَمَائِنٍ تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْنِمْ
عَلَوْنَ بِأَمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ وَرَادَا حَوَاشِيَهَا مُشَاكِهَةً الدِّم

أما جرثم : فهو باق بهذا الاسم لم يتغير ، إلا أنهم أضافوا إليه أنما ولا ما وياء النسبة فقالوا : « الجرثمي » وهو واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد في طرف الجواء الشمالي الغربي ، بين سلمي الجبل الثاني من جبل طيء وبين جبل قطن .

* * *

٣ - وقال زهير :

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحُورَةٍ فَهِنَّ لَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ بَيْنٍ وَحَزَنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحَرِّمِ

(١) انظر كتاب الأغاني ١٩ / ١٦٣ .

(٢) في هذه الأبيات والتي بعدها تقديم وتأخير عما ورد في رواية التبريزي والروزني للمعلقات .

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ وَمُقَامٍ
فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِئَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

أما وادي الرس : فهو البلد المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد في أعلى القصيم على ضفة وادي وادي الرس
الرمة الجنوبية ، وقد أكثر الشعراء من ذكره زهير وغيره ، وبقاؤه بهذا الاسم يفي عن ذكر
الشواهد ، وهو بلد عاصر كثير النخل والقصور والمزارع ، قالت ابنة مالك بن بدر الفزاري ترفى
أباها لما قتله بنو عيس بمالك بن زهير العبسي (١) :

فَلله عينا من رأى مثل مالك عَمِيرة قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَشْرَبَا قَطُّ شَرِبَةً وَلَيْتَهُمَا لَمْ يَرْسَلَا لِرَهَانِ
أَحَلَّ بِهِ أَمْسٍ جَنِيدُ نَذَرُهُ فَبَيْنَ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَّانِ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقَتَيْنِ حَمَامَةً أَوْ الرِّسَّ تَبْكِي فَارِسَ الْكَتِفَانِ

انظر إلى الرقتين اللتين تقدم ذكرهما أوردتُهُما هذه المرأة وَقَرَّتَهُمَا بالرس ، فكلمها متقاربة
كما تقدم .

والقنَّان : الذي ذكره زهير واقع في بلاد بني أسد ، مجاور لبلاد غَطَّان بالقرب من سميراء
ويقال له اليوم « القنيدات » وهو جبل لبنى قَعْس بطن من بني أسد قطاع طريق ، كانوا إذا
جنوا جنابة تحصنوا فيه خوفا من الولاة ، وفي ذلك يقول شاعر العرب :
ضَمِنَ الْقَنَانُ لِقَعْسٍ سَوَّاتِهَا إِنَّ الْقَنَانَ لِقَعْسٍ لُمَمَّرٌ (٢)
وهو غير الذي ذكره امرؤ القيس بقوله (٣)

* ومر على القنان من نفيانه *

وهو معروف بالقرب من سميراء ، وهو أيضاً غير الذي ذكره لبيد في شعره وثناؤه حين قال (٤) :

وَوَلَّى كَتَمَضِلَ السِّيفِ يَبْزُقُ مَتْنُهُ عَلَى كُلِّ إِجْرِيًّا يَشُقُّ الْحَاثِلَا
فَنَسَكَّبَ حَوْضِي مَا يَهْمُ بوردِهَا يَمُرُّ بِصَحْرَاءِ الْقَنَانَيْنِ خَاذِلَا

القنَّانان : في عالية نجد الجنوبية ، معروفان بهذا الاسم إلى اليوم ، والقنان الذي ذكره زهير
لا يبعد عن سميراء أكثر من نصف يوم .

أما السوبان فإننا نعرف موضعاً قريباً من الصمان مما يلي حفر أبي موسى الأشعرى ، لا يزال السوبان

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥٠ (٢) معمر في هذا البيت معناه حصن وملجأ .

(٣) انظر ما مر ذكره في ص ٣٠ من هذا الجزء . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٦٥ .

معروفا بهذا الاسم إلى اليوم ، وليس هو السوبان الذى عناه زهير في شعره ، وهذا السوبان يقع قريبَ وادى الرمة في جهته الشمالية ، وكانت به معركة بين بنى عبس وبنى حنظلة ، قال أوس بن حجر :

كَأَنَّهُمْ بَيْنَ الشَّيْطِ وَصَارَةِ وَجَرْتُمْ وَالشُّوبَانَ خُشْبُ مُصَرَّعٍ

والشبيط وصارة وجرتم : كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وهى واقعة من وادى الرمة في شماليه ، والسوبان معروف اليوم بموضع يقال له السايبة أو السايبة في طرف الموشم من جهته الشمالية الشرقية إذا كنت فيه ترى جبال صارة وجبال الجرثمى التى كان يقال لها فى الزمن القديم جرثم

* * *

٣ - وقال زهير :

رَعَوَامَا رَعَوَا مِنْ ظِلْمِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَارًا تَسِيلُ بِالرَّمَاكِ وَبِالدِّمِ
فَقَضَوْا مَنَاقِبَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ

غمار الذى ذكره زهير واقع فى بلاد غطفان وهذا الاسم يطابق على موضعين : أحدهما : جبل محاذٍ بلد سميراء من الجهة الجنوبية على حدود بلاد بنى أسد ، ويقال له اليوم « الغيار » وهو جبل أحمر شاهق إلى السماء ، وتصطاد منه الصقور ، وبه مياه كثيرة ، وهناك ماء يقال لها « غمرة » وظنى أنها التى عناه زهير فى هذين البيتين ، وهى واقعة فى بلاد غطفان شمالى النقرة ، على مسافة يوم ، وقد أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن حتى وصل غمرة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى عناه الحارث بن ظالم المررى بقوله :

وَإِنِّي يَوْمَ غَمْرَةٍ غَيْرَ فَخْرٍ تَرَكْتُ النِّهْبَ وَالْأَسْرَى الرِّغَابَا

وهناك موضع يقال له « غمرة » فى الجهة الشرقية من نجد وهى التى عناه الشمرذل بن شريك بقوله

سَقَى جَدًّاكَ أَعْرَافُ غَمْرَةٍ دُونَهُ بَيْشَةُ دِيْمَانُ الرِّبْعِ هَوَاطِلُهُ

وما بى حب الأرض إلا جوارها صداهُ وقولُ ظنُّ أنى قائله

وهى التى عناه عمرو بن قيس المرادى فى قصيدته التى أولها :

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعَلِيَاءِ بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ

إلى أن يقول :

وَحَيَّ نَازِلِينَ وَهَمَّ جَمِيعَ حِذَارِ الشَّرِّ يَوْمًا قَدْ دَهَيْتُ

(١) رواية التبريزى « غمارا تفرى بالسلاح وبالدم » .

وقد علم المعاصر غير فخر باني يوم غمرة قد مَضَبْتُ
فوارس من بني حُجْر بن عمرو وأخرى من بني وَهْبِ حَمَيْتُ
منى ما يأتني يومى تَجِدُنِي شَبَعْتُ من اللذازة واستقيت

وهناك موضع رابع يقال له « غمرة » يقع في جهة خير في الجهة الشمالية الشرقية منها على مسافة يوم أو أكثر ، والاسم لجبل أسود يقال له غمرة ، وفيها ماء قد وردتْها يقال لها « عقيلة غمرة » واقعة في بلاد هتيم وغزرة ، وأما التي ذكرها زهير في قصيدته فهي واقعة في بلاد غطفان كما ذكرنا وهي بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٤ - وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَقَلُّ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا عَلَى صَبِيرٍ أَمْرٍ مَا يُمْرُ وَمَا يَحْلُو^(١)

أما التعانيق والتقل فقد ذكر صاحب معجم البلدان^(٢) التعانيق ، وذكر أنها بالقرب من خير ، وعند خير موضع يقال له « التعانق » وعطف زهير التقل عليه ولا يكون إلا قريبا منه وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، والتعانيق أيضا : جبال حراء واقعة في كتيب جو اليمامة ، تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥ - وقال زهير :

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحْيَةِ بَعْدَ مَا هَجَمْتُ وَدُونِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالْقَمْلُ
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا سُحِقْتُ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمْلُ^(٣)

(١) على صير أمر : أى كنت على شرف أمر ، ما يمر فأبأس ، وما يحلو فأرجوه .
(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٩٣ عبارة ياقوت « التعانيق موضع في شق العالية » وأنشد بيت زهير ، وذكر التقل في ٣ / ١٩ ولم يبين موقعه ، بل لم يزد عن قوله « موضع من قول زهير » وأنشد البيت ، ثم قال « وروى التجل » وذكر في رسم التجل ٣ / ٩ « التجل اسم موضع في شق العالية » (٣) سحقت - بالبناء للمجهول - يروى بالفاء والقاف ، ومعناها جميعاً حلقت ، تقول : سحفت فلان رأسه ، وسحفته ، وسبته ، وجلطه ، وجلطه ، تريد حلقة ، والمقاديم : أراد بها مقدم الرؤوس ، والقمل : هو هذه الحشرة المؤذية ، وأراد الشعر الذى فيه القمل . ويريد بهذه العبارة منى التى هى من مشاعر الحج وفيها يخلق الحاج أو يقصر

الحزن

أما الحزن فهو موجود إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهو واقع شرق العروق يقال له « الحزل » غيرت نونه لاما .

الرمل

والرمل : هو رمل عالج المشهور الذى تداول ذكره الشعراء ، وفيه موضع يقال له « رمل مسهل » وهو قريب من تلك الناحية ، قال طفيل العنوى والشاهد فيها على الرمل^(١)
 تظل المَدَارَى في ضفائرها العُلَى إذا أرسلت أو هكذا غير مُرْسَل
 كأن الرِّعَاطَ والسُّلُوسَ تصلصلت على خُشَّائوى جَابَةِ القَرْنِ مَفْزَل
 أملت شهورَ الصيف بين إقامة دلولها الوادى ورمل مسهل

قال في معجم البلدان^(٢) : حزن هكذا غير مضاف طريق بين المدينة وخيبر ، ذكره في مغازى الواقدي في غزوة خيبر ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم في ذلك الموضع الذي ذكره ياقوت.

* * *

٦ - وقال زهير :

تَرْبَصْ فَإِنْ تَقُوِ الْمَرْوَرَةَ مِنْهُمْ وَدَارَاتُهَا لَا تَقُوِ مِنْهُمْ إِذَا تَخَلُّ
 فَإِنْ تَقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنْ مُحَجَّرَا وَجَزَعِ الْحَسَا مِنْهُمْ إِذَا قَلَمَا يَخْلُو

المرورة

المرورة : موارد ابنى عبد الله بن غطفان ماؤها : مر ، والمرة ، والمرير ، ومبران : متوالية واقعة شرق اللمباء ، وهى قريب منها في بلاد غطفان ، فسميت المرورة بذلك لأن المياه المحيطة بها كلها مرة المذاق ، منها : فج ، وفجيج ، وثرث ، والبدنة ، وأبو مغير ، والهميج ، وبلغة ، والمأوية فجميع هذه المياه ماؤها مر المذاق ، وأسماؤها المذكورة كلها أسماء جاهلية ، وقد تقدم الكلام على المرير في بيان المواضع الواردة في شعر امرئ القيس .

الدارات

وأما الدارات فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب ماء الهميج في شماليه الغربي ، وهى جبال حُر مُلتصم بعضها ببعض كأنها حائط مبنى ، ولاتدخل إلا مع مسالكها ، وقد أجزت تلك الدارات مرارا كثيرة ، قطعتها في سنة ١٣٣٧ هـ ست مرات ذهابا وإيابا ، وفي سنة ١٣٤١ هـ قطعتها مرتين ذهابا وإيابا ، وكانت هذه المرة آخر عهدي بتلك الناحية ، إذ اسرت قاصداً المدينة تركت المأوية على يمينك وماء الهميج على شمالك ، فهناك ترى الدارات قريب الهميج ، وقد كنت آتيا من بلغة وأبيت بها ثم أنشر منها ، وأمر في نهاري على بئر الزعفرانة ، وهى بئر حديثة عذبة الماء ، وإذا سرت منها قاصداً الغرب وتركتم جبل رَحْرَحَانَ على شمالك فهناك ترى وادى الحناكية

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٤ / ٢٨٦ . (٢) المعجم ٣ / ٢٦٩ .

كان الدوم فيه السفين المرسى في سواحل البحر ، والدارات المذكورة يقال لها في عهدنا اليوم « الدير » ثم أضافوه إلى المهييج فقالوا « دِير المهييج » والمهييج من مياه المروارة ، وهى التى عنها زهير فى قوله « المروارة وداراتها » .

ونخل : باقى على اسمه إلى هذا العهد ، إذا سلكت الطريق الذى ذكرنا ، وطلعت على وادى الحفاكية ، وتركْتَ رَحْرَحَانَ عن شمالك ، فمرج على يمينك وسرَّ أَمَلٌ من ساعة تصل إلى وادى نخل ، وفيهم من يصغره فيسميه « النخيل » وهو يصب فى وادى الحفاكية ، يقع منها فى الجهة الشرقية . وقال زهير بن أبى سلمى فى هذا الموضع :

وإني لَمُهْدٍ من ثَمَانِي مَدْحَةٍ إلى ماجِدٍ تُبَغِّى لديه الفواضِلُ
أحابي به ميتا بنخل ، وأبتغى إِيْخَاكَ بالقَيْلِ الذى أنا قَائِلُ
أما محجر فقد مضى الكلام عليه فى أشعار امرئ القيس ^(١) .

محجر

الحسا

والحِصَا : باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء جاهلى قريب من مياه المروارة ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، قال لبيد ^(٢) :

ويومَ أجازتُ قُلَّةَ الحزنِ منهمُ مناكِبُ تعلو ذا حِصَا وقنابلُ
على الصَّرَصَرَانِيَّاتِ فى كلِّ رحلةٍ وسوقٍ عِدَالٍ ليس فيهنَّ مائلُ
وهو معروف عند عامة أهل نجد ، ويقال له اليوم « الحسو » وقد تقدم الكلام عليه ^(٣) على ذكر المرير والمريرة وذكرنا هذين البيتين على المريرة .

أيا نَخْلَتِي حَسْبى المريرة هلْ لنا سَبِيلٌ إلى ظِلِّينِكمَا أو جنابكما
أيا نَخْلَتِي حَسْبى المريرة ليتنى أكون طَوَالَ الدهر حيث أراكما

وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسو عليا » وهو الذى ذكره زهير حين قال :
* وجزع الحسا منهم إذا قلما يخلو *

* * *

٧ - وقال زهير :

لِمَنْ طَلَلُ كَالْوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عَافَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالْزَسَيْسُ فَعَافِلُهُ
فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فَأَكْنَفٌ مَنَعِيْجٌ فَشَرَقِي سَلْمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ
فَوَادِي الْبَدْيِ فَالطَّوِيُّ فَشَادِقُ فَوَادِي الْقَنَانِ جَزَعُهُ فَأَفَاكِلُهُ

(١) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء . (٢) انظر المعجم ٣ / ٢٧٥ . (٣) انظر ص ٨٩ من هذا الجزء .

الرس ، والرئيس ، وعافل : ثلاثة أودية عظام تصب في وادي الرمة ، ومن واقعات في جبهته الجنوبية .

الرس : أما الرس : فقد مضى الكلام عليه ^(١) عند بيان قول زهير * فهنَّ لَوَادِي الرسِّ كاليد للنم * وهو باق بهذا الاسم .

الرئيس : باقٍ على اسمه إلى هذا العهد .

عافل : يقال له اليوم « العاقل » يقع من الرس مما يلي رامة في مطلع الشمس عنه ، يبعد

مسافة نصف يوم عن الرس ، والرئيس يقع من الرس تحت مطلع سهيل ، يبعد عنه مسافة يوم ، قال القتال السكلابي ^(٢) .

نظرتُ وقد جَلَى الدجى طاسمَ الضَّوَى بِلُحْ وَفَرْنُ الشمسِ لم يترجَّل
إلى ظُنِّ بينِ الرُّؤسِ فعافلٍ عوامد للشَّيْقَيْنِ أو بطن خَنْشَلٍ
ألا حبذا تلك البلادُ وأهلها لَوْ أَنَّ غَدًا لِي بِالْمَدِينَةِ يَنْجَلِي
وقال الخطيئة :

كأني كسوتُ الرجلَ جَوْنًا رَبَاعِيَا شَوْنًا تَرَبَّتُهُ الرئيسُ فعافلُ
والرس والرئيس وعافل كلها عامرة اليوم ، ولعافل شواهد يجتمع فيها بالرس والرئيس ، وله شواهد خاصة ، قال جرير ^(٣) :

لعمرك لا أنسى لياليَ مُنْجِرٍ ولا عافلٍ إذ منزلُ الحَيِّ عافلُ
وقال النابغة :

كأني شددتُ الكورَ حينَ شدَّتهُ على قارحٍ مما تَضَنَّ عافلُ
وقال عميرة بن طارق البربوعي :

لَمْ يَبْقَ مِنْ نَجْدٍ هَوًى غَيْرَ أَنِّي نَدَّ كَرْنِي رِيحُ الجنوبِ دُرَى الهَضْبِ
وَأَنِّي أَحَبُّ الرَّمْثِ مِنْ أَرْضِ عَاقِلٍ وصوت القَطَا في الطَّلِّ والمطرِ الضربِ
فَإِنْ أَكْ مِنْ نَجْدٍ سَقَى اللهُ أَهْلَهُ بِمَسَانَةٍ مِنْهُ فَقَلْبِي عَلَى قَرَبِ
وقال عبد الرحمن بن دارة :

نظرتُ ودورٌ من نَصِيبَيْنِ دُونِنَا كَأَنَّ عَرِيَّاتِ الْعِيُونِ بِهَا رُمْدُ
لَكِمْ أَرَى الْبَرْقَ الَّذِي أَوْصَتْ بِهِ دُرَى الْمَزْنِ عُلُوبًا وَكَيْفَ لَنَا يَبْدُو

(١) انظر ص ١١٥ . (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥١ .

(٣) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٦ / ٩٧ .

وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صَوْتَ حَامَةٍ يَمِيلُ بِهَا مِنْ عَاقِلٍ غُصْنٌ مَادُ
فَإِنِّي وَنَجْدًا كَالْقَرَيْنَيْنِ قَطَعَا قَوَى مِنْ جِبَالٍ لَمْ يَشْدْ لَهَا عَقْدُ
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقٍ عَدَانَا الْعِدَى عَنْهُ وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذكر عاقل :

نَمْنَى ابْنَتَايَ ابْنَ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَنَاحَتَانِ تَنْذُبَانِ بِعَاقِلٍ أَخَا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أُنْزُ
وَفِي أُبْنَى زَرَارِ أَسْوَةٍ إِنْ جَزَعْتُمَا وَإِنْ تَسَالَمَ تَخْبَرَا مِنْهُمْ الْخَبِيرُ

ورقد، وصارات، وأكناف منمعج، وشرقي سلمى، حَوْضُهُ وأجاوله، فأما صارات فقد سبق الكلام عليها في الكلام على معلقة امرئ القيس^(١)، وهي باقية بهذا الاسم إلى اليوم، إذا أفرقتها قلت : صارة، وإذا جمعتها قلت : صارات .

وصارة : اسم لهضبة سوداء، وصارات : هضاب صغار متصلة بها، وإليك بيتاً واحداً جمع ثلاثة مواضع، وهو دليل على أنها مجتمعة قريب بعضها من بعض، قال لبيد بن ربيعة^(٢) :

فَأَجَادَ ذِي رَقْدٍ فَأُكْنَفَ ثَادِقٍ فَصَارَةَ تَوَفَى فَوْقَهَا فَلَأَعَابِلَا
وقال محمد بن عبد الملك الفَقْعَمِيُّ :

سَقَى اللَّهُ حِيَا بَيْنَ صَارَةٍ وَالْحَيَى حَمَى قَيْدَ صَوْبِ الْمَدْجِنَاتِ الْمَوَاطِرِ
أَمِينَ، وَرَدَّ اللَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَوَقَّاهُمْ صُرُوفَ الْمَقَادِرِ

وجميع هذه المواضع التي ذكرها زهير كلها متصل بعضها ببعض .

ومنمعج : قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس وخلصته أن منمعجا جبال دخنة، ودخنة : هجرة معروفة لبني سالم من حرب، وقد زال عنها اسم منمعج، ولا تزال أشعار العرب تروى فيه، قال بعض الأعراب :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْمَعِجٍ إِلَى وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
وأما رَقْدٌ فاسمه قديم جاهلي، قال الشاعر :

أَحَقُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَائِرًا بِصَحْرَاءَ شَرْجٍ فِي مَوَاكِبٍ أَوْ فَرْدَا
وَهَلْ أُرِيَنَّ الدَّهْرَ عِبْلَاءَ عَاقِرٍ وَرَقْدًا إِذَا مَا الْآلُ شَبَّ لَنَا وَقْدَا

وقال الصَّمَّةُ الأَكْبَرُ :

(١) انظر ص ٢٧ من هذا الجزء . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

جلبنا الخليل من تَنْثِيَتْ حَتَّى أَصْبَنَا أَهْلَ صَارَاتِ فَرَقْدَ
ولم نَجْبَنْ ولم نَنْكَلْ، وَلَكِنْ لِحْصَانِمْ بِكُلِّ أَشْمٍ جَعَدَ
والشعراء يذكرون رقدا مع صارة، وثادق، وعاقل، ومنميج. وهذه المواضع كلها يَرُى بعضها
من بعض: صارة ورقد وثادق هذه الثلاثة على ضفة وادي الرمة في جهته الشمالية مما يلي أبانات،
وأنا لا أعرف رقدا بهذا الاسم، إلا أنه في تلك الناحية، وهناك موضع يقال له «وَقَطْ» وأظن أنه
وقد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واوا.
والخوض الذي ذكره زهير في قوله:

الخوض

* فشرقي سَلْمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوَلَهُ *

ما أظنه إلا ذلك الوادي الواقع هناك شرقي سلمى بين قرى القَصِيمِ الشمالية وقرى الجبل الجنوبية
ويقال له اليوم «الخويض».

والبدى: يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في معلقة لبدي، لأن البدى: اسم يقع على
وادين: أحدهما: الذي ذكره زهير في قصيدته هذه، وهو في طرف القَصِيمِ الشرقي، والثاني:
الذي ذكره لبدي في معلقته وبانيته، وهو واقع في بلاد بني عامر بن صعصعة قريب دَمَخ.
أما الطوى: فكل بئر مطوية يقال لها عند العرب «الطوى».

البدى

الطوى

وثادق: ماء معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الآن عامر، فيه نخيل وزراع، عمره
جماعة من حرب يقال لهم البيضان، ورئيسهم ابن غميص، يصبُّ واديه في وادي الرِّمَّة، يقع من
أبان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية، قال الأصمعي: هو واد ضخم يفرغ في وادي
الرمة، قال عقبة بن سواد: (١)

ثادق

أَلَا يَا لَقَوَى لِهَيُومِ الطَّوَارِقِ وَرَبْعِ خَلَا بَيْنَ السَّيْلِ وَثَادِقِ
وقال الشاعر:

سَقَى الْأَرْبَعِ الْأَطَارِ مِنْ بَطْنِ ثَادِقِ هَزِيمُ السَّكَلَى جَاشَتْ بِهِ الْعَيْنُ أَمْلَحُ
وقال عبد الرحمن بن دارة:

قَضَى مَالِكٌ مَا قَدْ قَضَى نُمٌّ قَلَصَتْ بِهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَجَفَاءَ عِزْمَسُ
فَاضِحَتْ بِأَعْلَى ثَادِقِ فَكَانَهَا مَحَالَةً غَرِبَ تَسْمَرُ وَتَمْرَسُ
وثادق: كما ذكرنا غربي أبان الأسود.

ووادي القَتَّانِ قد مضى الكلام عليه في معلقته (٢)

* * *

(١) انظر هذه الشواهد في معجم البلدان ٣ / ٣ . (٢) انظر ص ١١٥ من هذا الجزء .

٨ - وقال زهير :

عَزِيزٌ إِذَا حَلَّ الْخَلِيفَانِ حَوْلَهُ بِذِي لَحَبٍ لِحَاثُهُ وَصَوَاهِلُهُ^(١)
يَهْدُ لَهُ مَا دُونَ رَمْلَةٍ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بِالْمُغَوَّرِ زَالَتْ زَلَّازِلُهُ

عالج : رمال بين الفجاج الذي يقال له اليوم « الأسياح » وبين شرقي حائل ، جميع الأكنبة المتصلة في تلك الناحية يقال لها : رمال عالج ، إذا أجازها الحاج المتوجه من البصرة قاصداً المدينة يمر في طريقه على فيد الماء المعروف في شرقي سلسي ، وهذه الرمال لا تعرف بهذا الاسم اليوم ، قال عبيد بن أيوب اللص^(٢) :

انظر فَرَنُخَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً رَأَدَ الضَّحَى الْيَوْمَ هَلْ نَرْنَادُ أَطْمَانَا
يَعْلُونَ مِنْ عَالِجٍ رَمْلًا وَيَسْفُهُ أَخُو رِمَالٍ بِهَا قَدْ طَالَ مَا كَانَا
إِذَا حَبَا عَقْدَ نَكْتَنِ أَصْعَبِهِ وَاجْتَبَيْنَا مِنْهُ جَاهِرًا وَغَيْطَانَا

وقال أعرابي :

أَلَا يَا بُغَاثَ الْوَحْشِ هَيَّجْتَ سَاكِنَا مِنْ الْوَجْدِ فِي قَلْبِي أَصَمَّكَ صَائِدُ
رَمَيْتَ سَلِيمَ الْقَلْبِ بِالْحَزْنِ فِي الْحَشَا وَمَا قَلْبُ مِنْ أَشْجَيْتَ بِالْمَوْتِ طَارِدُ
أَفَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْ تِلَادٍ وَعَايِرٍ بُغَاثُ مَهَاةِ الْوَحْشِ لِلْقَلْبِ قَاصِدُ
أَتَيْجَتَ لَنَا مِنْ كُلِّ مُنْعَرَجِ الْوَى وَمُتَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْعَذِيبِينَ نَاهِدُ
يَرِاشِقُ أَكْبَادَ الْحَبِينِ بِاللَّوَى مِنَ الْوَحْشِ مَرْتَابَ الْعَذَابِ فَارِدُ
فِيَارِاشِقَاتِ الْعَيْنِ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ مَتَى مِنْكُمْ سِرْبٌ إِلَى الْمَاءِ وَارِدُ
فَمَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرُنِي أُمِيمَةً نَارِغٍ وَلَا الدَّمْعُ مِمَّا أَضْمَرَ الْقَلْبُ جَامِدُ

أما الغور : فهو مشهور في كتب التاريخ ، واسمه باق إلى هذا العهد .

* * *

٩ - وقال زهير في قصيدة مدح بها هريم بن سنان المري ومطلعها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَانْفَرَقَا وَعُلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءِ مَا عُلِقَا
إلى أن قال :

يُحْمِدُ مُغْرَلَةً أَدْمَاءَ خَذَلَةٍ مِنَ الطَّبَّاءِ تُرَاعِي شَادِنًا خَرَقَا

(١) هذه رواية الأعمى ورواه ثعلب « إذا حل أحياء الأخالييف حوله » .

(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٩٩ .

كَأَنَّ رَيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَتَتْ مِنْ طَيْبِ الرِّاحِ لَمَّا يَبْدُ أَنْ عَقَبَا
شَجَّ الشَّقَاةِ عَلَى نَاجُودِهَا شَيْمًا مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ لَا طَرَقًا وَلَا رَنَقًا
مَازَلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي التَّرْكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا
لينة : فهي آبار ماؤها عَذْبٌ لَا تَزَالُ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، كَانَتْ فِي الزَّمَنِ
الْقَدِيمِ الْمَنْزِلُ الرَّابِعُ لِقَاصِدِ مَكَّةَ مِنْ وَاسِطٍ ، وَهِيَ عَامِرَةٌ ، وَبِهَا مَرْكَزٌ وَقَصْرٌ مَنِيحٌ لِلْحُكُومَةِ جَلَالَةُ
الْمَلِكِ عَبْدِ الْمَزِيدِ آلِ سَعُودٍ حَفِظَهُ اللَّهُ ، وَبَعْضٌ مِنْ يَتَوَجَّهُ مِنْهَا بِسَلَكٍ حَائِلًا ، قَالَ الْأَشْهَبُ
ابْنُ رُمَيْلَةَ ^(١) :

وَلِلَّهِ دَرَى أَيْ نَظَرَةٌ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَدُونِي أَيْنَةً وَكُثَيْبَهَا
إِلَى طُلُوعٍ قَدْ يَمَّتْ نَحْوُ حَائِلٍ وَقَدَعَزَّ أَرْوَاحُ الْمَصِيفِ جَنُوبَهَا
وَكَانَتْ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِنْ مِيَاهِ طَيِّبَةٍ ، وَتَحَاظُهُمْ فِيهَا بَنُو أَسَدٍ ، وَهِيَ صَالِحَةٌ لِلْأَبْلِ ، قَالَ
مُضَرَّسُ الْأَسَدِيِّ :

إِمْنِ الدِّيَارِ غَشِبَتْهَا بِالْإِمْدِ بِصَفَاءِ لَيْنَةٍ كَالْحَمَامِ الرُّكْدِ
أَمْسَتْ مَسَاكِينَ كُلِّ بَيْضِ رَاعَةٍ عَجِلَ تَرَوْحُهَا وَإِنْ لَمْ تَطْرُدْ
صَفَرَاءَ عَارِيَةِ الْأَخَادِعِ رَأْسَهَا مِثْلَ الْمُدَقِّ وَأَنْفُهَا كَالْمَسْرَدِ
وَسَخَالِ سَاجِيَةِ الْعُيُونِ خَوَازِلِ بِجَمَادٍ لَيْنَةٍ كَالنَّصَارَى الشُّجْدِ
وَرَاكِسٌ : بَاقٍ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، يَقَعُ فِي شَرْقٍ بَلْعَةً جَبَلٍ يَمْتَدُّ أَسْوَدَ لَيْسَ بِالرَّفِيعِ
بِهِ أَزْرَقٌ ، عَلَى جَنْبِهِ رَمْلٌ وَأَحْجَارٌ ، وَقَدْ أَضْيَفَ إِلَيْهِ هَذَا الْأَبْرَقُ فَقِيلَ « أَبْرَقُ رَاكِسٌ » وَهُوَ
يَبْعُدُ عَنْ بَلْعَةٍ أَقْلَ مِنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ ، وَيَقَعُ عَنِ الْمَاوِيَةِ مِمَّا يَلِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ مِنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ ،
وَقَدْ قِيلَتْ فِيهِ أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قِسْمًا مِنْهَا ، قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ ^(٢) :

لِأَسْمَاءَ رَسَمُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارَسَا وَأَوْحَشَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ :

وَأَنَا ذَمَمْنَا الْأَعْلَمَ بْنَ حُوَيْلِدٍ وَحَلَمَ عَقَالٍ إِذْ قَدَدْنَا أَبَا حَزْبٍ
إِذَا مَا حَلَّتْهُمُ بِالْوَحِيدِ وَرَاكِسَ فَذَلِكَ نَصْرُ طَائِشٍ عَنْ بَنِي وَهَبٍ

وَرَحْرَحَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ يَقَعُ غَرْبًا عَنْ رَاكِسٍ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ .

* * *

٩٠ — وقال زهير :

دَانِيَةً مِنْ شَرَوْرَى أَوْفَقًا أَدَمَ يَسْعَى الْخِدَاةُ عَلَى آثَارِهِمْ حِرْقًا
كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةٌ مِنَ النَّوَاضِجِ تَسْقِي جَنَّةً سُحْقًا

أما شَرَوْرَى فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على الهضب الذي يقال له هضب شرورى . شرورى
وأما آدم فيقال لها اليوم « آدمى » وهى تقع فى الشمال الغربى من ضرغد بينهما مسافة يوم
فى مقطع الحرة ، وهى حرة منيعة ، قال القتال السكلايى وقد توعدّه مروان بن الحكم ^(١) :

وَأَرْسَلَ مَرْوَانَ الْأَمِيرُ رَسُولَهُ لِأَنِّيهِ إِنِّي إِذَا لُمُضِلُّ
وَفِي سَاحَةِ الْعَنْقَاءِ أَوْ فِي عَمَايَةِ أَوِ الْأَدَمِيِّ مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ مَوْتُ

وقال أبو سعيد السكرى فى قول جرير :

يَا حَبَّذَا الْخَرْجُ بَيْنَ الدَّامِ وَالْأَدَمِيِّ فَالرُّمْتُ مِنْ بُرْقَةِ الرُّوحَانِ فَالْغَرْفِ
الدَّامِ وَالْأَدَمِيِّ فِي بِلَادِ بَنِي سَعْدِ .

وقال أبو خراش الهذلى :

تَرَى طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَفْشُونَ بَابَهُ سِرَاعًا كَمَا نَهَوَى إِلَى أَدَمِيِّ النَّحْلِ

تنبيه — ونريد أن ننبه القارئ إلى أن الشاهد الذى أوردناه للقتال السكلايى إنما عنى به
أدمى التى ذكرها زهير ، وذلك أنها حرة منيعة . وأما التى ذكرها جرير فهى واقعة فى جبال اليمامة
ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ، وأما التى ذكرها أبو خراش الهذلى : فهى من جبال
الطائف ، ويقال لها اليوم « أدمة » إذا خرجت من بلد الطائف وأجرت قصر شبرا سالكا طريق
الحوية المائدة لسمو الأمير فيصل آل عبد العزيز ، وتركت بستان سمو الأمير عبد الله على شمالك ؛
فإنها حينئذ على يمينك يحفها الطريق ^(٢) .

* * *

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٥٧ وما بعدها .

(٢) ثم إنى بعدما ذكرت « آدم » وحددت المواضع التى يطلق عليها هذا الاسم وجدت رجلا
خبيرا عارفا ببلاد غطفان ومياهما وجبالها ، فسألته عن أدمى ، فقال : هى هضبة حمراء مدومة ليست
بالرفيعة ، تقع من جبل رخام فى الشمال الغربى على مسافة يوم أو أقل ، وهضب شرورى الذى يسمى
اليوم هضب القناد يبعد عنها إلى الجنوب مسافة يوم ، وهى التى ذكرها زهير ، وهى واقعة فى قلب
بلاد غطفان ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، المؤلف .

١١ - وقال زهير :

رَدَّ الْجَمَالَ قِيَانُ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوا إِلَى الظَّهِيرَةِ ، أَمْرٌ يَنْبَغُ لَبِكُ^(١)
ضَحَّوْا قَلِيلًا فَقَا كُثْبَانُ أَسْنَمَةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ^(٢)

أسنمة

أما أسنمة : فقد أجمع أهل الأخبار أنها لم تسم أسنمة إلا لأن السكَّابَيْن فيها كأنها أسنمة الإبل ، وهي واقعة على طريق الحاج بين البصرة والمدينة ، وهي آخر المروق الغربية من جهة سلمى ، وهناك موضع في تلك الجهة يقال له في هذا العهد « أسنمة نواظر » وهي التي عندها زهير ، ويدل على أنها في تلك الناحية البيت الذي سنورده بعد هذه العبارة ، وأسنمة هي التي عندها ربيعة بن مقروم^(٣) بقوله :

لَمَنِ الدِّيارُ كَأَنَّهَا لَمْ تُحْذَلْ بِجَنُوبِ أَسْنَمَةٍ فَقُفْتُ الْمُنْضَلِ
دَرَسَتْ مَعَالِمَهَا فَيَاقِي رَسْمَهَا خَلَقَ كَعُنُونِ السَّكَّابِ الْحَوْلِ
دَارَ لِسُعْدَى إِذْ سَعَادَ كَأَنَّهَا رَشَاغُضِضُ الطَّرْفِ رَخْصُ الْمَفْصَلِ

وأما أسنمة الواقعة في بلاد بني تميم في رمالها الشرقية التي يقول فيها جرير :

قَالَ الْعَوَاضِلُ : هَلْ تَنْهَكَ تَجْرِبَةُ أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَالْإِخْوَانَ قَدْ دَلَّعُوا
أَمْ مَا تُبْلِمُ عَلَى رُبْعٍ بِأَسْنَمَةٍ إِلَّا لَعِينِكَ جَارٍ غَزَبُهُ يَكْفُ
مَا كَانَ إِذْ رَحَّلُوا مِنْ أَرْضِ أَسْنَمَةٍ إِلَّا الدَّيْلُ لَهَا وَرَدَ وَلَا عَلَفُ
فأسنمة هذه غير التي ذكرها زهير .

القسوميات وأما ماء القسوميات فأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، والمياه الواقعة بين أسنمة وسلمى كثيرة قال ياقوت في معجمه^(٤) على القسوميات : إنها تمد فيها رگايا كثيرة ، وبيت زهير هذا يدل على أنها مياه ، ألا ترى إلى قوله :

* ضَحَّوْا قَلِيلًا فَقَا كُثْبَانُ أَسْنَمَةٍ *

فإن هذه العبارة تدل على أن أسنمة خالية من الماء ، ثم قال وهو عجز البيت :

* وَمِنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ *

أراد اعتركوا على الماء وشرا به وسقى إبلهم منه ، استعار هذه اللفظة من معركة القتال ، ولما ذكر ياقوت القسوميات في معجمه لم يورد عليها من الشواهد إلا بيت زهير .

(١) في الديوان « رد القيان جمال الحى » (٢) هذه رواية الأصمعي ، وروى ثعلب وياقوت

« وعرسوا ساعة في كُثْبِ أسنمة » (٣) انظر معجم البلدان ١ / ٢٤٦ (٤) المعجم ٧ / ٩٠

١٢ — وقال زهير ، وهو الذى بعد هذا البيت :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا : إِنَّ مَشْرَبَكُمْ مَاءٌ بِشَرْقِيٍّ سَلَمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ
يَغْشَى الْحِدَاةَ بِهِمْ وَغَثَ الْكَثِيبِ كَمَا يُغْشَى السَّمَاءُ مَوْجُ اللَّحْجَةِ الْعَرَكُ^(١)

وفيد : بلد قديم جاهلى ، وهو باقى على اسمه هذا إلى هذا اليوم ، يقع شرقى سلمى مما بلى مطلع الشمس ، منقطع من سلمى ، فيه نخيل ومزارع ، وقد ذكروا فى تقسيم الطريق بين مكة والكوفة أنها فى نصف المسافة بين مكة والكوفة ، ويضع حاج العراق فيها أنقائم حتى يرجعوا إليها ، قال الزجاجى : سميت بفيد بن حام بن نوح ، وأهلها فى الجاهلية ثلاثة أثلاث : ثلث من العمريين ، وثلث لآل أبى سلامة من همدان ، وثلث لبنى نهبان من طى ، وهى من ملحقات جبل طى ، ولا يحتاج إلى شواهد على هذا الاسم ، وينسب إلى هذا البلد محمد بن يحيى ابن ضريس الفَيْدَى ، ومحمد بن جعفر بن أبى مواتيه الفَيْدَى ، وأبو إسحاق عيسى بن إبراهيم الفَيْدَى الكوفى وهو عالم جليل ، سكن فيدا ، يروى عنه موسى الجَنْهَنى ، روى عنه أبو عبد الله عاصم ابن فزارة الكوفى وغيره .

ورَكَك : وادٍ عظيم باقى بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يصب من جبل سلمى فى جهته الشرقية مما بلى الشمال ، كثير المياه ، قال عبيد بن الأبرص الأسدَى^(٢) :

تَغَيَّرَتِ الدِّيَارُ بِذَى الدَّفِينِ فَأَوْدِيَةِ اللَّوَى فَرَمَالٍ لَيْنِ
تَبَيَّنَ صَاحِبِي أَنْزَى حَوْلًا نَشَبَ سِيرَهَا عَوَمَ السَّقِينِ
جَعَلَنَ التَّلَجَّ مِنْ رَكَكٍ شِمَالًا وَنَسَكَبَنَ الطَّوِيَّ عَنِ الْيَمِينِ
ورَكَك معروف عند أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا اليوم .

* * *

١٣ — وقال زهير يصف فرسا :

كَأَنَّهَا مِنْ قَطَا الْأَجْبَابِ حَلَّاهَا وَرِذْدٌ ، وَأَفْرَدَ عَنْهَا أَخْتَهَا الشَّرَكَ^(٣)

(١) فى الديوان « يغشى الحداة بهم حر الكتيب » والعرك - بفتحين - الملاحون ، ويروى بكسر الزاء وهو المتلاطم الذى يدفع بعضه بعضا (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٧٩
(٣) الأجباب : جمع جب - بالضم - وأصله البئر لم تطو ، وقال ثعلب : الأجباب مواضع فيها ركابا . والورد - بالكسر - الإبل الواردة ، وحلاها : منعها ، وروى ثعلب « حان لها ورد » يقول : نظرت إلى الماء فرأت عليه ناسا كثيرين فلم ترده ، والشرك : حبال الصياد ، وروى ثعلب فى مكانه « الشبك » والمعنى واحد

الى

جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ الْقَسَمِ مَرَّتُهَا بِالسَّيِّ، مَا تُنْبِتُ الْقَفْعَاءَ وَالْحَسَكُ^(١)
والسَّيِّ : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، واقع بين معدن بني سليم الذي يقال له
اليوم « المهد » وبين خرة بني سليم وسيوله وسيول ساية ، تصب إلى جهة الغرب وتنحدر إلى
أعلى وادى فاطمة المسمى « مر » وساية الوادى المذكور : فيه نخيل ومزارع ، وسكانه بنو سليم ،
وسى هذا هو الذى عناه زهير . وكلا الواديين باقى بهذا الاسم إلى اليوم ، قال خالد بن مالك
الهذلى فى ذكر^(٢) ساية .

بودك أحمابى فلا تزدهيمُ * بساية إذ دمت علينا الخلائبُ
وقال المعطل الهذلى فى ذكر ساية ؟

ألا أصبحت ظمياء قد نزحت بها نوى خيمتور طرحتها وشقتها
وقالت : تعلم أن ما بين ساية وبين دفاق روضة وغدائها
وقال أبو عمرو الهذلى :

أسألك عنهم كلما جاء راكبٌ مقيماً بأملح إذا ريط اليعفر
وما كنت أخشى أن أعيش وراءهم يستقئ أبيات كما نبت العتر^(٣)
بما قد أراهم بين مر وساية بكل مسيل منهم أنس غير

مر : هو مر الظهران الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » يصب سيله فى البحر الأحمر ،
وفى أعلاه موضع يقال له « وادى مر » لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وساية داخلية فى
أودية الحجاز ، أما « وادى سبي » الذى ذكره الشاعر فإنه يقع فى شرقها على حدود جبال الحجاز
وقال جرير فى ذكر السى :

إذا ما جعلت السى بينى وبينها وحرّة ليلى والعقيق اليمانيا
دعوت إلى ذى العرش رب محمد ليجمع شعباً أو يقرب نائياً
ويأمرنى العذال أن أترك الهوى وأن أخفى الوجد الذى ليس خافياً

(١) جونية : أى فيها سواد ، وحصاة القسم : الدرة التى يقدر بها الماء فى القدح إذا تصافنوا ،
وإنما يفعلون ذلك إذا نفذ ماؤهم ، يتقاسمونه فيأخذ كل منهم مقدار ما يطفى حصاة ، وأراد أنها
مستوية لأن قسم الماء بالحصاة لا يكون فيه جيد ولا غبن . والسى - بكسر السين - أصله ما استوى
من الأرض ، والقفعاء : بقلة من أحرار البقول . (٢) معجم البلدان ٥ / ٢٣ .
(٣) العتر - بالكسر - نبت لا يزيد ورقه عن ست ورقات ولا ينقص عنها .

فِيَا حَمَرَاتِ الْقَلْبِ فِي إِثْرٍ مِنْ يُرَى قَرِيبًا وَبُلْفَى خَيْرِهِ مِنْكَ قَاصِيَا
وَأِنِّي لَعَفْتُ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْفَنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي انْتِقَالِيَا
وقال ابن راح بن قرة أخو بني الصُّمُوتِ يَذْكُرُ الْمَيَّ^(١) :

وَأِنْ عِمَادَ الْمَيِّ قَدْ حَالَ دُونَهَا طَوَى الْبَطْنِ غَوَّاصٌ عَلَى الْهَوْلِ شَيْظُمُ
فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ شَيْخَنَا حِينَ ضَمَهُ وَإِيَّاكُمْ أَلْبُ الْحَوَادِثِ يَزَحُمُ

وأما الأجباب التي ذكرها زهير في قوله : * كأنها من قطعاً الأجباب - إلخ * فإني لما نظرت
في شرح الأعلام على هذا البيت رأيته قال : الأجباب : جمع جب ، وهو كل بئر لم تطو ، وحدثني
الخبيريون ببلاد طى وبلاد بني أسد وبلاد غطفان أن في شرقي سلمى آباراً يقال لها « الأجباب »
واقعة في موضع بين فيد^(٢) وركك ، وهي للركك أقرب ، ولم يَعرَفْ زهير إلا تلك الآبار ، وهي باقية
بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٤ - وقال زهير :

تَعْلَمُنَّ هَا لَعَمْرُؤُ اللَّهِ ذَا قَمًا فَاقْصِدْ بَذَرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَثْنٌ حَلَّتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ يَدْنُنَا فَذَكُ
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنَظِقٌ قَذَعُ بَاقٍ كَمَا دَنَسَ الْقُبُطِيَّةَ الْوَدَكُ

قد غلط كثير من الشراح والطباع بسبب نقطة وضعوها تحت الحرف فصار « جوا » فلو
وضعوها فوق لكانت « خوا » وهي الواقعة في بلاد بني أسد ، والصحيح أن زهيراً قصدها وأن
صواب الرواية * لثْنٌ حَلَّتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ - البيت * .

وخو : ماء جاهلي يقع في شرقي سميراء الجنوبي في خشم الجبل المسمى « حبشى » وقد وردته
تسميه العامة اليوم « الخوة » وعنده يوم من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع قتل فيه
ذؤاب بن ربيعة عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، وقال مالك بن نويرة^(٣) :

وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنْ أَصَابَتْ رَمَاحُنَا عَشِيَّةَ خَوْ رَهْطَ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ
عَمِيدُ بَنِي كَوْزٍ وَأَفْنَاءُ مَالِكٍ وَخَيْرُ بَنِي نَصْرِ وَخَيْرُ الْفَوَاضِرِ

وقال بعثر بن لقيط الققمسي ، وهو أسدي :

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٢٠٤ (٢) وعبارة ثعلب « الأجباب مواضع فيها ركابا »

(٣) معجم البلدان ٣ / ٤٩٢

أَلَا حَيَّ لِي مِنْ لَيْلَةِ الْقَبْرِ إِنَّهُ مَابَ ، وَإِنْ أَكْرَهْتُهُ ، أَنَا آيِبُهُ
وَبَارَكَ خَوْ يَنْسَجُ الرِّيحُ مَتْنَهُ إِذَا أَطْرَدْتَ قَرِيَانَهُ وَمَذَانِيَهُ
إِذَا أَفَامَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ كَأَنَّمَا يَدُقُ بِهِ قَرْنَ الْقَرْفُلِ نَاشِيِبُهُ
إِذَا تَوَرَّتْ غَرَاؤُهُ وَدَمَائُهُ وَزَيْنَ بَقْلُحِ الْأَيْهَقَانِ أَخَاشِيِبُهُ
كَأَنَّ لَهَا غَيْرًا مِنَ الْمَسْكِ حَلْمَهَا دَهَاقِينُ مَلَكُ تَجَفْنِي وَمَرَّازِيِبُهُ
وَتَارَكَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ لِأَهْلِهِ تَرُوحُ لَهُ أَصْحَابُهُ وَصَوَّاحِيِبُهُ
وقال الراجز :

وبين خوين زقاق واسع زقاق بين التين والربائع
والتين أعرفه ، لا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إذا كنت عند خور رأيت بينك في الجهة
الجنوبية منه ، وفيها - أعني خوا المعروف اليوم بالخوة - قصر ومزارع تبعد عن سميراء أقل من
نصف يوم مما يلي مطلع الشمس .

وأما فذك : فهو المعروف اليوم عند عامة العرب بالحائط والحويط ، واقع في حرة سوداء
يحيط به حرار سود ، وهو في أرض منخفضة في الحرة ، فيه ثلاث عيون تصب من الحرة وتسمى
نخيله ، وهو كثير النخل ، ويعرف باتصال الحمي ، وقد أتتبه ثلاث مرات للأشجار : الأولى أقت
فيه شهرا وذلك في سنة ١٣٤١ هـ ، ومرضت بالحمي وشفاني المولى منها ، ولما افتتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكثر حصون خيبر ، ولم يبق إلا ثلثها واشتد الحصار بأهلها أرسلوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُنزِلهم على الجلاء فأجابهم ، فبلغ ذلك أهل فذك
فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه أن يصالحهم على نصف ثمارهم ولحمواهم ؛
فأجابهم إلى ذلك ، فهي مما لم يُوجِفْ عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وأخبار فذك طويلة ، ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ضمها
أبو بكر إلى بيت المال ، فلما توفي رضي الله عنه - وكانت فاطمة قد توفيت - وولى الخلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه تنازع على رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب ، على يقول : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعلها لفاطمة ؛ فهي لنا ، والعباس يأنى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنا وارثه ، فكانا يحتصمان إلى عمر رضي الله عنه ، فيأبى أن يحكم بينهما ،
ويقول : أتما أعرف بشأنكما ، أما أنا فقد أسلستها إليكما ، فاقصدا ؛ فما يؤتى واحد منكما من قلة
معرفة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله في المدينة يأمره أن يرد فذك إلى ولد

فذك

فاطمه رضى الله عنها ، فكانت في أيديهم أيام عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها منهم ، فبقيت في أيدي بنى أمية إلى خلافة بنى العباس ، فلما كان عهد المأمون جاء رسول بنى على بن أبى طالب فطالب بها ، وشكا إلى المأمون ، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها سجل يكون بأيديهم ، فلما قرىء السجل على المأمون ودعبل الشاعر بين يديه قام وأنشد القصيدة التى مطلعها

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ قَدْ ضَحِكَ رَدُّ مَأْمُونٍ هَاشِمٍ قَدْ كَا

والذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فذك بالصلح تحيصة بن مسعود ، ورئيس فذك يومئذ يوشع بن نون اليهودى .

وفذك الذى ذكره زهير هو المعروف بالحائط في هذا العهد ، سكانه اليوم يقال لهم « الحوايطه » جلدتهم سوداء ، وبلغني أن الحائط كان ملكا لابن مجلاد من رؤساء غزنة ، ثم جلا إلى العراق واستوطنها في أواخر القرن الثانى عشر ، وبقي به عبيده وفلاحوه ، وملكوا تلك الناحية شيئا فشبنا إلى هذا اليوم ، وهم باقون فيه ، وبأديتهم هتيم ، وهو واقع في القطعة التى يتجولون فيها ويقيطون فيها أيام صرام التمر ، وهى بين المدينة المنورة وبين حائل مدينة جبل طى ، في نصف المسافة بينهما تقريباً

* * *

١٥ — وقال زهير في قصيدته التى مطلعها :

قِفْ بِالذِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفَهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَزْوَاجُ وَالْدِّيمُ

وهذه القصيدة مدح بها هرم بن سنان المرى ، وتوسع في المواضع ، فذكر السر والعتكين ، وهما في شرق نجد ، وذكر قرقرى وبرك ، وهما في جنوبى نجد الشرق ، وذكر صبحا وهى في جنوبى نجد ، وذكر ظلما ، وهى في جنوبى نجد الغربى ، وقد توسع في المواضع كما توسع في مدح هرم — قال :

دَارُ الْأَسَاءِ بِالْعَمَرَيْنِ مَائِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرَمُ
وَقَدْ أَرَاهَا حَدِيثًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ السَّرُّ مِنْهَا قَوَادِي الْحَفْرِ قَالِهِمْ^(١)

الغمران : هما « غمرة » الماء المعروف بهذا الاسم الواقع في بلاد غطفان ، وهى واقعة على ضفة رابى الرمة الشمالية ، بين مصب الجريب في الرمة وبين الحاجر ، وهى على هذا الاسم إلى هذا العهد . وغمرة الثانية : واقعة في أعلى بلاد غطفان ، وهى فاصلة بين نجد والحجاز ممابلى ممدن (١) في الديوان برواية ثعلب « بل قد أراها جميعا غير مقوية » وفي رواية « الجمر » بالجيم مكان الحاء .

بنى سليم ، وهاتان الغمرتان هما اللتان عناهما زهير ، لأنهما واقعتان في بلاد قومه ، وأما غمرة التي في بلاد بني أسد ؛ فهي التي يقول فيها عبيد بن الأبرص :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظَمَأَيْنِ سَلَكْنِ غَيْرَا دُونَهُنَّ غَمُوضُ

وفوق الجمال الناعجات كواعبُ محابيض أبكار أوانسُ بيضُ

وهي التي يقول فيها ذو الرمة :

تَقَاضَيْنِ مِنْ أَعْرَافِ لَيْنٍ وَغَمْرَةٍ فَلَمَّا تَعْرِفْنَ الْيَمَامَةَ عَنْ عُفْرِ

والمقصود أن غمرتين الواقعتين في بلاد غطفان إحداهما في النصف منها ، والثانية في أعلاها على أسمائها إلى هذا اليوم .

وأما السر فإن في نجد مواضع كثيرة تقارب أسماءها هذا الاسم : السرة ، وسرير ، وتسريز ، وسرار ، فأما على هذا الوزن الذي ذكره زهير فلا أعلم إلا السكتيب المرتكك بين خف ومرات ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه وحددنا قراء ومياهه ، وهذا اسمه في الجاهلية ، وقد مر ذكره في هذا الكتاب في مُسَاجَلَةِ امرئ القيس والحارث حين قال^(١) :

فَلَمْ يَتْرَكَ بِذَاتِ السَّرْطَلِيَا وَلَمْ يَتْرَكَ بِمَجْلَمَتِهَا حِمَارَا

ووادى الحفر : يعرفه عامة أهل نجد وغيرهم ، لأنه باقٍ بهذا الاسم ، ويقال له « حفر بنى حسين » وهو بلد قديم جاهلي ، وعمر في صدر الإسلام ، وبه آثار وآبار قريبة الماء يؤمل أن تجرى على ظهر الأرض ، وآثار القصور والآطام^(٢) باقية إلى هذا العهد ، وقد حدثني الشيخ العلامة عبد الله السليمان آل بليهد عن هذا الحفر وعماره ، وفي سلسلة من حديثه قال : إن الخليفة المستعين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصى حَمَلَةَ القرآن عن ظهر الغيب من أهل الحفر من الذين قَصَدُوا مكة للحج فكتبوا أسماءهم : فلان بن فلان الحفري ، وفلان بن فلان الحفري إلخ ، فوجدوهم إحدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور ، و (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) وموقعه على حدود كشب الواقعة غرب منه وهو منهل ، ترده الأعراب ، إذا كثت على الحفر فجبل شعر منك أمام المصلى ، وجبل كشب بينك وبين الشرق ، وجبل شعر يبعد عن الحفر مسافة يوم للراكب البطيء .

أما الهدم فهو باقٍ بهذا الاسم لم يتغير إلا بحرف واحد ، وضموا في موضع الميم باء فقالوا : « الهدب » وواديه هو وادى الحفر ، واقع شرقي ماء الحفر المذكور ، وهو آبار قليلة الماء متهدمة .

(١) انظر ص ٦٨ من هذا الكتاب (٢) الآطام : جمع اطم - بزنة عنق - وهو الحصن

وإني بعد أن ذكرت السر الذي في بيت زهير^(١) وذكرت السر الذي في طريق السيارات بين خف ومرات ، اجتمعتُ برجل عارف خبير ببلاد غطفان وجميع أماكنها ، فسألته عن السر ، فقال : إنه موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذي غناه زهير ؛ لأنه واقع في بلاد غطفان بين كشب وبين صفينة والسوارقية القرى المعروفة في بلاد غطفان ، وهو وادي يأتي سيلُهُ من جهة الغرب ، وينحدر إلى جهة الشرق الجنوبي مما يلي مطلع الشمس ، ويقف في « صباحا » قريب كراع الحرة المجاورة لجبل كشب وجبل أكباد وجبل أنياب يقعان منه في الجهة الشمالية الغربية على أقل من مسافة نصف يوم .

* * *

١٦ — وقال زهير :

فَلَا لُسْكَانُ إِلَى وَادِي النَّهَارِ فَلَا شَرْقِي سَلْمَى فَلَا فَيْدٌ فَلَا رِمْ^(٢)
شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى ، بَرَكْتُ بِأَيُّمْنِهِمْ وَالْعَالِيَاتُ ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خَيْمُ
لُسْكَانَ : لا أعرفه ، ولا أعرف له اسماً في عهدنا هذا ، قال في معجم البلدان^(٣) : هو موضع لُسْكَانِ واستدل ببيت زهير .

وادي النهار : هو الوادي المجاور لبلد سميراء من جهة الجنوب ، شرقي سلمى وفيد ، وقد تقدم الكلام عليه ، وهو مثل الموضع الذي ذكره قبله حين قال « ماء بشرقي سلمى فيد أوركك » وقد تقدم الكلام على فيد وركك .

فأما رِمَمُ المذكور في هذا البيت فهو موضع شرقي سلمى ، واست أدري أباي هو بهذا الاسم أم قد تغير ؟

أما قَرْقَرَى : فهي واقعة في جهة البصرة مُتَاخِة لَوَادِي الْأَحْبَسِيِّ الذي يقال له اليوم « الحبيسية » قَرْقَرَى وهي أرض عريضة منها « البرة » الموجودة إلى اليوم بهذا الاسم ، ومنها « قرى » المعروفة بهذا الاسم في الزمن القديم ، واسمها اليوم « ضرمى » وهي والبرة وما بينهما يطلق عليهما « قَرْقَرَى » وذكرها صاحب الأغاني في ترجمة يحيى بن طالب الحنفي^(٤) ، وأطال عليهما الكلام ، وقد قال يحيى بن طالب وهو في بغداد وقد أجلاه الدَّيْنُ إلى تلك الناحية :

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَظَرًا إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِهَا الْفُتْرِ

(١) انظر ص ١٣٢ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعمى . وروى أبو العباس ثعلب وياقوت

« ولا فيد ولا رِمَم » براء فيمين (٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٣٧ (٤) الأغاني ٢٠ / ١٤٩ بولاق

كأن فؤادى كلما مر راكبُ جناحُ غرابٍ رام نَهْضاً إلى وَكْرِ
أقول لموسى والدموعُ كأنها جداولُ فاضَتْ من جوانبها تَجْرِي
ألا هل لشيخ وابن ستين حِجَّةً بَكَى طَرَباً نحوَ البَيَامةِ من غُذْرِ
إذا ارتَحَلْتَ نحوَ البَيَامةِ رَفقةً دعاكَ الهَوَى واهتاجَ قَلْبِكَ للذِكرِ
فواحَزَنِي مما أجن من الأسي ومن مُضْمَرِ الشوقِ الدخيلِ إلى حِجْرِ^(١)
فتوغَّلَ يحيى بن طالب في غربته وفراره من الدَّيْنِ قاصداً خُرَّاسانَ ، فلما وصل إلى قُومس قال :

أقول لأصحابي ونحن بقُومس ونحن على أثباج ساهمة جُرْد
بَعْدُنَا وربُّ الناس عن أرض قرقرى وعن قاع موحوش وزدنا على البعد
فلما وصل إلى خراسان قال :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنِيفِي إلى أطلالِكنَّ طويلُ
ويا أثلاث القاع قلبي موكِّل بكنَّ وجَدَوِي خيرِكن قليلُ
ويا أثلاث القاع قد ملَّ صُحْبِي مَسِيرِي فهل في ظلكن مَقِيلُ
ألا هل إلى نَمِّ الخَزَامِي ونظرة إلى قرقرى قبل المات سَبِيلُ
فأشرب من ماء الحجبيلاء شربةً يَدَاوِي بها قبل المات عليلُ

أما الحجبيلاء : المذكورة في البيت الخامس فهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تقع عن بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين ، ويحيى بن طالب بلده البرة في الجهة الشمالية من قرقرى ، انظر إلى قوله وهو في غربته :

خليليَّ عوجاً بارك الله فيكما على البرة العُلَيمَا صدورَ الرِكاَبِ
وقولا إذا ما نَوَّهَ القومُ للقرى ألا في سبيل الله يحيى بن طالب

وقد هلك في بغداد هذا الشاعر الأديب ، في سفرته هذه ، رحمه الله !

وقرقرى : معروفة بهذا الاسم ، ولكن ذكرها قليل في ألسن الناس ، لم يبق في ألسن الناس إلا ضرمي والبرة ، وكانت تلك البلدان عامرة فيها نخيل ومزارع وقصور ، ولم يبق منها إلا الآثار الدارسة والأخبار القديمة ، والذي يدل على أنها هي التي عنها زهير أنه قرنها ببرك والعاليات وخيم .

العاليات وبرك أما العاليات وبرك : فهي مجاورة لها في الجهة الجنوبية منها .

وبرك قد مضى الكلام عليه ، وإد يصب من عارض اليمامة وينتهى سبله إلى الخرج .
والعاليات معروفة بهذا الاسم في عارض اليمامة ، جبل رفيع منيع ، وقد مضى الكلام عليه
في بائية امرئ القيس حين قال :

أَقْبَ رَبَّاعٍ مِنْ حِمِرٍ عَمَّاءِ يَمْجُ لَعَاغِ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ
عَظِيمٍ طَوِيلٍ مَطْمُنٍ كَأَنَّهُ بِأَسْفَلِ ذِي مَأْوَانَ سَرَحَةٍ مَرْقَبٍ

وقد مضى الكلام على هذا الجبل عند ذكر ماوان^(١) . لأنه وإد عظيم واقع في جبل علبية .
وخيم : هى واد في الحصة التى يقال لها فى الزمن القديم « الحَصَاء » وبهذا الوادى ماء عذب
يقال للوادى والماء « خيم » وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها
فى أشعار امرئ القيس^(٢) :

* * *

١٧ — وقال زهير :

عَوَمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ فَنَدُّ الْقُرَيَّاتِ فَالْعِثْكَانُ فَالْكِرْمُ

القريات : موجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقعة قريب الحدود الشمالية من مملكة
جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، قال فى معجم^(٣) البلدان : قال أبو عبيد الله السكونى : من
وادى القرى إلى تيماء أربع ليال ، ومن تيماء إلى القرى ثلاث أو أربع ، قال : والقرى دومة
وسكاكة والقارة ، ولا أظن أن هذه العبارة صحيحة ، الصحيح : أنها هى التى يقال لها اليوم
« قرى الملح » وأنا أظن أن القرى التى ذكرها زهير هى القرى التى الواقعة شرق القصيم
جنوبى الدجاج وهى التى يقول فيها لبيد :

جَمَلُنْ حِرَاجَ الْقُرَيْتَيْنِ وَعَالِجٌ يَمِينًا وَنَسَكْبُنَ الْبَدْيِ شَمَائِلًا

وهى التى يقول فيها معن بن أوس^(٤) :

لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقُرَيْتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لَقَوَتْ فَلَائِ لَا تَزَالُ تَنَازَلُ

قال فى معجم^(٥) البلدان : القرى قرية عبد الله بن عامر بن كرز ، والقرية الأخرى
بناها جعفر بن سليمان ، وأهلها يستعذبون الماء من عنبرة ، وهى منها على ميلين ، وهى التى
قال فيها جرير :

(٢) انظر ص ١٩ من هذا الجزء .

(٤) المعجم ٧ / ٧٠ .

(١) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٦٩ .

(٥) انظر معجم البلدان ٧ / ٦٩ .

تَنْشَى النَّبَاجَ بَنُو قَيْسِ بْنِ حَنْظَلَةَ وَالْقَرِيْبَيْنِ بَسْرَاقٍ وَزُرَّالٍ
وقد أوردنا هذه الشواهد في غير هذا الموضع . ويوجد في تلك الناحية موضع فيه قصور ومزارع
يقال له اليوم « القرية » تقع بين العوشزية وبين عنيزة ووادي الرمة ، تقع من عنيزة مما يلي
مطلع الشمس على مسافة ميلين ، وهي التي عنها زهير .

العنكان

العنكان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، أحدهما واقع بين قرى سدير وبين قرى الحمل
التي عاصمتها « ثادق » يقال له « عنك البكرات » وهو يقسم عارض اليمامة نصفين ، سير القوافل
فيه بين الشرق والغرب ، فإذا خرجت منه إلى جهة الشرق رأيت العنك الثاني الذي يقسم العرمة
كما يقسم الأول جبل العارض ، وكلا الطريقين سهل المنفذ ، ويقال للثاني « عنك العرمة » وهو
الذي يضاف إليه الحفر الواقع في العرمة ، فيقال له « حفر العنك » وكلاهما واقع في بلاد بني تميم ،
قال الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ^(١) حين حمل صدقات قومه إلى أبي بكر رضي الله عنه :

ساروا إلينا بنصف الليل فاحتملوا فلا رهينة إلا سَيْدٌ صَمَدٌ
سيروا رُؤَيْدًا ، وإنا لن نفوتكم وإن ما بيننا سهل لكم جَدَدٌ
إن الفزال الذي ترجون عزته جمع تضيق به العنكان أو أطد
مُسْتَحْفَبُو حِلَاقِ الماذي بحفرته ضرب طَلْحَفٌ وطمن بينه خَصَدٌ

والعنكان : باقيان بهذا الاسم إلى هذا اليوم .

والسكرم : موضع ، قاله صاحب معجم البلدان^(٢) ، واستشهد بيت زهير ، وقال أيضا :

السكرم

كرمة^(٣) هي من نواحي اليمامة ، واستشهد بيت أبي خراش الهذلي :

وأيقنت أن الجود منك سجية وما عشت عيشا مثل عيشك بالسكرم
وأنا لا أعرف هذا الموضع بهذا الاسم ، ويمكن أنه قد دَرَسَ وتغير .

١٨ — وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ مَاهِمُ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمُ
غَرَبٌ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ قَلِقُ فِي السِّلَكِ حَانَ بِهِ رَبَّانِيهِ النِّظْمُ
عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيْبَيْنِ وَقَدْ زَالَ الْهَمَالِيْجُ بِالْفُرْسَانِ وَاللَّجْمُ
فَاسْتَبَدَّتْ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَّةَ تَرَعَى الْخَرِيفَ فَأَذْنَى دَارِهَا ظَلَمُ

إِنَّ الْبَحِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَدٌ كَنِ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
السليل : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ واقع في بلاد غطفان ، أعلاه يقال له
« السليلة » وفيه ماء يقال لها « السليلة » أيضا ، مأوها مر ، وقد أكثر شعراء العرب من ذكر هذا
الوادي وكذلك شعراء الأعراب المتأخرون .

قال رجل من بني عبد الله بن غطفان شعرا نبطيا منه هذا البيت :
الركائب كنفها الأقواس تومي سارحة من عقى ممساها السليلة
وقال شاعر ثمان من تلك القبيلة من أهل تلك الناحية من قصيدة له نبطية :
كبدى عَمِلِيلَةً من شراب السليلة أَشْرَبَ ولا ينحى مع الخلق ماها
وقال شاعر ثالث من أهل تلك الناحية ، وهو فاطن على ماء « الوبرة » وهى عذبة الماء بين
مروراة غطفان في قصيدة نبطية :

مقيا ضنا من فوق عد قراح وأهل السليل مقيضين على ماء
يعنى أهل ماء السليلة الواقعة في أسفل وادى السليل الذى عناه زهير ، والسليل والسليلة :
باقيان على أسميهما من الجاهلية إلى هذا العهد ، وسَلِيلُ السليل ينصبُّ من الشرق إلى الغرب ،
ويفترق عن ماء السليلة ، ثم يصبُّ في وادى الشعبة جاعلا ثربا وماءه وجباله جنوبا ، والحناءكية
والعباء شمالا ، وهو إلى الحناكية والعباء أقرب ، وتتجه سيول الشعبة إلى جهة الغرب حتى تصب
في عقيق المدينة ، ثم يصب في البحر الأحمر .

وقد اقتتل عيس وأسد في السليل ، وقال رجل من بني عمرو بن قُصَيْن :
لئن خَلَّتْ بنو عيسى بَرِيًّا بِفَرَّتِهِ فلم تَخْتَلِ سُوَيْدَا
قلعنا رأسه بسقى سمِّ كلون الملح مَذْرُوبا جَدِيدَا
فأوجزناهم منه فراحوا وهم يوم السليل نعى شهيدا
وقال عُبيد الله بن قيس الرقيبات :

ذَكَرْتَنِي الدِيَارُ شَوْقًا قَدِيمَا بَيْنَ حَرَضِي وَبَيْنَ أَعْلَى يَسُومِي
فَالسَّلِيلُ الَّذِي بَمَدَفَعِ قَرْنٍ قَدْ تَعَفَّى إِلَّا ثَلَاثًا جُمُومًا^(١)

وحرَضِي ويسومى وقرن كلها واقعة في بلاد عبد الله بن غطفان ، أما قرن وحرَضِي فهما قريبان
من السليل ، وأما يسومى فهو جبل واقع في شمالي جبل كشب في حدود بلاد غطفان الجنوبية
(١) يريد بالثلاث الجاثمات أثنافى القدر .

الغربية ، والسليل وقرن وحرصى ويسمى كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وقال أيضاً عبيد الله بن قيس الرقيات :

لا تحمى أن تهجرى ما بقينا أنت بالود والكرامة أخرى
يا ابنة المالكي عز علينا أن تقيمي بعد السليل بيهرى
كم أجازت من مهمة يترك العبد من به ظلمة قياماً وحسرى
أما السلية : فاسمها جاهلى ، وهو باقى إلى هذا العهد ، قال جرير :

أجمع قلبه طرباً إليكم وهجرأ بيت أهلك واجتبابا
ووجدنا قد طويت يكاد منه ضمير القلب يلتهب التهابا
سألناها الشفاء فما شفتنا ومنقنا المواعد والخلابا
لشبان المجاور ذبر أروى ومن سكن السلية والجنابا
وباب القريتين : قد مضى الكلام عليه ^(١) .

أما ظلم : فهو جبل معروف إلى اليوم بهذا الاسم ، وهو واقع في جهة نجد في الجهة الجنوبية وقد أصاب الأصمى في تحديد موقعه ، حين قال ^(٢) : هو جنوبى الدفينة ، هذه رواية الأصمى ، وهى أصوب الروايات عن ظلم ، لأنه - على ما عرفنا - واقع جنوبى الدفينة ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم ، واقع بين أجدال الحار وجبيل الأكموم الواقع من بلد المويه في الجهة الشرقية على مسافة يوم ، وظلم : جبل أسود له قرن مرتفع ، وبقية جباله متصلة به ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، طوله من الشرق إلى الغرب مسافة ساعة للماشى المجد على قدميه ، وعرضه أقل من مسافة نصف ساعة ، قال النابغة الجعفى يذكر هذا الجبل :

أبلغ خليلي الذى تجهمني ما أنا عن وصله بمنعمر
إن يك قد ضاع ما حملت فقد حملت إنما كالطود من ظلم
أمانة الله وهى أعظم من هضب شرورى والركن من خيم

لما رأينا النابغة قد ذكر هضب شرورى والركن من خيم مع ظلم وجب أن نقول : إن ظلما واقع بين الموضعين اللذين ذكرهما النابغة ، أما هضب شرورى : فهو الهضب الذى يقال له اليوم « هضب الشرار » عند عامة أهل نجد ، وإذا كنت عند ظلم طلعت الشمس على جبل خيم أو عن يساره قليلا ، وإذا غربت تقرب على هضب شرورى أو عن يساره قليلا ، المسافة الواقعة بين ظلم

وهضب شرورى تتراوح ما بين أربع ليال أو خمس ، والمسافة الواقعة بين ظلم وبين جبل خيم المسمى اليوم بالحصاة عند عامة أهل نجد تتراوح بين ست ليال أو سبع ، وخيم باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وقد تقدم الكلام عليها في كتابنا هذا .

وأما قول زهير * فاستبدلت بعدنا دارا يمانية - إلخ * فإن من لسان أهل نجد قديما وحديثا أن المتكلم إذا ذكر موضعا واقعا في جنوبى بلده قال « يمان » وإن كان الموضع شمالى بلده قال « شام » وعلى هذا ورد قول زهير في هذا البيت ، لأن ظلماً واقع في جنوبى بلاد غطفان ، وهو في عالية نجد ، لا في اليمن .

* * *

١٩ - وقال زهير يمدح هريم بن سنان المُرِّي وهذا مطلع قصيدته :

لَمِنْ الدِّيَارِ بِقُنَّةِ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ
لَمَبِ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيْرَهَا بَعْدَى سَوَاقِ الْمَوْرِ وَالْقَطْرِ
فَقَرًّا بِمُنْدَفِعِ النَّجَاجِ مِنْ صَفَوَى أَلَاتِ الضَّالِّ وَالسُّدْرِ
دَعَا ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْبُدَاةِ وَصَيِّدِ الْخَضِرِ

أما حجر : فقد غلط الأعلام في شرحه حيث قال : حجر موضع بعينه ، وهو حجر اليمامة ، فلو أنه اكتفى بقوله « حجر موضع بعينه » لأغناه ، ولم يقع بالزيادة في خطأ ، لأن حجرا وقتبه يقعان في بلاد غطفان ، في أعلاها المجاور للحجاز ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو بين الفرع والحافى غير أنه إلى الفرع أقرب قليلا ، وسيل وادى حجر وسيل وادى الفرع يضبان في الحجاز ، وسيل الحافى تندفع إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها ، وحجر في هذا العهد تسكنه حرب ، والفرع لحرب أيضا ، أما الحافى : فهي للمضيان ورئيسهم ابن ثعلب ، وقد قال الشاعر :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدُنَا أُرُومٌ وَأَرَامٌ فَشَابَةُ فَالْخَضِرِ ؟
وَهَلْ تَرَكْتُ أَبْلَى سَوَادَ جِبَالِهَا وَهَلْ زَالَ بَعْدِي عَنْ قَنِينَتِهِ الْحَجَرُ ؟

وتأمل في هذين البيتين تجد قد ذكر ستة مواضع مع ما يقبها من المضاف ، وإن هذه الستة لباقية على أسمائها إلى هذا العهد لم يتغير منها اسم واحد ، وهى : أروم ، وآرام ، وشابة ، والخضر ، وأبلى ، والحجر ، الأسماء الخمسة الأولى بطيف بها الراكب في مسافة يومين ، وأما الحجر وقتنائه : فهما واقعان من هذه المواضع في الجهة الغربية على مسافة يومين أو أقل ، وفي الحجر قصور ونخيل ومزارع ومياه كثيرة ، وقراء ثلاث يرى بعضها من بعض ، وكلها واقعة بين وادى الفرع ووادى الحافى .

والنحات : موضع معلوم بهذا الاسم إلى هذا اليوم عند عامة أهل نجد ، فبهم من يسميه « النحات » وفبهم من يسميه « النحيطة » وهي آبار كثيرة واقعة من علم هيثم في الجهة الشرقية ومن النقرة المعروفة بمعدن النقرة في الجهة الشمالية ، وهي معروفة عند جميع الناس إما باسم النحات وإما باسم النحيطة على ما ذكرنا ، وهي التي عنها زهير .

أما صفوى فلم أعر على شيء بهذا الاسم في بلاد غطفان ، وهناك ثلاثة مواضع واقعة في بلادهم أو قريباً منها ، يقال لكل واحد منها « صفية » أما الأول ^(١) فإذا خرجت من غفيف قاصداً القاعية وجعلت النير على يمينك كان هو على شمالك ، وأما الثاني فغريب « العسبيات » في وادي الجريب ، وأما الثالث فواقع في شمالي الجثوم على مسافة ساعة ، وظنى أنه الذي عنه زهير لأنه واقع في بلاد غطفان ، وصفوان ذكره تميم بن [أبي بن] مقبل في قوله ^(٢) :
وَطَبَّقَ إِبْرَانُ الْقَبَائِلَ بَعْدَ مَا كَسَا الرُّزْنَ مِنْ صَفْوَانَ صَفْوًا وَكَدَّرَا
وقد يكون الذي ذكره زهير هو ماء الصفوية المشهور اليوم بهذا الاسم ، وهو في وادي يصب سيله في وادي الرمة ، وعنده جبل رفيع يقال له « صفو » واقع في غربي عريق الدسم .

* * *

٢٠ — وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءِ فَيَمُنُّ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ
فَذُرْهَاشٍ فَمَيْتُ عُرَيْتِنَاتٍ عَفَتْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ وَالسَّمَاءُ
فَذُرْوَةٌ فَالْجَنَابُ كَانَ حُنْسَ النَّعَاجِ الطَّائِرَاتِ بِهَا الْمَلَاءُ

الجواء : معروف ، وهو في أعلى القصيم ، وقد تقدم الكلام عليه ^(٣) وعلى المصور منه .
وأما يمين : فهو ماء ، قال في معجم البلدان ^(٤) : هو على الطريق بين تباء وفيد . وأنا أقول

(١) الموضع الذي في قول زهير هو « صفوى » بالضاد المعجمة ، لا يختلف في ذلك أحد ، لكنهم يختلفون في ضبطه ، وفي العبارة عن تحديده ، فبعضهم يرويه إسكون الفاء ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ألف مقصورة ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ياء ساكنة ، ثم يختلف هؤلاء فمنهم من يقول : هو مقصور قلبت ألفه ياء وسكنت ، ومنهم من يقول : هو مثني صفا ، وصفا الوادي : جانبه . وفي تحديده يقول ياقوت (٤٣٥ / ٥) مكان دون المدينة . ويقول الأعلم (ص ١٤٦ طبع ليدن) والنحات وصفوى من بلاد غطفان ، وقال ثعلب (٨٧ دار الكتب) :

كل هذه مواضع من أرض غطفان . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٦٩

(٣) انظر ص ٢٥ من هذا الكتاب (٤) انظر معجم البلدان ٨ / ٥٢٤ .

غير ذلك ؛ لأننى قد وردته فى سنة ١٣٤٠ هـ ، بعثنى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عاملا إلى هتيم فوردته ، وهو ماء واقع بين جبلين و بين خير وتيماء فى بلاد عنزة مقابل للحفيرة التى عمرها الأيدى العنزى فى هذا العهد ، وقد استشهد صاحب معجم البلدان عليه ببیت زهير الذى ذكرناه ، وبشطر بيت لم يُسمَّ قائله وهو :

* ولو حلت بيمن أو جبار *

ويعن باقى بهذا الاسم عند عامة أهل نجد .

أما القوادم : فإن جميع العرب من الزمن القديم إلى هذا العهد يطلقون هذا اللفظ على أطراف الجبال ، كما يطلقون على أطراف السكّبان لفظ « اللوى » فأطراف الجبال إذا انقطعت فى السهل يقال لها « القوادم » وأهل نجد يقولون لوجه الجبل « القدمة » إذا أفردت ، وإذا جمعت قالوا : « قدام ، وقوادم » وزهير ذكر القوادم التى بين يمين والحساء .

أما الحساء فى هذا البيت فهو حساء المدينة ، وهو غير « الحسى » الواقع فى بلاد غطفان ، وحساء المدينة : هو الذى قال فيه عبد الله بن رَوَاحَة الأنصارى رضى الله عنه :

إذا بلغنيتى وحملت رحلى مسافة أربع بعد الحساء
فشأنك والخلا وخلاك ذمّ فلا أرجع إلى أهلى ورانى

فقتل رحمه الله فى تلك الغزوة ، وهى غزوة مؤتة التى قتل فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم .

أما ذوهاش فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا واديا فى بطن شعبى الجبل المشهور فى حى ذوهاش ضريبة يقال له اليوم : « مهاش » زادوا فيه ميمًا فى أوله ، ولم أر فى كتب المعاجم لهذا الموضع ذكرًا يشتمل على تحديده ، غير أن صاحب معجم البلدان^(١) قال : هو موضع ، واستدل ببیت زهير ، ورأيت فى قول الشماخ شطر بيت : * فأيقنت أن ذا هاش منيتهم *

وأما عريقتات : فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا موضعا واحدا سقطت من اسمه الفاء الأولى وهو وادى فى جبل النير يقال له : « أبو عريقتات » صبّ فى وادى بحار ، ويندفع سيلهما إلى الرشا ، وأظن أن هذا الوادى غير الذى عناء زهير ، وبعد أن رأيت الشواهد والأخبار الواردة عن هذا الموضع جرّمت أنه واقع فى عقيق المدينة أو قريبا منه .

والميثاء فى اللغة هى : الرملة أو البرقة ، وميث عريقتات : إما رملتها أو برقتها ، قال على ميث عريقتات ابن أبى جحفل^(٢) :

أَنْزَعُم يَوْمَ الْمِيثِ عَمْرَةَ أَنْتَى لَدَى الْبَيْنِ لَمْ يَغْرِزْ عَلَى اجْتِنَابِهَا
وَأَقْسَمَ أَنْتَى حَبَّ عَمْرَةَ مَا مَشَتْ وَمَا لَمْ تَرِمِ أَجْزَاعَ ذَى الْمِيثِ لِابْنِهَا
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ يَذْكُرُ عَرِيْنَاتٍ :

وَإِذْ صَفَرْتُ عِيَابُ الْوَدِّ مِنَّا وَلَمْ يَكْ يَبْنِنَا فِيهَا ذِمَامُ^(١)
فَإِنْ الْجَزْعُ جَزَعُ عَرِيْنَاتٍ وَبَرَقَ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ حَرَامُ
سَمِعْنَاهَا وَإِنْ كَانَتْ بِلَاداً مَهَا تَرِي الْخَوَاصِرَ وَالسَّنَامَ

وهذا الشاعر قرّن عريّنات ببرقة عيهم ، وبرقة عيهم مشهورة ، وهى الحد الفاصل بين بلاد غطفان ونواحي المدينة ، وجبل عيهم : معروف اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهو واقع فى أعلى بلاد غطفان ، والجوّاء واقع فى شرقها ، وقد قال جابر بن حنى النخلى^(٢) :
أَقَامَتْ بِهَا بِالصَّيْفِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الْجَوَّاءِ وَقَعِيْهِمْ
وَالْجَوَّاءِ وَعِيْهِمْ : فى بلاد غطفان .

نرجع إلى ذكر عريّنات - هذه عبارة معجم البلدان^(٣) : قال ابن أبى الزناد : كنّا ليلةً عند الحسن بن زيد العلوى نصف الليل جلوساً فى القمر ، وكان الحسن يومئذٍ عامل المنصور على المدينة ، وكان معنا أبو السائب المخزومى ، وكان مشغولاً بالسماع ، وبين أيدينا طبق فيه فريك ونحن نصيب منه ، فأنشد الحسن بن زيد قول داود بن سلم ، وجعل يمد به صوته ويطر به :

مُعَرَّسْنَا بِيَطْنِ عَرِيْنَاتٍ لِيَجْمَعَنَا وَفَاطِمَةُ السَّيْرِ
أَنْتَسَى أَنْ تَعْرِضَ وَهُوَ بَادٍ مُقَلِّدُهَا كَمَا بَرَقَ الصَّبِيرُ
وَمَنْ يَطْطِيعُ الْهَوَى يُعْرِفُ هَوَاهُ وَقَدْ بُدِّمِيكَ بِالْأَمْرِ الْخَبِيرُ
أَلَا إِنِّ زَفَرْتُ غَدَاةَ هَرْمَى وَكَادَ يَرِيْهِمْ مَنِ الزَّفِيرُ

قال : فأخذ أبو السائب الطبق فوحش به إلى السماء ، فوقع الفريك على رأس الحسن ابن زيد ، فقال له : مالك ؟ وبلاك ! أجننت ؟ فقال له أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعدتَ إنشاد هذا الشعر ، ومددت كما فعلت ، فضحك الحسن ابن زيد وردّد الأبيات ، فلما خرج أبو السائب قال لى : يا أبا الزناد ، أما سمعت مدّه حيث قال :
* وَمَنْ يَطْطِيعُ الْهَوَى يُعْرِفُ هَوَاهُ ؟ * قال : نعم ، قال : لو أعلم أنه يقبل مالى لدفعته إليه بهذه الأبيات

(١) العياب : جمع عيبة ، وأصلها الوعاء يضع فيه المسافر متاعه ، وفى المعجم « عتاب » محرفاً

(٢) المعجم ٦ / ٢٥٩ وما بعدها (٣) المعجم ٦ / ١٦١

ذروة : هضبة حراء فاصلة بين بلاد غطفان وبلاد بنى أسد ، وهى لبنى مرة بن عوف ، قال
صخر بن الجعد :

بَلَيْتُ كَمَا يَبْلَى الرِّدَاءُ وَلَا أَرَى جَنَابًا وَلَا أَكْنَفَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ
وزهير قرن ذروة بالجَنَاب ، وهذا الشاعر قرنهما أيضاً ، وقد غلط أناس فى ذكر ذروة التى
عناها زهير ، فهى - كما قلنا - الواقعة بين بلاد غطفان وبلاد بنى أسد ، وهناك ذروة جبل آخر فى
جبل علية من البليمة ، قال الصمة بن عبد الله القُشَيْرِى وهو من أهل تلك الناحية^(١) :
خَلِيلِي قُومًا أَشْرَفَا الْقَصْرَ فَانْظُرَا بِأَعْيَانِكُمْ هَلْ تُؤْنِسَانِ لَنَا نَجْدَا
وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ عَلَوْنَا عَلَوَهُ وَنَشْرَفَ أَنْ تَزْدَادَ وَتَحْكَمَا بُعْدَا
نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِذِرْوَةِ نَظَرَةٍ فَلَوْ لَمْ تَفِضْ عَيْنَايَ أَبْصَرْنَا نَجْدَا
إِذَا مَرَّ رَكْبُ الْمُصْعِدِينَ فَلَيْتَنِي مَعَ الرَّائِحِينَ الْمُصْعِدِينَ لَهْمُ عَبْدَا
وإصليحي فرس يقال لها ذروة ، قال من قصيدة له يصف خيله :

وطالعت ذروة منهم عادية وانصاعت الشيعة الشنماء شراً إذا
أما الجَنَاب فأنت ترى زهيراً قد عطفه على ذروة ، ولا يكون إلا قريباً منها ، وقال ابن هرمة^(٢) وهو شاعر مدني :

فَاضَتْ عَلَى إِثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا يَنْبِيعُ يَجْرَى اللَّوْؤُ الْنَسَقُ
فَاسْتَبَقَ عَيْنُكَ لَا يُؤْذِ الْبُكَاءُ بِهَا وَأَكْفَفَ بَوَادِرَ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشُّؤْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِيَاقِيهِ وَلَا الْجَفْنُونَ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ
رَأَوْا فَوَادِكَ إِذْ بَانُوا عَلَى عَجَلٍ فَاسْتَرْدَفُوهُ كَمَا يُسْتَرْدَفُ النَّسَقُ
بَانُوا بِأَدْمَاءٍ مِنْ وَخْشِ الْجَنَابِ لَهَا أَحْوَى أَخْيَسُ فِي أَرْطَانِهِ خَرَقُ
هذا الجَنَاب الذى ذكره إبراهيم بن هرمة هو الجَنَاب الذى ذكره زهير بعينه ، وهو غير
الذى ذكره سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِي حيث قال :

تَذَكَّرْنِي قَيْسًا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَمَا اللَّيْلُ مَا لَمْ أَلْقَ قَيْسًا بِنَائِمٍ
تَحْمِلُ مِنْ وَادِي الْجَنَابِ فَنَاشَنِي بِأَجَادِ جَوٍّ مِنْ وَرَاءِ الْخَضَارِمِ
وأنا أعرف الجَنَاب الذى ذكره سُحَيْمُ وجوا والخضارم ، وكلها بالبليمة ، أما جو فهو باقٍ
بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والخضارم هي « الخضرمة » الواقعة فى البليمة ، وأما الجَنَاب : فهو ماء

في عرض جبل كأنه عين ، يَرِدُه السالك من المراحمة البلد الواقعة قريبَ جَوٍّ إلى بلد الحريق ، واقع في وادى نساح في جنوبيه الغربى ، إذا سلكَت الطريق قاصداً الحريق انجهدت إلى جهة الجنوب حتى تأتى آخر أودية نساح ، فتخرج إلى جهة الغرب ، ونسير مسافة ساعة أو أكثر قليلاً ثم تلتفت على شمالك ، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها خضرة كروم ، أصولها شائعة في الماء ، وأنا قد وردته ، وهو باقى باسمه إلى هذا العهد ، ولكنه صغر ، يقال له « جنب » فإذا وردت جنباً ومرت قاصداً الغرب أو بينه وبين مطلع سهيل نيسر ساعتين ثم تطلع العقبة التى تُفضى إلى وادى بريك الذى فيه بلد الحريق ، وهذه العقبة قد مضى الكلام عليها فى أشعار امرئ القيس ، ومضى التى يقال لها « مرقان » وذكرناها على بيت امرئ القيس فى نونته ^(١) :

وما هاج هذا الشوق إلا منازل دوارس بيت يذبل فرقان
وقلنا : إنه أبدلت فاؤه ميا ، وأعرف وادياً ينصب من غربى جبل كشب إلى شرقه يقال له
« جنب » به ملزم ماء ترده الأعراب يقال له « غدير الجنب » ينصب على ماء الريمة المنهل المشهور فى شرق كشب .

* * *

٢١ - وقال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَلِّ مِنَ الظَّالِمَانِ جُوجُؤُهُ هَوَاءُ
أَصَكَّ مُصَلَّمِ الْأَذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّ تَنُومٌ وَآءُ

أما السى فقد مضى الكلام عليه فى بيت ^(٢) زهير :

جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ الْقَسَمِ مَرَّتُهَا بِالسَّيِّ مَا نَبَتَ الْقَفْعَاءُ وَالْحَسَكُ

* * *

٢٢ - وقال زهير :

تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا فَتَى الدُّخْلَانَ عَنْهُ وَإِلِصَّاءُ
تَرَبَّعَ بِالْقَنَانِ وَكُلُّ فَجٍّ طَبَّاهُ الرَّغْيِ مِنْهُ وَالْخِلَاءُ
فَأَوْرَدَهَا حِيَاضَ صُنَيْبِمَاتٍ فَأَلْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ مَاءُ
فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهَيَّ تَهْوَى هُوَى الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرُّشَاءُ

أما صارة : فهى هضبة من هضاب الجواء ، وقد مضى الكلام عليها ^(٣) . وأما الدُّخْلَانُ :

(١) انظر ص ١٠٩ من هذا الجزء (٢) انظر ص ١٢٨ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٢٧ و٢٨ من هذا الجزء .

فهى ملازم ماء يقال لها « الدحول » صدوعٌ تُمْسِكُ الماء إذا جاء السيل ، وقليل أن لا يوجد فيها الماء ، وهو أسم شامل لكل دحل ، ولا توجد إلا فى الجهات الشرقية من الدهناء .

الإضاء : يطلق على ملزم الماء الذى يسمي اليوم الغدير .

والقنّان : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرئ القيس ^(١) .

صنبيعات : موضع ، ولا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهو - على ما قالوه - واقع فى بلاد

غطفان ، قال رجل من بنى حنيفة * هيات حجر من صنبيعات *

فهذا الراجز الحنفى تذكر بلده حُجْرَ البمامة وهو فى صُنْبِيعَات ، قال فى معجم البلدان : هو ماء نهشت عنده حية ابناً صغيراً للحارث بن عمرو الغساني ، وكان مترضماً فى بنى تميم ، وبنو تميم وبكر فى مكان واحد يومئذ ، وظن الحارث أنهم قتلوا ابنه غيلة ، فأتاهم الحارث ، فأتاه منهم قوم يعتدرون إليه ، فقتلهم جميعاً ، وأورد صاحب معجم البلدان بيت زهير المذكور شاهداً عليها .

* * *

٢٣ - وقال زهير :

فَلَيْسَ خَافَهُ كَلْحَاقِ إلفٍ وَلَا كَنْجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ
يُغَرِّدُ بَيْنَ حُرْمٍ مُفْضِيَاتٍ صَوَافٍ لَمْ تُسَكِّدْزَهَا الدَّلَاءُ ^(٢)
يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَعَامُ السَّنَّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ ^(٣)

الخرم : مواضع معلومة ، اسمها هذا جاهلى مما يلى بلاد غطفان ، وتعرف فى هذا العهد : الخرمى وخريمان ، سميت بذلك لكثرة اجتماع السيل فيها وتغرمة ، وهى تجتمع سيل عالية نجد ، جميع سيولها تصب فى الرشاء ، وتندفع جميعاً متجهة إلى جهة الشمال الشرقى ، ثم تجتمع فى هذا الموضع الذى يقال له : الخرمى وخريمان . والرشاء : وادٍ عظيم من أعظم أودية نجد ، واسمه هذا جاهلى قديم ، قال عوف بن عطية :

يقود الجياد بأرسانها يَضَعْنَ بيطن الرشاء المَهَارَا

وتسميه عامة أهل نجد اليوم « وادى الرشا » تصب فيه سيول جبل نهلان بأجمعها ، وأعظم تلك الأودية « وادى الشعري » تنجذب سيوله من قريب بحيرات وحُدنة ، وفى هذا الموضع يوم من أيام العرب بين بنى ضبة وبنى نمير ، فكان لبني ضبة ، وهو الذى يقول فيه المكبر الضبي :

(١) انظر ص ٣٠ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعم ، وروى ثعلب « يغرد بين خرم

مفرطات » (٣) رواية ثعلب « يفضل إذا اجتهدت »

دارت رحانا قليلا ثم صبحهم ضرب تصيح منه جلة الهام
ظلت ضباغ مجبرات يلذن بهم والحوهن منهم أى إلحام
حتى حذنة لم يترك بها ضبعا إلا له جزر من شلو مقدم

وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٣٦٩ هـ ، بين عتيبة وقحطان ،
رئيس عتيبة تركي بن حميد وبعضه من رؤساء عتيبة رؤساء من الروقة وغيرهم ، ورئيس قحطان
محمد بن هادي بن قرملة ، فكانت الهزيمة على قحطآن ، وانتصر العتبان . وفي ذلك الموضع
سنان يسمى اليوم « سنان الطراد » اعظم تطارد الخيل فيه ، ولم يُسم بهذا الاسم إلا بعد تلك
المعركة ، ويصب في ذلك الوادي وادي دلعة البلد المعروفة لجاعة من الدعاجين ، ورئيس هذه الجاعة
ابن عقيل ، وهم يقال لهم « ذوو خيوط » ثم يندفع متجها جاعلا جبل نهلان عن يمينه ، ثم يجتمع
بالرشاء مع أودية نهلان ، ثم تتجه كلها إلى الشمال الشرق ، ثم تصب فيه أودية جبل النير ، فما
كان في جهة النير الشرقية من الأودية فإنه يصب في وادي بحار ، وتتجه إلى الشمال الشرق
فتصب في وادي طينان ، وهو الوادي المعروف على طريق السيارات المتجهة من مكة إلى الرياض
إذا خرج السالك من ماء القاعية وسار ثلث ساعة مر في هذا الوادي إذا كان في سيارة ، وإذا
كثرت الأمطار وجرت الأودية يحجز المائى على جنباته حتى يحف ، وهو متجه بعد ما يصب فيه
وادي جفنى قاصدا خنوقة ، وبها ملازم ماء ، وتجتمع عليها البوادي ، ثم يتجه بعد ما تجتمع به
أودية خنوقة وما حولها قاصدا الرشاء ويصب فيه بعد ما تجتمع بالرشاء أودية نهلان والشعري
والرمادية ، وأودية النير الشرقية المجتمعة في وادي بحار ، تأتيه سيول النير من جهته الشمالية :
وادي الرميثي وغيره ، ثم تجتمع تلك السيول في غثة وتخرج إلى جهة خنوقة ، ثم تجتمع بسيل
النير الشرق الذي مر ذكره ، ويصب في وادي الرشاء قبل ماء الرشاوية ، وعند هذا الماء التجمت
عتيبة وحرب ، وأمد حربا مطير ، وتقاتلوا في ضفة وادي الرشاء الشمالية ، ودارت بينهم معارك في
سنة ١٣٢٧ هـ بعد معركة شق فيها بيت ابن هندی ، وانتهت هذه المعارك بقتل رئيسين من عتيبة :
أحدهما ولد جهجاه بن حميد ، والثاني : عالي الفجرى ، وكلاهما من قبيلة المقطعة ، وقتل رئيسان من
مطير : أحدهما أبو عبيد الدويش ، والثاني طلال بن هدبا ، وتفرق القوم بعد ذلك ، وهذه الأودية
المذكورة هي أحسن البلاد لمصرى الإبل ، ثم بعد ماء الرشاوية المتقدم ذكره يأتي سيل الوادي
العظيم الذي يقال له « جهام » مع ما اجتماع إليه من جميع الأودية ، وبعد اجتماع سيوله يصب في وادي
الرشاء جنوبى النبوان الماء المعروف في الرشاء ، وبعد اجتماع تلك السيول تتجه بمجرى وادي

الرشا ، ثم تأتيتها أودية مصدة بلاد الروسان المعروفة شمالى الدوادمي ، ووادي أقرى ، ثم تنجبه جميعا في مجرى هذا الوادي المذكور ، ثم تأتيتها سيول عرجى والنشاش ، وتصب في ذلك الوادي .
ومن عجيب المصادفات أنه قد كان في مجيرة وحُدُنة يوم بين ، رب الجاهلية ثم كان بين متأخرى العرب في هذا المسكان يوم أيضاً ، وقد ذكرنا هذين اليومين ، وهذا وادي عرجى والنشاش ، كان فيهما يوم من أيام العرب في الجاهلية بين بنى حنيفة وبنى عقيل ، انهزمت فيه بنو حنيفة ، فقال شاعر بنى عقيل :

فلو سئلت عنا حنيفة أخبرت بما لقيت منا بجران صيدها

وفي هذا الموضع بعينه كان يوم عظيم للعرب المتأخرين في سنة ١٣١٣ هجرية بين حرب وعتيبة رئيسا حرب من بنى على صنيقتان القرم وعبد الله القرم ، ورئيس عتيبة محمد بن هندى بن حميد رئيس المظنة ، ومعه رؤساء من قومه عتيبة ، وكانت الهزيمة على حرب بعد معركة دارت من الصبح إلى بعد الظهر ، وعدد حرب يومئذ على الأكثر ربع العتبان ، فكان هذا مصداق قول العامة « الكثرة تغلب الشجاعة » .

ثم تنجبه تلك السيول وترفدها سيول جبلة ، ثم تسير وقد جعلت في شمالها جبلة المشهورة في عالية نجد الشمالية ، ثم نصب في الرشاء ، ومن تلك الأودية شُفب جبلة المشهور وكان فيه يوم عظيم بين بنى عامر ومعهم أنصارهم من فزارة ، وبين بنى تميم ومعهم أنصارهم من ذبيان وبنى أسد وهو من أعظم أيام العرب ، انهزمت فيه بنو تميم ومن والاها ، وفي ذلك اليوم سيقت الإبل للقتال وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال ، وسوقها على بنى تميم برأى قيس بن زهير العبسي ، وقُتل في ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بنى تميم ، واختلفوا في قاتله ، ويقال : إنه شريح بن الأحوص العامري ، وكان بنو عبس يضربونه وهو ميت ، وقد استدلوا على قتله بقول ابنة لقيط حين ^(١) قالت :

ألا يالها الويلات ويلة من هوى يضرب بنى عبس لقيطاً وقد قضى

لقد عفروا وجهاً عليه مهابة ولا تحفل الصم الجنادل من ثوى

وما ثاره فيكم ولكن ثاره شريح أرادته الأسنه والقنا

وهذه الواقعة العظيمة كانت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل ميلاد النبي صلى الله

عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، قال رجل من بنى عامر :

لم أر يوماً مثل يوم جبلة لما أتتنا أسد وحنظلة

وَعَطَفَانِ وَالْمَلُوكُ أَرْقَلَهُ نَضْرِبُهُمْ بَقُضْبٍ مَسْتَحْلَةٍ
وقال ليبد بن ربيعة العامري في ذلك اليوم وهو مُحْضَرَمٌ :

مناحاة الشعب يوم تواعدت أسد وذبيان الصفا وتيم
فارتت جرحاهم عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقب
قومي أولئك إن سألت بخيمهم ولاكل قوم في النواصب خيم
وإذا تواكلت المقاب لم يزل بالنفر منا منسر وعظيم

هذا اليوم المشهور في الجاهلية ، وهنا يوم قريب العهد بين العرب في سنة ١٣٤٨ هـ ، بين
قبيلة عتيبة برقأ والروقة ، رئيس برقأ مقعد الدهينة النفيعي ، ومعه جماعة من رؤساء برقأ ، ورئيس
الروقة عمر بن ربيعان ومعه قوم من رؤساء الروقة ، فدارت المعركة بين الفئتين ، فانهزمت برقأ
بعد قتال ، وانتصر الروقة في ذلك اليوم ، وهؤلاء من بقايا بني عامر التي انتصرت على بني تميم
في ذلك الموضع ، وهذا الموضع المذكور في جيلة هو الذي كانت به الوقعة الأولى والوقعة الثانية .

ثم تتجه سيول الرشا جاعلة جيلة على شمالها ، ثم يأتيها وادى نفي ووادى المييشة من جهته
الشمالية ، ويأتي وادى جمران وما والاه من الأودية في الجهة الجنوبية ، ثم تتجه السيول إلى
جهة الخرمي وخريمان التي ذكرها زهير في بيته ، وتمر بواردات ، وتحفها السيول من جهتها
الشرقية ، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب في الجاهلية ، قتل فيه بحير بن الحارث بن مرة ،
فقال مهلهل :

أَلَيْقَنَّا بَذَى حُسَيْرٍ أَنْبَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرَى
فإن يك بالذئاب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير
فإنى قد تركت بواردات بُجَيْرًا في دمٍ مثل العبير

وكان في هذا الموضع معركة في سنة ١٣٤٨ هـ بين عرب مطير - وهم من بقايا بني عبد الله
ابن غطفان - ورؤسهم ابن ظمعة ومعه رؤساء من بطون مطير ، وبين قبيلة الروقة ، ورؤسهم عمر
ابن ربيعان ، ومعه رؤساء من الروقة ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير وانتصار الروقة .

وهذا الجيش الذي قلّ مطيرا هو الذي قلّ جيش الدهينة في جيلة ، وليس بين المعركتين
إلا ثلاث ليال تقريبا ، وهذه الانتصارات بمساعدة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وهمة وتدييره
فإذا اجتمعت سيول الرشا في ذلك الموضع اتجهت إلى الخرمي وخريمان ، وهما أرض منسعة واسعة
الجناب تجتمع فيها تلك السيول وتغير فيها .

أما الصوافى التي ذكرها زهير حين قال في شطر البيت : * صَوَافٍ لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ * الصوافى فهي مناهل معلومة واقعة في الخرمى وخريمان يقال لها دهيما والبقية ور بيق والمنقى ، كلها آبار في تلك الناحية في الخرمى وخريمان ، وهى واقعة جنوى رامة المشهورة في جنوى وادى الرمة ، وغربى كشيبة الشقيقة الذي يمتد شمالا إلى بلد عنيزة ، وهناك وادٍ يقال له المخرم يصب سيله في وادى الرمة في جهته الشمالية . وهذا الوادي - والذي قبله - واقع في بلاد غطفان ، على حدودها الجنوبية ، وهناك روضة شرقى العرمة يقال لها « روضة خريم » ينزل بها جلالة الملك عبدالعزيز أيام الربيع ، وليست التي عفاها الشاعر ، لم يقصد إلا أحد الموضعين : الخرمى ، وخريمان . أو وادي المخرم ، وكلا الموضعين في بلاد غطفان أو قريب منهما .

يعلم قارىء هذه الأحرف أن نجدا محبوبة عند أهلها ، لما مررنا على بيت زهير الذى يقول فيه :

يَفْرُدُ بَيْنَ خُرْمٍ مَفْضِيَاتٍ صَوَافٍ لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ

وذكرنا السيول التي تصب في الرشا ، ومررنا على أربعة مواضع لا يبعد بعضها عن بعض أكثر من مسافة يومين ، ففي أربعة المواضع ثمانية أيام من أيام العرب : أربعة في الجاهلية ، وأربعة قريبة العهد ، الأول منها في القرن الثالث عشر وهو بين ابن هادى وبين تركى بن حميد ، وهو الذى في مجبرة وحذنة . وأعرف ثلاثة سواه : أحدها الذى في عرجى والنشاش بين عتيبة وحرب ، والثانى : في جبلة بين عتيبة برق والروقة ، والثالث : في واردات ووضاخ بين مطير وعتيبة ، وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها ، وهى معلومة في نجد . وأما الذى في القرن الثالث عشر بين ابن هادى وابن حميد فحدثني عنه والذى عبد الله بن بليهد ، لأنه عمر واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فسكره شئ ، ولا من حديثه ، وثلاث سنين لا يدري عن شئ . حتى انتقل إلى رحمة الله . رحمة الله عليه ! ومواضع المعارك : الموضع الأول بين تيماء ومجبرات وحذنة ، وفيه معركتان ، والثانى : في وادى عرجى والنشاش ، وفيه معركتان أيضا ، والثالث : في جبلة ، وفيه معركتان ، والرابع بين وضاخ وواردات ، وفيه معركتان ، فهذه ثمان معارك كلها عظام ، ونحن في مجرى وادى واحد من هذه المواضع ، وهذه المعارك في نجد بين أهلها ، فإذا يكون لو طمعت فيها الأعداء .

* * *

٢٤ - وقال زهير :

كَانَ سَجِيلُهُ فِي كُلِّ تَجْرِ عَلَى أَحْسَاءِ يَمْثُودٍ دُعَاءُ

فَاصَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَلِيبٌ عَلَى عَلِيَاءَ لَيْسَ لَهُ رِذَاءُ

أما يَمْوُودُ : فلا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وإن كنهه يحتمل أن يكون وادياً في بلاد غطفان ، لأنه ذكره الشماخ في شعره ، وهو من شعراء تلك الناحية ، وذلك حين قال :
طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسْمِ يَمْوُودَ حِينًا وَكُلُّ جَدِيدٍ بَعْدَهُ مُودِي
دَارُ الْفَتَاةِ الَّتِي كُنَّا نَقُولُ لَهَا يَا ظَبْيَةَ عَطَلَا حُيَّانَةَ الْجِيدِ

يَمْوُودُ

* * *

٢٥ - وقال زهير يمدح هرم بن سنان المري :

لَمَنْ طَلَّ بِرَامَةَ لَا يَرِيحُ عَفَاً وَخَلَا لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ
تَحْمَلُ أَهْلُهُ مِنْهُ فَبَانُوا وَفِي عَرَصَاتِهِ مِنْهُمْ رُسُومٌ

رامه : أ كسبة متراكمة ليست بالكثيرة ، باقية بهذا الاسم ، معروفة عند جميع أهل نجد ، وهي منقطع أ كسبة الشقيقة مما يلي الغرب ، وشرقي الأ كسبة متصل إلى بلد عنيزة ، وغربيها يمتد إلى جهة الرس البلد المعروف في أعلى القصيم ، وطرف الأ كسبة الغربية المقابلة للرس هي التي تُسمى بهذا الاسم ، وهي قريب وادي عاقل الذي تقدم ذكره ، وقد ذكرتها شعراء العرب ، قال جرير :

رامه

حَيَّ الْفِدَاةَ بِرَامَةَ الْأَطْلَالَ
إِنْ السَّوَادِي وَالْعَوَادِي غَادَرَتْ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مَنْزِلًا
أَصْبَحْتَ بَعْدَ جَمِيعِ أَهْلِكَ دِمْنَةً
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ فِي ذِكْرِ رَامَةٍ :

عَفَتْ مِنْ سُلَيْمِي رَامَةً فَكُتِبَتْهَا
وَعَفَّيْهَا مَا غَيْرَ النَّاسِ قَبْلَهَا
وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى وَشُمُوبُهَا
فَبَانَاتُ وَحَاجَاتُ النُّفُوسِ نَصِيبُهَا

* * *

٢٦ - وقال زهير :

يَلْحَنُ كَأَنَّهُنَّ يَدَا فِتَاةٍ
عَفَا مِنْ آلِ لَيْلَى بَطْنُ سَاقٍ
تَطَالِعُنَا خِيَالَاتُ لِسْمَى
تُرْجَعُ فِي مَعَاصِمِهَا الْوُسُومُ
فَأَكْثَبَةُ الْعَجَازِ فَالْقَصِيمُ
كَمَا يَتَطَلَّعُ الدِّينُ الْفَرِيمُ

لعمرك أياك ما هرم ابن سلمى بملحي إذا اللؤماء ليموا

ساق : واقع في الجواء معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، ومنهم من يسميه « ساق الجواء » وهو منفرد من جبال الجواء ومن جبال الموشم ومن صارات ؛ وهو أسود ، ليس بالـكبير شاق إلى السماء ، في أرض متسعة ، وأنا قد رأيته مرارا كثيرة في أسفاري ، قال الخطيئة :
نَظَرْتُ إِلَى فُوتِ ضَحِيَّا وَعَبَّرَنِي لَهَا مِنْ وَكَيْفِ الرَّأْسِ شَنْ وَوَأَشَلْ
إِلَى الْعَبْرِ تُحَدِّدُ بَيْنَ قَوْيٍّ وَضَارِجٍ كَمَا زَالَ فِي الصَّبْحِ الْأَشَاءَ الْحَوَامِلُ
فَأَنْبَعَثَهُمْ عَيْنِي حَتَّى تَفَرَّقَتْ مَعَ اللَّيْلِ عَنْ سَاقِ الْفَرِيدِ الْجَمَائِلِ
وقد غلط مَنْ قال إن ساق الفريد غير ساق الجواء وهذا هو الخطيئة قد ذكره باسم « ساق الفريد » لأنه منفرد ، والدليل على أنه يعني ساق الجواء أنه ذكر معه موضعين - وهما قَوْيٌّ وَضَارِجٌ - وهما واقعان في ناحيته .

والمعجاز : واقعة في جهة القصيم ، وذكروا أنها قريب النباج ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد ، وهي أكشبة ، قال ذو الرمة :

وقن على المعجاز نصف يوم وأدين الأواصر والخللا

القصيم : هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، واقع في القطعة الشمالية من نجد ، عامر ، كثير القرى والنخيل والمزارع ، تبلغ قراه وخبوبه والمواقع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية ، ومدنه : بريدة ، وعفيزة ، وبلد الرس . حده الجنوبي بلد المذنب ، وحده الشمالي بلد القوارة ، وحدوده الشرقية النباج الذي يسمى اليوم الأسياح ، وحدود الأسياح الشمالية : حنيظل ، وأبو الدود ، والقيصومة ، وحدود الأسياح الجنوبية : الجملة ، والنبقية . وحدوده الغربية شمالها : وثال ، وعيون الجواء ، والروض ، وجنوبها : الرس وما حوله ، قال أهل اللغة عن سبب تسميته القصيم : إنه أكشبة متقصمة تنبت الغضى ، قال محمود شكركي الآلوسي : سمى القصيم ، لأنه قصيمات رمل متقطعة ، وهو يشقه طريق الحاج من البصرة إلى مكة نصفين ، وهو الفاصل بين جَبَلِيّ طي وحاييل وقراها وبين عارض اليمامة وقراه ، ووشم اليمامة الذي عاصمته بلد شقري واقع في النصف من الطريق بين القصيم والعارض ، أنشد ابن السكيت في ذكر القصيم :

يأريها اليوم على ميين على ميين جرد القصيم

وفيه معارك في الجاهلية والإسلام ، قال زيد الخليل الطائي :

وَنَحْنُ الْجَالِبُونَ نِسَاءَ عَبَسَ إِلَى الْجَبَلِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَصِيمِ
فَكَانَ رَوَّاحُهَا لِلْحَى كَعَبٍ وَكَانَ غَدُوها لِبَنِي تَمِيمٍ

وتنتهى إليه سيول الرمة إذا حجزتها الأكتبة الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً ، وإذا حجزته تلك الأكتبة ينمرج على يمينه ويجتمع في روضة الزغبية المشهورة شرقي عنيزة ، وهي موضع القريتين المذكورتين في الزمن القديم قريب النباح ، وذكروا أن أسفل وادى الرمة تحير فيه المياه ويكون به وباء من الحمى لكثرة المياه ، قال أعرابي يذكر وباء القصيم وكثرة القتال فيه :
إِنَّ الْقَصِيمَ بِلَدِّ عَجْمَةٍ أَنْكَدَ أَفْنَى أُمَّةٍ فَأَمَّةٌ

وفي سنة ١٢٩٥ في رجب منها جاء آلُ عاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبدالرحمن ابن حشر ، فدخلوا في أكتبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلد عنيزة ، وهي حصى لأهل عنيزة يرعون الإبل والأغنام ويمنعون السكلاً لسوانيسهم التي تسقى الزرع ، فدخلوا في ذلك الحمى ، وأرسل إليهم أهل عنيزة أن أذهبوا عنا وعن بلادنا والقلاة واسعة ، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بغي وتجبر على أهل القرى وتطاول ، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس البلد زامل بن سليم ، وكان بها قاضٍ يقال له على آل محمد متخرج على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين^(١) فجاءه أميرُ البلد وقال له : أيها القاضي ، إن هؤلاء الأعراب قد طغَوْا وتَجَبَرُوا علينا يضرُّون مَنْ وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من الرعاة وغيرهم ، وقد آذَوْنا ، فهل يحل لنا أن نفرزهم ؟ قال : نعم ، فتأهبوا للفرز وخرجوا يوم الأربعاء ، فلما خرجت الراية مع صاحبها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية ، فأصرَّ رئيس الجيش زامل بن ساهم القوم أن ينزلوا ، فرجع إلى القاضي فقال له : إنا خرجنا في هذا اليوم يوم الأربعاء ، وهو مكروه عند العرب ، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت ، فماذا ترى ؟ أنقيم اليوم ونفرز غداً نهار الخميس ؟ فقال الشيخ : خذوا رحلاً سالماً وأصلحوا رأيكم واغزوا على بركة الله ؟ فإنه لا خير إلا خيره ، ولا طير إلا طيره ، وليس عند الأيام خبر ، فشوا من حينهم والعدو قريب مسافة يوم وكان في بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان المَعَزُويْن ، فقال لابنته : اذهبي إلى قومنا في جوف الليل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريباً ، وكانت ابنته ذات جمال ، فلما وصلت

(١) وكان أبو بطين قاضياً في عنيزة ، فكان ينيبه في غيابة ، فنولى قضاء عنيزة من سنة ١٢٦٩ هـ إلى أن توفي سنة ١٣٠٤ هـ ، وهو من قبيلة الأساعدة أهل الزلفي ، وبلده علة من قرى الزلفي ، انتهى مصنف ، وقحطان إذ ذاك يشربون ماء دحلة الهجرة المعروفة اليوم لحرب .

إلى نادى آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقتت على النادى ثم قالت : إن أبى أرسلنى إليكم يقول : إن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذرکم فإنى لم آتكم بنفسى خوفاً أن يفضب على جيرانى ، وأرسلنى لأخبركم ، فضحكوا ، والتفت بعضهم إلى بعض ، فقال بعضهم : هذا النذير أحسن ما يفعله به أن يزغب^(١) فهم فى ضحكهم وتهكمهم بها إذ طأعت عليهم جيوش أهل عنيزة فقتلهم قتلة عظيمة أصابت من آل حشر الرؤساء أحد عشر قتيلاً ، منهم : الرئيس حزام بن حشر أبو فيصل بن حشر الرجل المشهور فى معية جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفصل المذكور فارس من رمة أهل نجد المشهورين ، هلك سنة ١٣٥٨ هـ تقريباً ، فانهزم القحطانيون ، ودفنوا قتلاهم ، وحلوا أميرهم حزاماً حين أنقضته الجراحات ، فلما وصلوا ماء نفى المشهور فى عالية نجد مات فى ذلك الوادى ، فدفنوه ، وقال شاعر آل عاصم أبياتاً نبطية بمد دفنه وارتحالهم من نفى ، وهى قصيدة طويلة قالها ابن مسهر :

لو أجملنا إلى يشيل الروايا الياقربو للشيل وثنات الجال
لو ان الربع من دفوفه دمايا مهوب من كثر العلايق بملال
فى جال فيحان عليه البنايا خلوه فى خرب الجبا مظلم الجال
شلنا وخلينا زبون الحفايا على نفى شرق عن القصر نزال

فيحان : اسم لوادى نفى عند جميع الأعراب ، وقوله « خرب الجبا مظلم الجال » أراد به القبر ، ومصاط بن ربيعان الروقى كان به تجبر على أهل القرى ، فجاء إلى حمى أهل عنيزة^(٢) ففعل مثلاً فعل من قبله من التصديق على أهل عنيزة ، والرئيس هو الرئيس الأول ، والوقفان قريب بعضهما من بعض فى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة ، فصبحوه وأخذوا إبله وأمتعته ، وكانت إبله يسميها سبلا ، فقال قصيدة نبطية منها فى سنة ١٢٨٩ :

يليت سبلا يوم جاها بلاها مهيب عند مصرفة خضر الرباع

(١) الزغب : عند قحطان وقسم من الأعراب أهل نجد وقرائها هو كناية عن الجماع ، وقد حدثنى من أثق به عن أبيه أنه حدثه ابن فتنان لما رجعت إليه ابنته وأخبرته بكلام قومته وتهكمهم بها ، التهب قلبه التهاب النار من أجل تهكمهم بابنته ، وفى غد أتاه الخبر بقتلهم وقتل أحد عشر رئيساً منهم وأخذهم وطردهم ، فسكن عند ذاك اللهب ، فنصر الله الشيخ وابنته كما نصر أهل عنيزة ، وإن ربك للمرصاد

(٢) وذلك فى شوال سنة ١٢٨٩ هجرية ، وهو إذ ذاك قاطن على ماء التامرية الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً . مصنف

خضر الأربع : عملة يتعامل بها أهل القصيم .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ تقريباً جاء قوم من حرب يقال لهم « الفردة » رئيسهم ابن هديب ، فدخلوا في ذلك الحى حتى عنيزة ، ورئيسها يومئذ ابن سليم ، فأرسلوا إلى الأعراب وحذروهم أن اذهبوا عن هذا الحى ، فلم تربع الأعراب إلى هذا الإنذار ، فخرج أهل عنيزة عليهم ، فقتلوا رئيس الفردة ابن هديب .

أما موقعها : فشرقها قور^(١) وجبال صفار ، متصل بعضها ببعض ، وغربها كتيب أحر ، وهى بين الكتيب وبين القور ، في أرض منخفضة غلبة الماء كثيرة النخيل ، وشمالها وادى الرمة به لم نخيل ومزارع ، ويسميه بعض أهل نجد « وادى عنيزة » .

أما بريدة : فهى بلد واسعة ، جميع القصيم يُعَدُّ من ملحقاتها ، وهى أكبر من عنيزة في موضعها وإمارتها وملحقاتها ، أدركت أمراءها آل أبى الخليل من عنزة ، ثم استعمل عليها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عمالاً من أبناء عمه وغيرهم ، وبها قصر منيع يسكنه الأمير وخدمته ، وأهلها أمة مطيعة للولاة ، وجميع الحدود التى حددناها سابقاً للقصيم تابعة لها .

أما القصيم : فهو موضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده ، كالنابج الذى يسمى اليوم الأسياح ، وقرى الجواء والقريتين موضع روضة الزغبية اليوم ، والرس والريس والعاقلى ، وأكثر قرى القصيم المذكورة في أشعار العرب وتاريخهم . أما بريدة^(٢) : المدينة المشهورة في وسط القصيم ؛ فالذى اكتشفها الدريبي من أهل ثمرنا من العنابر ، اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً ، وبقياً ذريته هم آل أبى عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة ، وهم رؤساؤها وأمراؤها ، منهم حجيلان الذى له ذكر في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز ، ومنهم عبد العزيز آل محمد الذى له ذكر في زمن الإمام فيصل ، ومنهم محمد آل على بن عرفج ، فكل هؤلاء من آل أبى عليان .

وآل عرفج منهم المرأة التى قتلت قاتل أبيها ، قال شاعر في قصيدة له نبطية :
عيسى يقول الحرب للعال نفاذ أنشد مسوى السيف هو كيف حانيه
إن كان مانرويه من دم الضداد كزوه لم العرفية ترويه
وقصتها مشهورة عند عامة أهل نجد ، وأعرف ثلاث نسوة من نساء أهل نجد قتلن الرجال :

(١) القور : هى الجبيلات الصفار ، مفردها قارة ، وهى لغة قديمة ، قال كعب بن زهير في لاميته :

• كما ترفع بالقور الساقيل •

(٢) ذكرها صاحب منجم العمران المستدرك على معجم البلدان ، لأنه كتاب حديث .

الأولى : العرجية آفة الذكر ، قتلت قاتل أبيها ، وبنت الاصرة العجمي ، قتلت ابن خثاين شيخ المعجان قاتل أبيها ، وبنت المطرودي راعي العوشزية ، أخذت إبلهم يوم الجمعة وأهلها غائبون للصلاة ، فأخذت البندقية وركبت الفرس وعليها ثياب أخيها ولحقت الأعداء وقتلت رئيسهم ورجعت بالإبل ، ولها حديث طويل في ذلك ، وهي خالة عبد الله بن جلوى أمير الأحساء ، رحمه الله !

وسكان بريدة لبسوا من قبيلة واحدة ، هم من قبائل شتى ، ولكن كلمتهم مجمعة ، يتجرون في الإبل ، وفي السنين الأخيرة تجروا في جميع أنواع التجارة ، وأميرهم في هذا العهد سنة ١٣٦٦ هجرية عبد الله بن فيصل آل فرحان من أقارب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود^(١).

وقول زهير * تطالعنا خيالات لسلوى * لعله^(٢) يريد بسلوى في هذا البيت الجبل الثاني من جبل طيء أجا وسملى ، وهو معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذلك أن سملى قريب من جهة القصيم ، وفيه بطن من الأسلم من شمر ، وأجبلتها بين الحمرة والساد ، وقد مضى الكلام عليها في مواضع من هذا الكتاب موقعها بين جبل رمان وجبل أجا ، شرقيها فيد وركك ، وغربيها متاخم لغربي جبل رمان .

* * *

٢٧ - وقال زهير يخاطب بني تميم لما بلغه أنهم يريدون غزو غطفان :

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظُّنُونُ^(٣)
بِأَنَّ يُيُوتُنَا بِمَحَلٍّ حَجَرٍ بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ
إِلَى قَلْهَى تَكُونُ الدَّارُ مِنَّا إِلَى أَكْثَافِ دُومَةٍ فَالْحُجُونِ
بِأَوْدِيَةِ أَسَافِلِهِنَّ رَوْضُ وَأَغْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ

حجر : قد مضى الكلام عليه في أشعار زهير في رائيته التي مطلعها :

* لمن الديار بقنّة الحَجَرِ *

قلمى أما قلهى فقد قال عرام بن الأصمغ السلي^(٤) في كتابه عن جبال الحجاز وتهامة وأوديتها :
وبالمدينة وإد يقال له « ذورولان » به قرأى منها قلهى ، وهي قرية كبيرة . هـ . فأما الذى

(١) وأمير بريدة وملحقاتها في هذا العهد عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك المعظم ووالده عبد العزيز بن مساعد أمير على حائل وملحقاتها .

(٢) ولعله يريد بسلوى اسم امرأة ينتابه خيالها

(٣) روى ثعلب « وقد يأتيك بالنصح الظنون » . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٥٤ .

عَنَاهُ زَهْرٌ فَهُوَ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ قَلَمِيٌّ وَقَعَ فِي بِلَادِ غَطْفَانَ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي نَزَلَتْهُ عَبَسَ وَفَزَارَهُ بَعْدَ حُرُوبِهَا ، وَتَصَالَحَتْ عَلَيْهِ ، وَبَعْدَ مَا تَوَاتَفَوْا قَامَتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذَيْبَانَ وَطَالِبُوا بَنِي عَبَسَ بِدَمَاءِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ جَدَادٍ وَمَالِكِ بْنِ سَبِيْعٍ ، وَمَنْعُوهُمْ الْمَاءَ حَتَّى أُعْطُوهُمْ الدِّيَّةَ ، فَقَالَ مَعْقِلُ ابْنِ عَوْفٍ بْنِ سَبِيْعِ الثَّعْلَبِيِّ :

لَيْنَمَ الْحَيُّ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْدٍ إِذَا مَا الْقَوْمُ عَصَمَهُمُ الْحَدِيدُ
هَمْ رَدُّوا الْقَبَائِلَ مِنْ بَيْفِضٍ بِفَيْظِهِمْ وَقَدْ حَيَّ الْوَقُودُ
تَقَلُّ دِمَاؤُهُمُ وَالْفَضْلُ فِينَا عَلَى قَلَمِيٍّ وَنَحْكُمُ مَا نَرِيدُ

دُومَةُ : هِيَ دُومَةُ الْجَنْدَلِ ، مَعْرُوفَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي تُسَمَّى بِدُومَةٍ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَعْنَ إِلَّا دُومَةَ الْجَنْدَلِ ، وَهِيَ ثَلَاثُ قُرَى عِظَامَ : دُومَةُ ، وَالْقَارَةُ ، وَسَكَاكُ ، وَاسْمُهَا الْقَدِيمُ سَكَاكُ ، بِهَا عَامِلٌ عَلَى تِلْكَ الْمَقَامَةِ لِحِلَالَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سَعُودٍ ، فَفَقِلَتْ دَائِرَةُ الْإِمَارَةِ مِنْ بِلَدَةِ دُومَةٍ إِلَى بِلَدِ سَكَاكُ ، وَأَمِيرُهَا فِي سَنَةِ ١٣٦٦ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ أَحْمَدَ السَّادِرِي ، وَفِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ حَصْنٌ يُقَالُ لَهُ « مَارِد » وَهُوَ حَصْنُ أَكِيدِرَ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى أَثْرَسَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ عُفَيْرٍ ، وَهُوَ مِنْ كَنْدَةَ ، وَهُوَ الَّذِي وَجَّهَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ تَبُوكَ ، وَقَالَ لَهُ : سَتَقَاهُ بِصَيْدِ الْوَحْشِ ، وَجَاءَتْ بَقْرَةٌ وَحْشِيَّةٌ فَحَسَكَتْ قُرُونَهَا بِحَصْنِهِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهَا لِيَصِيدَهَا ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ ، فَأَسْرَهُ ، وَقَتَلَ أَخَاهُ حَسَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَافْتَتَحَهَا خَالِدٌ عَنُودًا ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَالَحَ أَكِيدِرَ عَلَى دُومَةٍ ، وَأَمَّنَّهُ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَ تَضَرَّاعِيًّا ، فَأَسْلَمَ أَخُوهُ حُرَيْثٌ ، فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا فِي يَدِهِ ، وَنَقَضَ أَكِيدِرَ الصَّلَاحَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَجْلَاهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ دُومَةٍ فِيمَنْ أَجْلَى مِنْ مُخَالَفِي دِينَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْحِجْرَةِ ، فَتَنَزَلَ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا قَرِيبَ عَيْنِ الثَّرِ وَبَنَى بِهِ مَنْزِلًا وَسَمَاهُ دُومَةُ ، وَقِيلَ : دُومَاءُ ، بِاسْمِ حَصْنِهِ بِوَادِي الْقُرَى ، فَهُوَ قَائِمٌ يَعْرِفُ إِلَّا أَنَّهُ خَرَابٌ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي إِجْلَالِهِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكِيدِرَ :

يَا مَنْ رَأَى طُعْمًا تَحْمِلُ غَدُودَةً مِنْ آلِ أَكْدَرَ شَجْوُهُ يَعْنِينِي
قَدْ بَدَّلْتُ طُعْمًا بَدَارَ إِقَامَةٍ وَالْبِيرَ مِنْ حَصْنِ أَشْمِ حَصِينِ

الْحَجَّجُونَ : هُوَ الْوَاقِعُ فِي أَعْلَى مَكَّةَ تَمَّا بِلَى مَقَابِرِهَا ، وَهُوَ الَّذِي عَنَاهُ مُضَاضُ بْنُ عَمْرٍو الْجَزْهُمِيُّ حِينَ قَالَ يَنْشَوِقُ إِلَى مَكَّةَ :

دومة

الحججون

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّونَ إِلَى الصَّافَا أَنَسُ ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِر
بَلَى نَحْنُ كَفَّا أَهْلَهَا فَارْأَا صُرُوفُ اللَّيَالَى وَالْجُدُودُ الْعَوَارِ
وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ومعنى بيت زهير أن غطفان ملأت ما بين دومة الجندل إلى الحجون ، ولكنه يكذب
في آخر الأبيات حين يقول : * وأعلاها إذا خِفْنَا حُصُونُ * فيظهر من هذا الشرط أنهم لم يملأوا
الذى بين دومة فالحجون ، ولم يملأوا بلاد غطفان

* * *

٢٨ - وقال زهير :

عَلَى رِسَالِكُمْ . إِنَّا سَنُعِدِّي وَرَأَاكُمْ . فَتَمْنَعُكُمْ أَرْمَاحُنَا أَوْ سَنُعْذَرُ
وَالَا فَإِنَّا بِالشَّرْبَةِ فَالَلَوَى نَمُرُ أَمَاتِ الرَّبَّاعِ وَيَنْسُرُ
أما الشربة فقد مضى الكلام عليها على قصيدة امرئ القيس عند هذا البيت ^(١) .
تَخَطَّفَ خِرَازَانَ الشَّرْبَةِ بِالصُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

الشربة

* * *

٢٩ - وقال زهير :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَأَرْزِيَّةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَنِي غُطْفَانُ يَوْمَ أَصَلَّتِ
إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَنِي ذَامِرَةٌ بِجَنُوبِ نَخْلٍ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ
أما نخل فقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير حين قال في لاميته ^(٢)
تَرْبُصُ فَإِنْ تَقَوَّيَ الْمُرُورَةُ مِنْهُمْ وَدَارَاتِهَا لَا تَقَوَّيَ مِنْهُمْ إِذَا نَخْلُ

نخل

* * *

٣٠ - وقال زهير :

غَشِيْتُ دِيَارًا بِالْبَيْعِ فَهَمِدِ دَوَارِسَ قَدْ أَقْوَيْنَ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ ^(٣)
أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آلُ خَيْمٍ مُنْصَدِ ^(٤)

(١) انظر ص ٨٧ من هذا الجزء . (٢) انظر ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٣) في رواية ثعلب « غشيت الديار بالبيع » وأقوين : أقفرن

(٤) أربت : أقامت ، والإرباب : الإقامة وعدم البراح .

البقيع

أما البقيع : فقد مضى الكلام عليه في ذكر مياه الجِواء على معلقة امرئ القيس على ذكر بقيعا ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .
وأما شهد : فسيأتى الكلام عليه - إن شاء الله - في معلقة طرفة .

* * *

٣١ - وقال زهير :

إِلَى هَرِيمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ اللَّوَى فَنِعْمَ مَسِيرُ الْوَاقِعِ الْمُتَعَمِّدِ
سَوَاءَ عَلَيْهِ أَىَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ أَسَاعَةً نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعَدِ

اللوى

اللوى : الواقع في بلاد غطفان لوى عريق الدم الذى يقع طرفه بالقرب من أبان الأحمر الجنوبي الواقع على ضفة الرمة الجنوبية ، ويمكن أن يكون زهير قد عني منقطع هذا الكتيب في بلاد غطفان

* * *

٣٢ - وقال زهير يمدح سنان بن أبى حارثة المرى :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا بِذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا
بَلَيْنَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ عَنْ فَرَطٍ حَوْلَيْنِ رَقَا مُحِيلَا

حرض

حرض : هذا الاسم يطلق على مواضع كثيرة ، منها حرض في جهة المدينة عند قناة قريب أحد ، وهو الذي قال فيه حكيم^(١) بن عكرمة الديلمى وهو ينشوق إلى المدينة :
لعمرك لآلبلاط وجانيباه وحرّة واقم ذات المنار
فجباء العميق فعرصباه فمفضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد فذى حرض فمبنى قباب الحى من كنفى صرار
أحب إلى من فج ببصرى بلا شك هناك ولا اثمار
ومن قريات حمص وبلبك لو أنى كنت أجمل بالخيّار

ولما استولى اليهود في الزمن القديم على المدينة وتغلبوا عليها كان لهم ملك يقال له :
النفطيون ، وكان قد سن فيهم سنة أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى يكون هو الذى يفتقها
قبله ، فبلغ ذلك أبا جبيلة أحد ملوك اليمن ، فقصده المدينة ، وأوقع باليهود بذى حرض ، وقتلهم ،
فقال سارة القرظية تذكر ذلك :

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٥٢ .

بأهلى رِمةً لم تُغن شيئاً بذى حُرُضُ تُعْفِيها الرياحُ
كحول من قريظة ألتفتهم سيوفُ الخَزْرجية والرماحُ
ولو أذنوا بحربهم لَحَالَتْ هنالك دونهم حَرْبٌ رَدَّاحُ

وقد قال كثير ذاكرا هذا الموضع المجاور للمدينة .

أُرْبَعُ فُحْيٌ معارف الأطلال بالجزع من حُرُضٍ فمن بَوَالٍ

وهناك موضع آخر يقال له « حرَض » في هذا العهد واقع بين الخُزْج ومقاطعة الأحساء ، وهو في الزمن القديم يقال له « دحرض » ، وسيأتي الكلام عليه في معلقة عنتره إن شاء الله تعالى .
وفي جهة الأفلاج موضع يقال له « حراضة » واقع في بلاد الأفلاج كثير النخل .

وهناك موضع فيه ماء يقال لها « حراضة » واقع غربي حَضَنِ الجبل المشهور الواقع جنوبي ركة ، وكان بخيت بن ماعز الروقي قد طرد قوما من البقوم وقد أيقنوا بالهلاك فالتجثوا إلى طرف حَضَنِ المطل على ماء حراضة المذكورة ، فقال في ذلك قصيدة نبطية منها :

رب نصفني من بنى عم عاضه بشلف تروى حدها والمسامير
ظلم البقوم إلى أمقاد حراضه اكسيه يالبقيا ثياب مشاهير

ذكر للبقوم أنه يجب عليهم أن يكسوا هذا الجبل الذي منعمهم منه .

والذي عناه زهير في قصيدته وادٍ في بلاد غَطَفَان فيه ماء قليل يقال لهذا الوادي حرَض ، واقع في جبل في العلم ، وهو في حدود بلاد غطفان الشمالية ، يوجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إذا خرجت من ماء النقرة قاصداً الشمال وجعلت جبل العلم على شمالك ، وسلكت الطريق المسمى قعضب عند أهل تلك الناحية ، وخرجت منه ، فإله النحات التي تقدم ذكرها على يمينك ، وماء حرَض على شمالك .

انتهى ذكر الأماكن الواردة في شعر

زهير بن أبي سلمى المزني

والحمد لله أولاً وآخراً

٣

طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِ

طرفة بن العبد البكري

(مات سنة ٧٠ قبل الهجرة - ٥٥٠ للميلاد ، تقريرا)

١ - قال في مطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرُقَةٍ نَهَمَدِ تَلَوَّحَ كِبَاقِي الْوَشِيمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
بِرَوْضَةٍ دُعِي فَأَكْنَفَ حَاجِرٍ ظَلَلْتُ بِهَا أَيْكِي وَأَيْكِي إِلَى الْغَدِ^(١)
وُقُوفًا بِهَا صَغْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَتَالِكَةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

نهمد

أما نهمد وبرقة فإننا لما أمعنا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه في كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة في ذلك ، اهتمدنا إلى موضعه الآن ، لكنه قد تغير اسمه ، حدده الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » فقال : هو واقع في حزيز وضاح الذي يمتد منه إلى حليت ؛ والموجود هناك سناف أسود يقال له اليوم « حيد الردامي » يتصل غربا بحزوم وأبارق ، وهي البرقة التي ذكرها طرفة في قوله « ببرقة نهمد » ونهمد : هو من حيد الردامي المسمي اليوم بهذا الاسم ، قال الأعشى :

هَلْ تَذْكُرِينَ الْمَهْدَ يَابْنَةَ مَالِكٍ أَيَّامَ تَرْتَبِعُ السَّتَارَ فَتَهْمَدَا

والستار الذي عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، لا يبعد عن أبارق نهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم ، والستار المذكور : واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة في معلقته .

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعا يطلق عليه اليوم اسم نهمد ، ولكنه علي حسب تحديد الهمداني واقع عند حيد الردامي من غير إشكال .

والأبارق المضافة إليه واقعة في غربيه الجنوبي مما يلي الستار ، الذي ذكره الأعشى ، وهو غير الستار الذي ذكره امرؤ القيس ؛ لأن الذي ذكره امرؤ القيس في حَيِّ ضَرِيَّةَ ، والذي ذكره الأعشى واقع في شرقي طخفة شمالي غول قريبا من منية .

وفي جزيرة العرب خمسة جبال كلها تسمى بالستار ، وكلها أسماء جاهلية باقية إلى هذا العهد .

(١) هذا البيت ساقط من رواية التبريزي والزوزني ، وقد رواه ياقوت (٤ / ٣١٦) وفيه عنده

« فَأَكْنَفَ حَائِلَ » .

روضة دعى : لم أعرف في بلاد العرب روضة بهذا الاسم إلا روضة واحدة تقع بين قنيفذة روضة دعى وكثيب نفود السر ، وقنيفذة : هى الأكتبة المتراكمة بين مراة وبين السر ، وروضة دعى واقعة بين قنيفذة والسر غربى مراة ، وهى : روضة كبيرة كثيرة السدّر والسلم والطلح ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تسمى « روضة بن دحمان » يعرفها الكثيرون من أهل نجد ، تقع فى النصف بين كثيب السر وكثيب قنيفذة ، وهى لكثيب قنيفذة أقرب ، بين أبرق المنيهة وبين (خَلْ) ^(١) سعود وهى التى تسمىها العامة « روضة سدران » وهذا الاسم حديث ، سببه أن السيول كثرت فيها عاما من الأعوام فخرج فيها ماء بين سدر فسميت هذه المساء « سدران » ثم غلب هذا الاسم حتى قيل لها « روضة سدران » وهى بنفسها « روضة دحمان » وهذا الاسم الأخير قديم ، وأنا أعرفها من مدة قديمة بهذا الاسم ، وهى التى عنها الشاعر بقوله :

هَيْمَاتٍ مَسْكَنُهَا مِنْ حَيْثُ مَسْكَنُنَا إِذَا تَضَمَّنَهَا دَحْمَانُ فَالْدَّورُ

ولست أعرف في بلاد العرب موضعا بالاسم الذى ورد فى شعر طرفة غير الذى ذكرنا . وقول طرفة « أكناف حاجر » فى لغة العرب قديما وحديثا أن الموضع الذى ينبجر فيه السيل من الأرض يسمى « حاجرًا » فهو اسم جنس غير معين ، فإن كان طرفة عنى بذلك ما حَجَرَ السيل من الأرض فهو قريب من « روضة دعى » من محاجر السيل التى هى مجاورة لها ، وإن كان قصد موضعا بعينه فلست أعلم موضعا يقال له حاجر إلا موضعا واحداً يقع عن وادى الرمة شمالا ، وهو قريب النقرة ، يبعد عنها مسافة نصف يومٍ تقريباً ، يقال له فى هذا العهد « الحاجر » وهو منهل ترده الأعراب .

النواصف ود : كلها واقعة فى البحر الشرقى ، لأن طرفة حين قال : * خلايا سفين بالنواصف النواصف ودود من دد * أتبعها بقوله * عَدَوَلِيَّةُ أَوْ مِنْ سَفِينِ بْنِ يَامِنْ * وامرؤ القيس لما وصف الطعائن وقال : فشبهتهم فى الآل لما تكشوا حَدَائِقِ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُعَيَّرًا من المكسرعات من سَفِينِ بْنِ يَامِنْ دَوَيْنَ الصَّغَا اللّائِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا وَالصَّغَا وَالْمُشَقَّرُ فى هَجَرٍ بغير خلاف ، وطرفة ذكر سفين ابن يامن ، ودَد : اسم لوادٍ يصب فى البحر الشرقى .

والنواصف : هى نواصف هذا الوادى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وأما صاحب معجم البلدان فإنه قال ^(٢) على ذكره : هو موضع ، واستدل بقول طرفة فى معلقته ، ومنهم

(١) الخلل . طريق نافذ بين كثيبين من الرمال . (٢) للمعجم ٨ / ٣١٩

من قال : إنه وادٍ من أودية عمان يصب في البحر ، والنواصف التي ذكرها طرفة هي نواصف دد وقد ورد لها ذكر في أشعار كثيرة ، قال ود بن منظور الأسدي :

أَلَا حَىٰ رَبِّمَا بِالنَّوَاصِفِ أَوْرَشَمًا خَلَا دُمِيَّةُ الْأَرْوَاحِ تَطْلُمُهُ طُمًا^(١)

وقد دَرَسَ ذكر الناس للنواصف وَلِدِي ، وظنى أن أحداً لا يعرفها اليوم بهذين الاسمين ، وقد أَطَلْتُ البحث عن دَدٍ وموضعه ، فقال لى بعضُ أهل الأدب : أنا أظن أن « ددا » هي المدينة الواقعة في عمان التي يقال لها اليوم « دبي » وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باء ، فرجعت إلى كتب المعاجم للاستقصاء عن دد ، وعن دبي ، فوجدت دبي هذا الاسم من عهد الجاهلية فقد كان يقال له في الزمن القديم « دبا » واتل أبيها القاريء هذه العبارة التي أوردها ياقوت في معجمه عن الأصمعي حتى يزول عنك الشك ، وتعلم أن ددا اسمٌ قديم جاهلي ودبي أيضاً اسم قديم جاهلي قال ياقوت^(٢) : وبعان مدينة مشهورة قديمة يقال لها « دبا » وهي قصبة عمان ، ولعل هذه الدوق المشهورة التي فتحها المسلمون في أيام أبي بكر رضى الله عنه عنوة سنة إحدى عشرة وأميرهم حذيفة ابن محسن فقتل وسبا ، قال الواقدي : قدم وفد الأزدي من « دبا » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقرين بالإسلام ، فبعث عليهم مُصَدِّقاً منهم يقال له حذيفة بن محسن البارقي ، ثم الأزدي من أهل « دبا » فكان يأخذ صدقة أغنيائهم وَيَرُدُّهَا إلى فقرائهم ، وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرائض لم يجد لها موضعاً ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدوا ، فدعاهم إلى النزوع ، فأبوا ، وأسمعوه شتماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، فكتب حذيفة في ذلك إلى أبي بكر رضى الله عنه ، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات عامر ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم انحاز عكرمة إلى تبالة : أن سِرَ فيمن قبلك من المسلمين ، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي ، فجهز لقيطاً إليهم جيشاً ، فالتقوا ، فهزمهم الله ، وقتل منهم نحو المائة حتى دخلوا مدينة « دبا » فتحصنوا بها فحاصرهم المسلمون شهراً أو نحوه ، ولم يكونوا قد استعدوا للحصار ، فأرسلوا إلى حذيفة يسألونه الصلح فقال : لا أصالح إلا على حكى ، فاضطروا إلى النزول على حكمه ، فقال : اخرجوا من مدينتكم عزلاً لا سلاح معكم ، فدخل المسلمون حصنهم ، فقال : إني حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسي

(١) وقع في معجم البلدان « نطمسه طمسا » بتقديم اليم على السين ، وهو تحريف ، وتقول

« طمس الطريق » و « طمس » بمعنى واحد ، ومعناها درس ، وانظر شواهد ذلك في اللسان (ط

س م) . (٢) المعجم ٤ / ٣٠ .

ذاريكم ، فقتل من أشرفهم مائة رجل ، وسبى ذراريهم ، وقدم سبيهم المدينة ، فاختطف المسلمون فيهم ، وكان فيهم أبو صُفْرَةَ أبو المُهَلَّب غلاماً لم يبلغ ، فأراد أبو بصير رضي الله عنه قتل مَنْ بَقِيَ من المقاتلة ، فقال عمر رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله ، هم مسلمون ، إنما شَعَرُوا بأموالهم ، والقومُ يقولون : ما رجعنا عن الإسلام ، فلم يزالوا موقوفين حتى توفى أبو بكر رضي الله عنه ، فأطلقهم عمر رضي الله عنه ، فرجع بعضهم إلى بلاده ، وخرج أبو المُهَلَّب حتى نزل البصرة ، وأقام عِكرمة بدباً عاملاً لأبي بكر ، وآلُ المُهَلَّب استوطنوا البصرة ، وكانوا قُوَّادًا وعمالا بني أمية حتى قُضتْ عليهم تلك الدولة ، وأحزم من تولى منهم قتال الخوارج المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ ، وله عليهم انتصارات عظيمة ، وهو الذي فَلَّهم بعد الصبر والمطاولَة .

* * *

٢ - وقال طرفة :

تُبَارِي عَتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَمَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ
تَرَبَّعَتِ الْقَفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَمَى حَدَائِقَ مَوَالِي الْأَسِيرَةِ أُغِيدَ

أما القفان فإن المواضع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة منها « قف » قريب حَرَّ أبي موسى الأشعري في العُتَّان ، و « قف » في جنوبي العُتَّان مما يلي طريق الأحساء السالك إلى نجد . و « قف » في جهة المدينة ، و « قف » قريب الرس جنوبي وادي الرمة ، و « قف الجواء » شمالي الرمة ، ورد لها ذكر في أشعار العرب ، فإذا قال الشاعر « القفَّان » بالثنية فمعا في الصمان ، وقد مر ذكرهما ، وإذا أفرد فهو يقصد أحدهما ، وإذا ثنَّاهما شاعر غَطَّفَانِي كزهير وغيره فمعا الوافسان قريب الرمة ، وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذى الرمة وهى تذكر القف القريب من المدينة ، وقد رحل بها زوجها إلى تلك الناحية^(١) :

نَظَرْتُ وَدُونِي الْقَفُّ ذُو النَّخْلِ هَلْ أَرَى أَجَارَعَ مِنْ آلِ الضُّحَى فِي ذُرَى الْأَمَلِ
فِيَالِكَ مِنْ شَوْقٍ رَجِيعٍ وَنَظَرَةٍ ثَنَّاها عَلَى الْقَفِّ خَبَلًا مِنَ الْخَبْلِ
أَلَا حَبْدًا مَا بَيْنَ حُزْوَى وَشَارِعٍ وَأَنْفَاءَ حُزْوَى مِنْ حَزُونٍ وَمِنْ سَهْلٍ
لِعَمْرَى لِأَصْوَاتِ الْمَسْكَاكِ بِالضُّحَى وَصَوْتُ صَبَا فِي حَائِطِ الرَّمْثِ بِالذَّحْلِ
وَصَوْتُ شَمَالٍ زَعَزَعَتْ بَعْدَ هَذَا أَلَاءَ وَأَسْبَاطًا وَأَرْطَى مِنَ الْخَبْلِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَاحِ دَجَاجَةٍ وَدَيْكَ وَصَوْتُ الرِّيحِ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ

(١) انظر معجم ياقوت ٧ / ١٤٠ .

فِيالَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَبَيْتَن لَيْلَةَ بِحُضُورِ حَزُونِي حَيْثُ رَبَّنِي أَهْلِي
وقد قال زهير حين أفرد القف :

لَمِنْ طَلَّلْ كَالوَحَى عَافٍ مَنَازِلُهُ عَافَا الرِّسُّ مِنْهُ فَالرَّسِيسُ فَعَاقِلُهُ
فَقَفَّ فُصَارَاتُ فَأَا كَنَافَ مَنَمَجٍ فَشَرِقُ سَلَمِي حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ

هذا القف الذي يقع عن الرُمة شمالاً مختلطاً بصارات ، وقال أيضاً حين ثناه :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ عَامٍ وَمِنْ زَمَنِ لَّالِ سَلَمَاءَ بِالْقَفَيْنِ فَالرُّكْنِ

فهمو حينئذ قد قصد القفين اللذين يقع أحدهما شمال الرمة ، والثاني جنوبها ، وهذا الذي قصده طرفه ؛ لأنها من أصلح الأرض للابل ، وهن باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد .

٣ - وقال طرفه :

وَأَتَلَعُ نَهَاضٌ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ كَسَكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجَلَةَ مَصْعِدِ^(١)

دَجَلَةُ : نهر معروف يصب في بحر الخليج الفارسي ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال أبو العلاء المعري^(٢) :

سَقِيًّا لِدَجَلَةَ وَالْدُنْيَا مَفْرَقَةً حَتَّى يَعُودَ اجْتِمَاعُ النُّجُومِ تَشْتَبِثَا
وَبَعْدَهَا لَا أَحِبُّ الشَّرْبَ مِنْ نَهَرٍ كَأَمَّا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا
دَمَّ الْوَلِيدُ وَلَمْ أَذُمَّمُ بِلَادَكُمْ إِذْ قَالَ « مَا نَصَفْتُ بَغْدَادَ » حَوْشِيثَا

وقال ابن التمار الواسطي يصف ضوء القمر على دَجَلَةَ :

قَمِ فَاغْتَصَمَ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْقَوْبِ وَاجْمَعِ بِكَأَمِّكَ شَمْلَ الْإِلَهِ وَالطَّرَبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ مَهْزُومَةً وَجِيوشُ الصَّبْحِ فِي الطَّلَبِ
وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تَحْسَبُهُ قَدْ مَدَّ جَسْرًا عَلَى الشَّطِّينِ مِنْ ذَهَبِ

ودجلة هي التي عنها طرفه بقوله « بدجلة مصعد » وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، عليها مَدُنٌ وَقُرَى عامرة كثيرة النخل والمزارع ، تنحدر من الشمال متجهة إلى جهة الجنوب ، وكذلك نهر الفُرَات على هذا الاتجاه ، ودجلة : موضع آخر في ديار العرب بالبادية ، وهو قسم من

(١) الأتلع : الشرف ، وأراد عنقه الطويل ، والسكان - بضم السين - وتشديد الكاف - ذنب السفينة الذي تقوم وتسكن به (هو المسمى اليوم في لسان ملاحى مصر : الدفة) والبوصى : السفينة فارسي معرب ، ويروى « كسكان نوتى » والنوتى : الملاح . (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١ .

الرُّمَّة ، قال يزيد بن الطُّمَثَرِيَّة :

خَلا التَّيْبُضُ مِنْ حَلَّةٍ فَالْحَائِلُ فِدْجَلَةٌ ذُو الْأَرْضِ قَمَرُنُ الْهُوَامِلِ
وَقَدْ كَانَ مَحْتَلًا فِي الْعَيْشِ غَرَّةً لِأَسْمَاءٍ مَفْضَى ذُو سَلِيلٍ وَعَاقِلِ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا ذَاكَ قَفْرًا وَمَا مَحَتْ لَكَ الْفَنَسُ فَانْظُرْ مَا الَّذِي أَنْتَ فَاعِلِ
هذه الشواهد على دجلة التي في البادية ، وعليها شواهد كثيرة ، وهي واقعة قريب الرُّمَّة ، كانت تعرف بهذا الاسم في الزمن القديم ، وقد انقطع ذكر هذا الاسم اليوم .

* * *

٤ - وقال طرفة يصف أذن راحلته :

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلشَّرَى لِهَجْسِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنَدِّدٍ
مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتَقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفَرِّدٍ
حومل : قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس لما قرّنه بالدخول ، وهو قريب من ماء الدخول كما ذكرنا في كلامنا على معلقة امرئ القيس في تحديده^(١) . وحومل : قد أطال أهل المعاجم عليه ، واختلفوا في تحديده ، فحدّثه فيما مضى تحديدا شافيا مصيبا عن علم و يقين .

* * *

٥ - وقال طرفة :

وُظِلُّ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاصَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُتَهَنِّدِ
فَذَرْنِي وَخَلِّتِي ؛ إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ يَنْتِي نَائِيًا عِنْدَ ضَرَّغَدِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ
أما « ضرغد » فأنا أعرفه يقينا ، يقال له اليوم « ضرغط » أبدلوا داله طاء ، به قصر ومزارع ، واقع في جبال حرة سوداء منيعة ، يلتجئ إليها المجرم ، يقع بين قرية المستجدة الواقعة جنوبي جبل رمان ، وشرقي بلد الحائط التي كانت تسمى في الزمن القديم « فذك » ، وحرّة ضرغد : تقع غربيه ، وهي منهل ترده الأعراب ، وبه قصر ، فإذا أغير على أهله دخلوا في تلك الحرة فسلبوا ، وهي حرة عظيمة سوداء منيعة ، تسمى العامة اليوم « لآبة ضرغط » وهو الذي ذكره طرفة في معلقته ، لم يتغير من اسمه شيء إلا هذا الإبدال الذي أشرنا إليه ، وموقعه بين بلاد بني أسد و بلاد غطفان ، وقد وردته ، قال^(٢) عامر بن الطفيل العامري :

وَلَقَدْ آنَسَ أَسْمَاءُ - وَهِيَ خَاصِيَةٌ -
 نَصَحَاءُهَا : أَطْرَدْتُ أُمَّ لَمْ أُطْرَدِ
 قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خَيْلَهُ
 فَلَا بُغْيَيْنَاكُمْ قَنَا وَعَوَارِضًا
 بِالْخَيْلِ تَعْتَرِ بِالْقَصِيدِ كَأَنَّهَا
 وَلَا تَأْرَنَ بِمَالِكَ ، وَبِمَالِكَ
 وَقَتِيلٍ مَرَّةً أَثَارَتْ فَإِنَّهُ
 يَا سَلَمُ أَخْتِ بَنِي فَرْزَةَ ، إِنِّي
 وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا
 وَأَخِي الْمُرَوَاتِ الَّذِي لَمْ يَسْنَدْ^(١)
 فَرَعَ ، وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يَقْصِدْ
 فَإِنَّ ، وَإِنْ الْمَرْءَ غَيْرَ مُحَمَّدٍ^(٢)
 سَمَرًا وَأَوْقَدُهَا إِذَا لَمْ تُوقَدِ

انتهت معلقة هذا الشاعر الفحل ، وهي من أطول المعلقات ، ولكن لم يرد فيها من ذكر
 البقاع إلا القليل ، وهو الذي أوردناه في كتابنا هذا ، وطرفة من أقدم شعراء المعلقات ، وقد اختلفوا
 في عمره ؛ فمنهم من قال : إنه هلك وعمره عشرون سنة^(٣) ، ومنهم من قال : إنه عاش ستاً وعشرين
 سنة^(٤) ، وذكروا عنه نباهةً وحدةً ذهنٍ في صغره ، قالوا : إنه كان في نادي قومه وهو ابنُ عشر
 سنين وخاله المتلمس الشاعر يُلقِي قصيدةً ، فلما بلغ قوله :

وَقَدْ أَنْفَيْتِ الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ عَلَيْهِمْ

فقال طرفة : اسْتَنْوَقَ الْجَلُّ يَا خَالَ ، فقال المتلمس : ادْنُ مِنِّي ، فلما قرب منه مَسَحَ قَهَ رَأْسِهِ
 وَقَالَ : وَيْلَ لِهَذِهِ مِنْ تَلَكَّ^(٥) .

* * *

اتهى ذكر الأماكن الواردة في معلقة

طرفة بن العبد البكري

(١) في معجم ياقوت (٥ / ٥٣٠) « وأخي الموروات » وما أحسبه إلا محرفاً عما ذكرت

(١) في المعجم « إِنِّي غَانُ » وما بعده من عجز البيت يؤيد صحة ما أثبتناه

(٣) والأدباء يسمون طرفة « ابن العشرين » وانظر المزهري (١ / ٢٤٣) والشريشي (١ / ١٩١)
 والحزائنة (١ / ٤١٦)

(٤) وأخته لأمه ، وهي الحرنق بنت بدر بن هفان تقول في رثائه :

عَدَدْنَا لَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخَمًا

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا اسْتَمْتُمْ تَمَامُهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَايِدًا وَلَا قِمًا
 وَلَا شَكَّ أَنَّ أَخْتَهُ أَعْرَفَ بَسْنَهُ .

(٥) يريد ويل لرأسك من لسانك

٤ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ

لبيد بن ربيعة العامري

ذكروا أنه بلغ من العمر ١٥٧ سنة ، وهو أكثر أهل الملقات في مملقته ذكرًا لمواضع البلاد العربية ، وهذا مطلع قصيدته المعلقة :

١ - عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَتَقَامُهَا بِمَنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا
فَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرَى رَسْمِهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيُ سِلَامُهَا

ذكر لبيد أربعة مواضع في هذين البيتين : منى ، وغول ، والرجام ، والريان ، وكلها متقاربة لا يكون بين واحد منها وآخر أكثر من مسافة نصف يوم .

فأما منى التى ذكرها لبيد فعلى هضبة حراء واقعة بين طخفة ونفى ، فيها ماء عذب ، وهى تسمى اليوم عند عامة أهل نجد « منية » لا تزال تذكر بهذا الاسم ، وكثير من الناس قد ظن - غالطاً - أن منى فى هذا البيت الموضع الواقع قريب مكة ، وقد أكثر الشعراء فى ذكر منى على اختلاف مقصودهم ، قال كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح
وجدت بها وجد المضل ركابه بمكة والركبان غار ورائح

وهذا الشاعر الخزاعى إنما عنى بمنى البلد الذى يجتمع فيه الناس أيام الحج ، وقال العرجى :

نَلَبْتُ حَوْلًا كُلَّهُ كَامِلًا لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهِجٍ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ ، وَمَا ذَا مِنَى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ

وهذا الشاعر القرشى أراد منى الذى أراده كثير ، وأما منى الذى ذكره لبيد فهو الذى ذكره شاعر من بنى عامر حين قال :

أَتَيْتُهُمْ مُقَلَّةً إِنْسَانُهَا غَرِقَ كَالْفَصِّ فِي رَقَرٍ بِالْذَمِّ مَغْمُورٍ
حَتَّى تَوَارَوْا بِشَمَفٍ وَالْجَمَالَ بِهِمْ عَنْ هَضْبِ غَوْلٍ وَعَنْ جَنْبِ مَنَى زُورٍ

والشواهد كثيرة فى ذكر منى الواقعة فى عالية نجد الشمالية .

وأما غول فقد مضى الكلام عليه فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، يقع من منى تحت مطلع سهيل ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، ذكروا أنه كان فى

غول

الجاهلية عامرا به نخيل وعيون ، فأما في هذا العهد ففيه نخيل حديثة شارعة في الماء ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب لضبة على بنى كلاب ، قال أوس بن غلفاء :
وقد قالت أمانة يوم غولٍ تقطع يابن غلفاء الجبال

وقال أعرابي من أهل تلك الفاجية :

ألا ليت شعري هلْ تَغَيَّرَ بعدنا معارفُ ما بين اللوى فأبانٍ

وهل برح الريانُ بعددي مكانه غول ، ومن يبق على الحدثان ؟
إذا كنت متجها إلى جهة الشرق وأنت في غول ، فإذا التفت عن يمينك رأيت الكباش والبكرات ، كلها جبال ، أما الكباشات فهي سود ، والبكرات حمراء ، وهي من حدود حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في شرق الحمى ، ثم اتسع الحمى في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ودخل فيه غول وطخفة والريان ومنى المذكورة ونفى ، وهو حده الشرق قف ؛ وإذا التفت على شمالك رأيت طخفة تبعد منك مسافة أقل من ساعتين ، وهو جبل أحمر له رهوس شاهقة ، وبه يوم من أيام العرب عظيم ، وكان السبب فيه أن رداقة النعمان بن المنذر كانت في بني يربوع ، فطلب حاجب بن زُرارة من النعمان أن يجعلها في بني مجاشع ، فهم النعمان بذلك ، فأبى عليه بنو يربوع ، فقال له حاجب بن زُرارة : أبعث إليهم جيشا ، فإنهم لن يصبروا له ، فبعث إليهم جيشا برأسة ابنه قابوس ، ومعه حسان بن المنذر على المقدمة ، فأتوا بني يربوع في طخفة وقد نُذِرُوا بهم ، فالتقوا ، وكانت معركة عظيمة ، فضرب طارق بن عميرة اليربوعي فرسا قابوس بن النعمان وأخذه ليَجْزُ ناصيته ، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجْزُ نواصيها ، فقال : نعم عليك ونعمتك إلى أهلك ، فنّ عليه وبعثه إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر بن عمرو الرياحي ثم منّ عليه وأرسله ، فقال مالك بن نويرة اليربوعي في ذلك :

ونحن عَقَرْنَا مهر قابوسَ بعد ما رأى القوم منه والخيل تلهب

عليه دِلَاصٌ ذاتُ نسجٍ وسيفه جراز من الهندي أبيض مقضب

طلبنا بها إنا مداريك قبلها إذا طلب الشاء البعيد المقرب

وقال جرير يعنى هذا اليوم :

بطخفة جالِدْنَا الملوكة وخيلنا جرير ببطام بن قيس على نحب

وهذا الجبل - أعنى طخفة - مشؤم ، كثيرة فيه المعارك ، وتلقى إليه اللصوص إذا أجمرت ، وأنا أعرف في أوائل القرن الرابع عشر رجلا يقال له « عمير البراق » نزل في أعلاها في موضع

منيع ، ومعه زوجته وابنان له : الكبير يقال له « غشام » قد حل البندقية وأتقن الرمي ، والثاني يقال له « زين » صغير السن في ذلك الوقت ، وابنة له ، وكان إذا طلع عليه الصبح تجهز هو وابنه غشام وأخذوا بندقيتهما وذهبا يلتمسان الرزق ، وكانت تلك السنة مجدية ، فسكانا إذا وجدا بعيداً أخذاه ، وإن وجدا غنياً أو بقرا ساقاه إلى تلك الهضبة ، وشكا الناس أفعالهم وكان فيما شكوه منهم أنهم أكلوا الآدميين ، فقد صبح أنهم أكلوا أربعة ثلاثة رجال وامرأة ، فلما تم القضاء والقدر عليهما ذهبا كما كانا يذهبان ، فاستاقا بقر أهل مسكة القرية الواقعة في الحى في القرب من ضرية تبعد عنها مسافة أقل من يوم شمالى ضرية ، فخرج أهل تلك القرية يطلبون البقر ، فاقترضوا آثارها ، حتى وجدوا الآثار تلج في طخفة ، فعلموا أن الذى أخذها عمير وابنه غشام ، وهم يعلمون طرق تلك الهضبة الشاخنة في السماء ، فوَجَّهُوا الطريق ليلاً ، وأخذوا عليهم المسالك المؤدية إلى محلهم فقبل بزوغ الشمس أحس بهم عمير ، فأخذ بندقيته ، فلما علموا أنه علم بهم ثارت البنادق بين الطرفين فقتل عمير في حينه ، وقتل ابنه غشام رجلاً من أهل مسكة يقال له الهاجرى ، فأسر أهل مسكة غشام بن عمير ، وذهبوا به إلى بلادهم ، فقال مشاري الهاجرى أخو الرجل المقتول : إن الذى قتل أخى هو غشام ، وأسر في نفسه أن يقتله من غير أن يستأمر قومه ، فلما جن عليه الليل قتل غشاما ، فثار رجال القرية فقالوا : تقتل رجلاً أسيراً بين أيدينا ، قال : قتلت قاتل أخى ، وأما عمير فسوقوا ديتته ، فأنتهى بهم الأمر على أن ساقوا دية عمير ، فدفعوها لابنه الصغير وقبيلته .

وفى تلك الهضبة جرت معارك كثيرة في الإسلام ، فالأكثر من المواضع التى نمر عليها فى كتابنا هذا إذا وجدنا موضعاً فيه يوم من أيام العرب فى الجاهلية وجدنا به يوماً فى الإسلام فى الموضع نفسه .

الرجام

وأما الرجام فهى واقعة بين غول ومنى وطخفة ، وهى هضبات صفار على رؤوسها حجارة متصل بعضها ببعض ، وفيها أبارق ، وهى بين السواد والحجرة ، ولا تزال باقية بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، فقد وقع فى اسمها تغيير حيث أبدلوا الراء لاما فسميت اللجام ، وسأت شيعنا من أهل تلك الناحية فقلت : إن هذه الهضبات الصفار كانت تسمى فى الجاهلية الرجام وذلك لأنها فيما يرى الناظر رجوم مبنية فى رؤوس الهضاب ، وهى تسمى الآن « اللجام » فما السبب ؟ قال : إن هذا صحيح فإن مشايخنا يعرفون أنها الرجام ، ولكن فى هذا العهد جاء رجل منا وقال : من سعى هذه الهضاب الرجام فقد أخطأ ، لو أنه سماها اللجام ، فقد سدت الطريق النافذ بين طخفة وغول كما يسد اللجام فم الفرس ، فتغلب هذا الاسم ، وبقي إلى هذا العهد ، وفى هذا الموضع نزل

جيش لأبي بكر أيام الردة قاصدا عمان ، وشربوا من ماء غول ، وبه يوم من أيام العرب في الجاهلية ، وبه يوم بين حرب وعتيبة في القرن الرابع عشر قريب النصف منه ، وفيه انهزم العتبان ، قال شاعر من بني عامر :

وطخفة ذلت والرجام تواضعت وأدعقن حتى مالهن جنان
أدعقن^(١) : وطئن قال الضبائي عن الأصمعي :

وغول والرجام وكان قلبي يحب الراكزين إلى الرجام
وقال الراجز :

كأن فوق المتن من سَنَامِهَا عَنَقَاءُ من طخفة أو رجامها
* مشرفة النيق على أعلامها *

النيق : هي أعلى الشواحق من الجبال ، وقد عرفت أن هذا الموضع يسمى في هذا العهد للرجام .
أما الريان : فهو وادٍ بين طخفة وغول ، يتجه إلى جهة الشرق جاعلا الرجام على شماله حتى يصب في وادي الرماذية ، وهذا الوادي غير وادي الرماذية الواقع في طريق السيارات بين وادي طينان ووادي الرشا .

ووادي الريان معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير منه حرف واحد ، أما الأودية^(٢) المسماة بهذا الاسم فهي كثيرة : منها وادٍ يصب من جبل شعلان ويجتمع بوادي الشعراء ، وهو الذي قال فيه جرير :

يَا حَبْدًا جِبَلُ الرِّيَانِ مِنْ جِبَلٍ وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَانِ مَنْ كَانَا
وَحَبْدًا نَفَحَاتٍ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَانِ أَحْيَانَا

ووادي الريان أيضا : يصب من جبل قريب معدن بنى سليم ، كان الرشيد ينزله إذا حج ، وبه قصور ، وقال الشريف الرضي في ذلك :

أَيَا جِبَلِ الرِّيَانِ إِنْ تَعَرَّ مِنْهُمْ فإني سأكسوك الدموعَ الجواريا
وَيَا قُرْبَ مَا أَنْكَرْتُمْ الْعَهْدَ بَيْنَنَا نَسِيتُمْ فَمَا اسْتَدْعَيْتُمُ السَّرَّ نَاسِيَا
فَيَا لَيْتَنِي لَمْ أَعْلُ نَشْرًا إِلَيْكُمْ حَرَامَا ، وَلَمْ أَهْبِطَ مِنَ الْأَرْضِ وَادِيَا

والريان : اسم لأطهر من آطام المدينة ، وهو الذي قال فيه شاعر مدني :

(١) اختلف علماء اللغة في « أدعقن » فقال الأصمعي : لا يقال أدعقن - بالهمز - وإنما يقال دعقن - بغير همز ، وقال غيره : دعقن وأدعقن ، لغتان . (٢) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٦

لعل ضرارا أن يعيش يبارهُ وتسمع بالريان تبني مشاربهُ
وهناك وادٍ بالقرب من ضَرِيَّة في نفس الحِمَى يقال له الريان ، وهو الذي عنته الشاعرة بقولها:
أَلَا قَاتَلَ اللهُ الأَولَى من محلة وقَاتَلَ دُنْيَانَا بها كيف وَلَّتْ
غَنِيْمَتَا زَمَانَا بِالْحِمَى ثم أصبحت بُرَاقَ الحِمَى من أهله قد تَخَلَّتْ
أَلَا مَالِيعِي لَا تَرَى قُلَّ الحِمَى وَلَا جَبَلَ الرِيَانِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ
وأما الذي عناه لبيد فهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد بين طعفة وغول ومنية ، وهو الذي
قال فيه الراجز :

خَلِيَّةُ أَلْوَانِهَا كَالطَّيْقَانِ أَحْمَى لَهَا الْمَلَكُ جَنُوبَ الرِيَانِ
وَكَبْشَاتُ الْجَنُوبِ بِي أَنْسَانَ
وكبشات : قريب هذا الوادي المذكور .

• * •

٢ — وقال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَايِيعَ النُّجُومِ وَصَابِيَا
مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِزْزَامُهَا
فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهَقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجُلْمَتَيْنِ ظُبَاؤُهَا وَنَمَامُهَا
الأيهقان : نوع من النبات ، وقد غلط من قال : إنه موضع ^(١).

الجلمتان

الجلمتان : جنبت كل وادٍ يقال لها : جلمتان ، وما ارتفع من الأرض ارتفاعاً ليس بالسكبير
يقال له : جلمة ، ولا أعلم موضعاً يقال له الجلمتان ، قال في معجم ^(٢) البلدان : إن أبا زياد الكلبي
قال : الجلمتان مكانان بالحِمَى حي ضرية ، وأورد بيت لبيد شاهداً ، وأنا لأعرف موضعاً في حي
ضرية يقال له : الجلمتان ، والذي أعرفه بما يقرب من هذا الاسم موضع يقال له « الجلوه » معروف
بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، ولا يزال إلى هذا العهد يعرف بالجلوه ، واقع بين نفود السر ونفود
قنيفذة ، إذا خرج السالك على طريق السيارات من مكة إلى الرياض من نفود السر . فهو على

(١) ومما يؤيد أن « الأيهقان » نبت كما قلنا أنه يروى « فاعتم نور الأيهقان » واعتم : ارتفع
والنور - بفتح النون وسكون الواو - النوار ، و « فروع الأيهقان » في روايتنا يروى مرفوعاً
ويروى منصوباً على معنى علا السبل فروع الأيهقان ، والرفع أجود ، ومعناه ارتفعت فروع
الأيهقان وطالت . (٢) انظر المعجم ٣ / ١٣٠ .

يمينه ، حتى يميز كتيب قنيفذة ، حدوده الجنوبية ماء الأنجل ، وهو ماء كثير بين أكتبة مرتسكة ، مأوّه مر ، واسمه في الجاهلية النجيلة ، قال في معجم^(١) البلدان : إن النجيلة وادٍ بين اليمامة وحى ضرية ، وهذا واقع بين اليمامة وحى ضرية ، ولكنه تحديد بعيد الأطراف ، وبلى ماء الأنجل في جهة الجلوّه الجنوبية جبيل صغير يقال له المضباعة يعرفه جميع أهل نجد ، ولها ذكر في كلام العرب ، قال الشاعر :

فالجزع بين ضباعة فرصافة فعوارض جو البساس مفرقا
ومياهه الجنوبية : داقان ، وسديرة ، ماء قديمة جاهلية ، وهى لبني قشير في الزمن القديم ، قال شاعر منهم :

تسألننى كم ذا كسبت ولم أكـد بنفسى من يوم السديرة أفليت
والمياه الواقعة في حدوده الغربية : حلوان ، والطويلة ، والعجري ، أما حلوان : فله ذكر في أشعار العرب غير أنه غلب عليه ذكر حلوان العراق ، فاضمحل ذكر هذا .
ومياه الجلوّه الشرقية : تبارك ، وهو ماء قديم جاهلى ، موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذي ذكره جرير في شعره حين قال^(٢) :

إذا جلست نساء بنى تميمٍ على تبارك خبئن التراب^(٣)
وهو الذى قال فيه ابن مقبل :

جزى الله كعبا بالأبائر نعمة وحيا بهيود جزى الله أسعدا
وحيا على تبارك لم أر مثلهم رجأ قطعت منه الحبال مفردا
بكيت بمُحْصَمَى شَنَّةٍ يوم فارقوا على ظهر عجاج العشيّات أجردا
وهو الذى قال فيه أبو كدراء رزين بن ظالم العجلي :
أرى الله نَجْمَانِي وَصَدَّقَ بعدما خشيت على تبارك أن لا أصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لاغب سُرَى طيلسان الليل حتى تمزقا
وقال شاعر من بنى تميم :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبارك فَشَى عَبَقَرٍ
والأبائر التى ذكرها ابن مقبل : أكتبة واقعة شمالي قنيفذة على مسافة أقل من نصف يوم يقال لها البتر إلى هذا العهد وبلى تبارك ماء حديثة يقال لها « مشاش الرخان » .

ومياه الجلوّه الشمالية كلها قديمة قد دَرَسَتْ ، ولكن عُثِرَ عليها فُبِعِثَتْ في صدر القرن
(١) انظر المعجم ٨ / ٢٧٠ . (٢) معجم البلدان ٢ / ٣٦٠ . (٣) في المعجم « نساء بنى عمير »

الرابع عشر، فإذا هي آبارٌ منحوتة في الصفا طولها من ثلاثين باعا إلى خسة وعشرين باعا كأنها من النحات العادية، ماؤها عذب، وحدها الجنوبي بئر يقال له « سامودة » ويلها بئر يقال لها « البديعة » وحدودها الشمالية آبار كثيرة يقال لها « البعائث » واقعة في روضة كبيرة، وهذه الآبار حماها صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لخليه، وهي الآن معروفة في تلك الناحية باسم « الحى » وجميع الجلوة التي ذكرنا واقعة بين كتيب السرو وكتيب قنيفذة، إذا خرجت من نفود السرفاصدا مرآة ففى على يمينك، فإذا قطعت قنيفذة خلفتها، ومعظمها جنوبى طرف قنيفذة الشمالى .

* * *

٣ — وقال لبيد :

شَاقَتْكَ ظُفْنُ الْحَى حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكْنَسُوا قُطْنًا تَصِرُ خِيَامُهَا
زُجَلًا كَأَنَّ نِجَاجَ تَوْضِيحَ فَوْقَهَا وَظَبَاءَ وَجَرَةٍ عُطْفًا آرَامُهَا
حُفِرَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ يَبْشَةٍ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا
توضح : قد مضى الكلام عليها في معلقة ^(١) امرئ القيس .

وَوَجَرَةٍ : قد مضى الكلام عليها في أشعار ^(٢) امرئ القيس في كتابنا هذا .

أما ييشة : فقد ذكرناها في مواضع كثيرة من كتابنا هذا عند ذكر تبالة، وهى واد عظيم كثير النخل والزروع والسكروم يصب من الحجاز متجها إلى جهة الشرق، به مأسدة لها ذكر في أشعار العرب ؛ وكان يسكنها في الجاهلية من العرب : خشم، وهلال، وسواء بن عامر بن صمصة، وسلول، وعقيل، والضباب، وقريش، وفي هذا العهد يقيم فيها قبيلتان، وهما : بنو سلول، وبنو معاوية، ولها فيها مدينتان : مدينة بنى سلول يقال لها : الروشن، ومدينة بنى معاوية يقال لها : نمران، وقرأها كثيرة، وبها سوق عظيمة يجتمعون فيها في آخر يوم الأربعاء، ثم يتدنون صباح يوم الخميس ويستمرون إلى منتهى ذلك اليوم، وهذا الموضع باقى إلى هذا العهد، ووادى ييشة يُقَارِعُ وادى ييش، فوادى ييش يصب في تهامة مغربا، ووادى ييشة مشرقا، وأعراب أهل تلك الناحية يسألون الرعاة : أين رعيتم ؟ فيقولون : ضحينا في وادى بَيْشْ، وعشبنا في وادى ييشة، تجتمع سيولها أعنى ييشة بسيل وادى رنية، وتنتهى في موضع يقال له « رغو » غربى الهضب، وقد أكثر الشعراء من ذكر ييشة بَلَّةَ لبيد، قال السمرى :

(١) انظر ص ١٧ من هذا الجزء (٢) انظر ص ٢٠

بيشة

وَأُنِشَتْ لَيْلَى بِالْفَرَيْنِ سَلَمَتْ عَلَى وَدُونِي طُخْفَةً وَرَجَامُهَا
فَإِنَّ الَّتِي أَهْدَتْ عَلَى نَائِي دَارَهَا سَلَامًا لَمَرْدُودٍ عَلَيْهَا سَلَامُهَا
عَدِيدُ الْحَصَى وَالْأَثَلُ مِنْ بَطْنِ بَيْشَةَ وَطَرَفَاتُهَا مَادَامَ فِيهَا حَمَامُهَا
وهي من أكبر أودية الحجاز الجنوبية ، ويجاورها من الجهة الشمالية : وادي تَبَالَةَ ، ثم
وادي رنية ، ثم وادي تربة ، كل هذه الأودية عظام واقعة بين الحجاز واليمن ، ويلبها من الجهة
الجنوبية مقاطعة « أها » وما حولها ، وهي مساكن أزد السَّرَّاءِ في الجاهلية ، وبقايا عسير اليوم
من بقايا الأزد ، وجميع الجهات اليمنية لها أسواق معروفة ، كل مقاطعة تنتقل من مكان إلى مكان
وهذه الأسواق تبتدىء بالسبت وتنتهى بالجمعة ، وفي كل يوم سوق في جهة من تلك المقاطعة للتجارة
والبيع والشراء ، فإن مرّ موضع من تلك المواضع في شعر وضّحنا جهته وسكانه ، فإن من شروط
كتابتنا ألا نذكر من المواضع إلا ماورد ذكره في شعر ، فلولا ذكر بيشة في شعر لبيد لما ذكرنا
شيئاً من ذلك ، وبيشة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَارِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا
وقد غلط أناس كثير في هذا البيت في الشطر الأخير منه ، والصحيح روايته هكذا ^(١) :

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْجِبَالِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمَحَجَّرٍ فَتَصَمَّمَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا
فَصُؤَانِيٌّ إِنْ أَيْمَنْتَ فَمِظَنَةٌ مِنْهَا وَخَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْحَامُهَا

الجبال : أراد بها جبال طيء ، والمشهور منها أجأ وسلمى ، وقد مضى ذكرهما .

وأما فَيْدٌ : فقد مضى ذكره في شعر زهير ^(٢) ، وهو واقع بمشارق جبلى طيء أجأ وسلمى ،

وقد تحررنا تحديده في شرح قول زهير :

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا : إِنْ مَشَرَبَكُمْ مَاءٌ بِشَرْقٍ سَلَى فَيْدٌ أَوْ رَكَكْتُ

وأما محجر : فهو موضع مشهور ، وقد تقدم الكلام عليه في أشعار امرئ القيس ^(٣) ، وأشعار

محجر

(١) ذكر التبريزي في شرح المعلقات — بعد أن روى البيت بالرواية الأولى — أنه يروى على

ما ذكرنا أنه الصواب (٢) انظر ص ١٢٧ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء

(٢٣ — صحيح الأخبار ١)

زهير ، وهو واقع بين شُعْبَي وعريق الدم ، تنحجر فيه سيول شعبي ، ويسمى اليوم « الحجرة » هذا هو المعروف عند عامة أهل نجد .

وأما فردة التي عنها لبيد فهي باقية على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وأنا أعرف بهذا الاسم ثلاثة جبال صغار ، كل واحد منها يسمى فردة ، وهي باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما أحدها فواقع في بلاد طى منفرد من الجبلين أجاً وسلمى ، ويروى أن زيد الخيل لما قفل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ووصلها أخذته الحى ، فأقام ثلاثة أيام ، عند حى من جرم ، فلما أحس بالموت قال :

أُمَطِّلِمْ صَحْبِي المِشَارِقَ غَدَوَةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ
سَقَى اللَّهُ مَا بَيْنَ الْقَفِيلِ فَطَايَةً فَمَا دُونَ أَرْمَامٍ فَمَا فَوْقَ مُنْشِدٍ
هَنَّاكَ إِنِّي لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مِنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهُنَّ يُجْهِدُ
فَلَيْتَ اللَّوَاتِي عُدُنَنِي لَمْ يَمُدَّنِي وَلَيْتَ اللَّوَاتِي غَيْنَ عَنِّي عُودِي

والمشارك التي ذكرها زيد الخيل هي مشارق الجبلين التي ذكرها لبيد .

وفردة الثانية مما أعرفه هي التي عنها لبيد ، وهي واقعة على ضفة الجريب الجنوبية الشرقية في معراجة إلى جهة الرمة تاركا جبال المضيق على يمينه ، فإذا أنت قطعت جبال المضيق فانظر فردة فهي هضبة حمراء شاهقة إلى السماء عن يمين الجريب ، وسميت فردة لانفرادها من جبال المضيق ، وهي التي عنها الراعى بقوله :

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينِ وَالرَّيْحِ قُرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالْحَا
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقَدَّ أَهْلَهَا وَقَدْ يَكْرُمُ الْأَضْيَافَ وَالْقَدَّ يَشْتَوِي

وفردة الثالثة : هضبة صغيرة بين جبلي ذقانين ، وهي في عالية نجد الجنوبية .

وفردة التي مرَّ ذكرها ، والتي عنها لبيد ، واقعة في عالية نجد الشمالية ، وفردة الأولى : واقعة بالقرب من جبلى طيى ، هذا الذى أعلمه بهذا الاسم في نجد .

وأما تهامة : ففيها جبال كثيرة بهذا الاسم ذكرت في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ولها ذكر في أشعار شعراء تهامة .

ثم إنى بعد أن انتهيت من ذكر فردة وتحديد أماكن ثلاثة أجبل يسمى كل واحد منها فردة عثرت على جبلين آخرين يسمى كل واحد منهما فردة ؛ الأول : جبل منقطع من جبلة المعروفة في عالية نجد يقال له « فردة جبلة » الثانى : جبل منقطع من جبل اليمامة مما يلي الأفلاج قريب

فردة

تهامة

« الجوبفا » الطريق السالك إلى وادى الحرثم السالك إلى الأفلاج ، ويقال له « فردة الجوبفا » وأما الجبال التي يقال لها « الفريدة » فهي كثيرة في عالية نجد : منها فريدة دمع ، وهو الجبل المشهور الذي قد مر ذكره في أشعار امرئ القيس عند ذكر غرور ، ومنها فريدة شعر ، وهي التي إذا توجهت من غفيف قاصداً الرياض ، وسرت ربع ساعة على ظهر سيارة ، ثم انعرج بك طريق القصيم فإنك تجد شعرا على شمالك ، يمر به ذلك الطريق ، وهو جبل أسود به ماء يقال لها « الأشعرية » تقف السيارات عندها أو قريبا منها ، وهذه الفريدة هي التي ذكرها فيحان ابن ثمر الرقاص من الروقة في قصيدة له نبطية ، وقد أغار جلالة الملك عبد العزيز على الخفافة الذين منهم هذا الشاعر وأخذ إبلهم وهم قاطنون على « سجا » الماء المعروف في عالية نجد ، وكسرت رجل ذلك الشاعر عند إبله وحمل إلى بلد الشعرا ، وبقي بها ينتظر براه ، فنذكر أهله وأوطان قومه ، فقال قصيدة نبطية مشهورة منها :

ترحلوا من ديرة المذ والصابغ دار بخيله مير أهلها مشاكيل
تقلن الصبح وألقى قد راع والعصرم الخنفسية محاليل
عدوا فريدة شعر حيث أنه أسناع وإن كان ما شغفوا فد واد رايل

ومنها فريدة الانكير ، وفريدة بحيرة ، وفريدة أبو دخن ، ولكن هذين الموضعين يفردان ويجمعان فيقال : فرايد ، وفريدة أبو دخن ، وفريدة بحيرة . قال رجل من أهل القويمية ، وقد حل في بلد الشعراء مريضا ، ولم يكن يحب أن يموت في بلد الشعراء ويقبر فيها ، وإنما كان يحب أن يموت في بلد القويمية ويقبر بها :

إن مت مروا بى فرايد بحيره وتنحروا بى دار وضاح الأنياپ
ثم اقبرونى فى منازل منيره شرق عن البركة وغرب عن الباب

وفي الحمادة جبل يقال له « الفريدة » بين بلد القصب وبلد الحريق ، بين نفود الوشم وجبل طويق شمالى اليمامة ، وهناك جبل منقطع من جبل الأكموم يقال له « الفريدة ، فريدة الأكموم » وقد قال مصنف هذا الكتاب قصيدة نبطية لما استعاضت العرب ركوب السيارات من ركوب الإبل ، قال فيها :

أثر ركب البكس فى الدار البعيدة عندى أحسن من ركوب الموجفات
إلى أن قال :

ينشرون الصبح من خشم الفريدة حقت الأكموم والمسى مرات

ورخام : جبل أحمر ، وكان أعلاه مطلى برخام ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقع فى رخام

بلاد غطفان في جهة أبلى الشمالية الشرقية ، على ضفة وادٍ يقال له « الركو » وهذا الوادى يتجه سبله مُعَرَّبًا حتى يصب في الشبة ، وسيلُ الشبة يتجه إلى عقبى المدينة فيصب فيه ، ثم تتجه سيول تلك الأودية وتصب في وادى الحمض حتى تصب في البحر الغربى ، إذا كنت في طرف كشب الشمالى الشرقى منه فانظر جبل رخام هنالك بطلع عايه القطب الشمالى ، وجميع الجبال المحيطة به سود إلا جبل رخام فإن أعلاه أبيض يقع غربى هضبة « شَرَوْرَى » الذى يسميه الناس اليوم « هضبة الشرار » والذى يقع بين جبل كشب وأبلى وحره بنى عبد الله بن غطفان التي في شرقها صفيينة والسورقية القرى المعروفة بهذه الأسماء في عهدنا هذا ، وأغلب أسمائها جاهلى ، ورخام : يُعَدُّ من الجبال الواقعة في أعلى بلاد غطفان ، وهو - كما قلنا - لا يزال باقيا بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا .

صوائق

وصوائق : جبال حجازية واقعة بين بلاد هذيل وبلاد بنى سليم وبلاد الرؤفة ، تقع شمالى وادى نخلة الشامية ، وقد يُظَنُّ أن صوائق التي حددناها غير التي عناها ابيد ، وذلك لأن لبيدا يقول
فصوائق إن أيممت فظنة منها وحاف القمر أو طلخامها
والمعروف أن وحاف القمر واقع في اليمن ، وصوائق التي حددناها حجازية باقية إلى اليوم على هذا الاسم تعرف به ، ولسكن ياقوتا الرومى يذكر في معجم البلدان ^(١) عن أبى زياد : أن القمر في أسافل الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف . وقد أكثر الشعراء من ذكر صوائق هذه ، وهذا لبيد يقول في قصيدة أخرى :

أقوى فمرى واسط فبرام من أهله فصوائق فخرام

وصوائق في هذا البيت هى صوائق الحجازية بغير شك ، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكرها قال أبو جندب الهذلى :

وقد عصبت أهل العرج منهم بأهل صوائق إذ عصبوني

ويقع كثيرا في أشعار العرب أن أحدهم إذا ذكر صوائق ذكر معها برام ، وبرام جبل به مياه مشهور بهذا الاسم عند أهل المدينة وباديتهم ، يقع قريب النقيع ، ذكروا أنه جنوبى المدينة على مسافة عشرين فرسحا ، وقد ذكر الزبير بن بكار أودية العقيق ، وقال في كلامه : ثم قلعة برام ، وفيها يقول المخرق المزنى ، وهو ابن أخت مَعْن بن أوس المزنى المشهور ^(٢) :

ولمى لأهوى من هوى بعض أهله براما وأجزعا بهن برام

(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ١٠١

(١) المعجم (٢ / ١٩٠)

وذكروا أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي قد أغار على هوازن وهم في وادي برام فسبى منهم سبياً ، فقصده أبو براء عامر بن مالك مَلَّاعِبُ الأُسنة ، فطلبهم منه ، فأطلقهم له وكساهم ، فقال أبو براء :

ألم ترى رحلت العيس يوماً إلى أوس بن حارثة بن لأم
إلى ضخم الدبيعة مذحجياً نَمَاهُ من جديلة خير نَامِ
وفي أسرى هوازن أدركتهم فوارس طيىء بلوى برام
تَقَرَّبَ ما استطاع أبو بجير وفكَّ القوم من قبل السلام
فما أوس بن حارثة بن لأم بغير في الحروب ولا كهَامِ

وذكروا أن عبد الله بن الزبير لما تغلب على الحجاز نفى من المدينة مَنْ كان بها من بني أمية ، وكان فيهم أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، فلحق بالشام ، فحنَّ إلى أوطانه ، فقال أشعاراً يتشوق إلى تلك الأوطان منها :

ليت شعري وأين منى ليت أكلَى المهد يَلْبَنُ فبرام ؟
أم كمهدى العقيق أم غَيْرَتْهُ بَعْدِيَ الحادثات والأيام ؟
وبقوى بدلتُ لَحْماً وعكاً وجُدَامَا ، وأين منى جُدَامُ ؟
وتبدلتُ من مساكن قوى والقصور التى بها الآطامِ
كل قصر مشيد ذى أواس يتَقَنَّى على ذَرَأُ الخَلَامِ
أفر منى السلام إن جئت قوى وقليل لهم لَدَى السَّلامِ
أقطعُ الليل كله باكتسابٍ وزفير فما أكاذُ أنام
نحو قوى إذ فرقت بيننا الدا ر وحادث عن قصدها الأحلامِ
خشية أن يصيبهم غَنَتْ الده ر وحربٌ يشيب فيها الغلامِ
ولقد حان أن يكون لهذا الـ بعد عَنَّا تباعد وانصرامُ

فبلغت هذه الأبيات وغيرها من شعره عبد الله بن الزبير فقال : حنَّ أبو قطيفة إلى وطنه ، مَنْ رآه فَلْيَبْلُغْهُ عني أنى قد أمنتُه ، فليرجع ثم رجع فمات قبل أن يبلغ المدينة .

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدى على ذكر برام وقد أجاد حين قال :

لقد أحيت ذات الروض حتى تَرَبَّعَهَا أَدَاخِيُ النعامِ
يسير بين خطم اللوذ عمرو فلوذ القارتين إلى برامِ

فصنح حَبَوْنِ فخليف صبح ففخل إلى رنين إلى بشام
وَبَرَامَ الذى قَرَنَهُ الشعراءُ بصَوَاتِقْ قد قرنوه بموضع آخر موجودة إلى هذا العهد على
أسمائها منها « خليف صبح » وقد غلط فيه كثير من أهل المعاجم بقولهم إن صبحاً موضع « أما
الخليف » المذكور فهو بخلاف على واد لقبيلة يقال لها صبح في نواحي المدينة باقية بهذا الاسم إلى
هذا العهد ، وهم بطن من حرب يقال لهم صبح ، وصبح : تفرع إلى بطون كثيرة .
وأما نخل فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على أشعار زهير ، وهو باق بهذا الاسم إلى
هذا العهد ، وقد حددنا مكانه على قول زهير .

تَرَبُّصٌ فَإِنْ تَقَوَّيَ للروراة منهم وداراتهما لا تقو منهم إذا نخل
ورنين ، و بشام : باقيان على اسميهما هذين إلى هذا العهد ، وهما واقعان جنوبى المدينة ،
وإنما أظننا في ذكر برام لأن الشعراء يذكرونه مع صوائق في مواضع كثيرة ، وصوائق التى ذكرها
لبيد في قوله :

أَقْوَى قَعْرَى واسط فبرام من أهله فصوائق لحرام
حجازية كما قلنا : برام ، وصوائق ، وحرام ، جميع تلك المواضع حجازية معروفة بهذه
الأسماء إلى هذا العهد ، كلها جبال ، صوائق بين حدود هذيل وسليم ، وحرام وبرام مما يلي المدينة
قريب وادى النقيع .

وقد تكون صوائق التى ذكرها لبيد في مائته حيث يقول :

فصوائق إن أيمنت فظنة منها وحاف القهر أو طلخامها
هى صوائق الحجاز ، إن صح كلام ياقوت الذى ذكرناه ، وقد تكون موضعاً آخر غير
صوائق الحجاز ، ولكنى لم أعتز عليه بهذا الاسم إلى هذا العهد ووجه هذا أنه قرنها بالقهر وطلخام
فأما القهر المشهور فهو معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهى جبال فى بلاد عبدة
بطن من قحطان بها معدن بارود ، وأهل نجد كلهم يعرفونه ، وشعراء بنى عامر بن صعصعة
يذكرونه ، قال مزاحم العقيلي :

القهر

أناى بقرطاس الأمير مغلس	فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا
فقلت له : لامرحبا بك مرسلأ	إلى ولا لئى أميرك داعيا
أليست جبال القهر قعسا مكانها	وعروى وأجبال الوحاف كاهيا
أخاف ذنوبى أن تُمدَّ بياه	وما قد أزل الكاشحون أمايأ
ولا أستريم عُقمة الأمر بعد ما	تورط فى يهما كعبى وساقيا

وقال خِداش بن زُهَيْر في ذكر القهر :

فيا أخوينَا من أبينا وأمنا إليكم إليكم ، لا سبيلَ إلى حِسر
دَعُوا جانبي إني سأُنزل جانبا لِسكم واسعا بين اليمامة والقهر
أبي فارس الضَّحياء عمرو بن عامر أبى الذَّم واختار الوفاء على الغدر

وربما دلَّ على أن القهر الذى ذكره لبيد واقع في بلاد قَحْطَان ، في الجهة اليمانية ، قولُ لبيد « إن أيمت » فقد جعل القهر يمانيا ، وهو واقع في بلاد قحطان والقهر معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومعدن البارود الذى بها : معروف بقوة انتزاعه من البندقية وإصابته للقريسة ، وفي ذلك يقول شاعر أعرابي في أبيات له بنطية ، وهو شاعر معروف عند عامة أهل نجد يقال له : نخلد القنّامى من قبيلة القسمة :

يالايمى بضرب على حَدِّ البَهْر يأخذ إلى حوله صوابه محيى
بشوْمن حاديه خفان وأعْشَر وملح القهر وابواردى ظريف

المشومون : نوع من البندقيات كان مستعملا في زمن ذلك الشاعر ، والخفان : نوع من السكريت الذى يخلط به البارود ، والعشر : القمح من العشر وهو الذى يصير البارود أسوداً ، والملح : هو أصل البارود .

والقهر : يقرن في أشعار العرب في كثير منها بعروى . وعروى : موضع معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد تقدم في الشواهد الذى ذكرنا على القهر بيت شعر لمزاحم العقيلي ذكر فيه القهر وعروى وهو قوله :

أليست جبال القهر قمعا مكانها وعروى وأجبال الوِحاف كما هيا

وعروى : منقطعة من عرض ابني شمام غربا قريبا منه ، وهو واد عظيم كثير المياه ، جاهلى ، استنبطه قوم من عتيبة من المقطة والنفعة يرأسهم ابن حميد المقاطي ، وهى اليوم بلد بها نخل وزرع وعليها جبل مظل على بطن هذا الوادى شاهق إلى السماء ، يقال له « عروان » يتصل به في جهته جبال صغار يقال لها « عريويات » ويشمل تلك الناحية واديها وجبالها اسمُ عروى . وهذا الاسم يطلق على تلك الناحية ، وهو اسم قديم جاهلى ، وهو باقٍ إلى هذا العهد ، وهى واقعة في بلاد بني كلاب بن عامر بن صعصعة . وقال حديث بن العوّاء النصرى ^(١) :

بِمَلْمُومَةٍ عَمِيَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا شماريخ من عروى إذا عاد صنفصفا

وقال ابن مقبل :

يادار ككبشة تلك لم تنخير بجنوب ذى بقر فحزم عصنصر
جنوب عروى فالقهاد غشيتها وَهَذَا فَمِيجَ لِي الدُمُوعُ تَذَكَّرِي

أما ذو بقر الذى ذكره ابن مقبل فهو وادٍ معروفٌ بهذا الاسم قريبَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ البِجَامَةِ فى جَهْتِهِ الشَّمَالِيَّةِ ، والقهاد التى ذكرها مع عُرُوى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد جنوبى عروى ، وبين بلد الرويضة وبلد الروضة هضبات يقال لها القهاد إلى هذا اليوم .

أما طلخام : فلا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم أو يقار به إلا موضعين : أحدهما : جبلٌ فى بلاد طى لبنى شَمَحْجَى فى الزمن القديم ، وهم بطن من طى ، يقال له « طخام » ليس به لأم ، وهو بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو غير الذى عناء لبید ، الثانى : يوجد على ضفة وادى الجرب الشمالية هضبة سوداء شاهقة إلى السماء ، ويلبها هضبة صغيرة ، وحدثنى شيخ من أعراب تلك الناحية يقال له فراج بن طويق من الحفاة ، وهذا الشيخ هو والد سويد بن طويق الرجل المعروف الذى لم يهلك إلا قريب النصف من القرن الرابع عشر ، قال : إني أعرف أن هذه الهضبة الكبيرة السوداء كان يقال لها طلخام ، والهضبة الصغيرة كان يقال لها طليخيم ، تصغير طلخام ، ثم إن القوم سموا الهضبتين معا « طخفات » عوضاً عن طلخام ، وهذه الهضبات الواقعة على ضفة الجرب الشمالية هى طلخام الذى ذكره لبید ، وهى اليوم تعرف عند عامة أهل نجد بطخفات ، وأنا لم أجد فى كتب المعاجم لطخفات ذكراً ، وهذا دليل على أن هذا الاسم كحدثنى فراج بن طويق ، ومائة الفسحة تقع جنوبى طخفات هذه على مسافة أقل من مسافة نصف يوم ، والدنائب المعروفة من الدفينة تحت مطلع القطب الشمالى ، وهى من طلخام المعروفة اليوم بطخفات تحت مظهر سميل على مسافة يوم ، وليس فى عالية نجد جبل يسمى طخفة ، وله ذكر فى كتب المعاجم ، إلا طخفة المشهورة التى بين ضربة ونفى .

طلخام

* * *

٥ — وقال لبید يصف راحلته :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَانَهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامَهَا
أَوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لِأَخْفَبِ لَاحَةٍ طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامَهَا
يَعْمَلُو بِهَا حَدَبَ الْإِكَامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوَحَامَهَا
بَاحِزَةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا قَفَرَ التَّرَاقِبِ خَوْفَهَا آرَامَهَا

الثلبوت : وادٍ يكمنه آكام سود بين قطن وجمال الموشم والحاجر ، سيل ذلك الوادى

الثلبوت

يصبُّ في الرمة ، تسكنه بنو عَبْس من غطفان ، وهو واقع بين بلاد أسد و بلاد غطفان ، قال الخطيب^(١) :

ألم تر أن ذبيانا وعَبَسَا لبغى الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجران ونحن حيُّ بنو عَمٍّ تجمعنا صلاحا
منعنا مدْفَعَ الثلبوت حتى نزلنا راصزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا

وقال مرة بن عياش بن عم معاوية بن خليل النصرى بنوح على بنى جذيمة بن نصر :

ولقد أرى الثلبوت يألف بينه حتى كأنهم أولو سلطان
ولهم بلاد طالما عُرِفَتْ لهم صحنُ الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكم أن الأجيفر قسمه شطران

انظر إلى هذه الأبيات الأخيرة فقد ذكر السبعان وذكر الأجيفر ، والأجيفر تصغير الأجر والسبعان والأجر باقياں بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموقع السبعان من الثلبوت شمالا على مسافة يومين ، والأجر من السبعان في جهته الشرقية على مسافة يوم ونصف ، والسبعان موقعه قريب سلمى الجبل الثاني من جبل طى ؛ وبلى الثلبوت موضع يقال له التلبييت ، وهما باقياں بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفهما بعض سكان قرى الجوى ، وقد أخذ هذا الاسم يذهب عند أكثر أهل نجد ، وهو كثير في أشعار العرب ، وذكره في معاجمهم .

* * *

٦ - وقال لبيد :

حَتَّى إِذَا انْحَمَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَرْكُ عَنِ الثَّرَى أَرْلَامُهَا
عَلَيْتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَايِدٍ سَبْعًا تَوَامًا كَامِلًا أَيَامُهَا

صُعَايد : موضع معروف واقع بين بلاد غطفان و بلاد بنى سليم ، من الفاصلات بين الحجاز ونجد ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال الشاعر^(٢) :

وتطربت حاجات رب قافلٍ أهواء حب في أناس مصعد
حضرُوا ظلال الأثل فوق صُعَايدٍ ورموا فرائح حمامه المتفرد

وأنا لا أعرف موضعا بهذا الاسم في هذا العهد ، وقد غلط كثير من أهل المعاجم بين صُعَايد

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢١ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٥٧ .

وصماتق فأما صمائد : فهي على ما ذكرت ، وأما صماتق : فهي موضع بنجد في ديار بني أسد كانت فيه حرب ، وموضه - على ما ذكروا - بين سميراء ورمان ، وأنا لا أعرفه .

• • •

٧ - وقال لبيد :

وَكثِيرَةٌ غُرَبَاؤُهَا تَجْهُولَةٌ تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا
غُلْبٌ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدْيِ رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا
أُنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُوتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَى كِرَامِهَا

ذكره البدى يحتمل أنه قصد جنَّ البادية كما قال عنتره في شطر بيت :

البدى

• إنس إذا قعدوا جنَّ إذا ركبوا •

فأما البدى : الذى ذكرته الشعراء في أشعارها فيظهر لى أنه واديان كل واحد منهما يسمى البدى ، أحدهما : يصب في الركاء ، واقع في القطعة الجنوبية من نجد . والثانى : يقع في شرق القصيم ، قال لبيد في بيت غير الذى تقدم :

جعلن حراج القريتين وعالجا يمينا ونسكين البدى شمائلا

أما القرستان : فهما معروفتان ، واقعتان شرقي عنيزة ، بعثما عبد الله بن عامر بن كريز ، وقد تغيّر اسمهما قليلا ، وهناك في روضة الزغبية الواقعة من عنيزة في الجهة الشرقية موضع يقال له « القرية » بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وعالج الذى ذكره لبيد : رمال مرتككة تقع شمالى النبال الذى يسمى الأسياح اليوم ، يقال له اليوم العروق .

والبدى : لا أعلم موضعا في جهة القصيم يقال له البدى ، إلا موضعا واحداً اسمه يقارب هذا الاسم يقال له « اللبىد » يقع بين النبال وبلد بريدة ، يحويه العامل على بريدة لمواشيه ، وهو موضع خصب .

ومن الدلائل الواضحة على أن الذى يسمى البدى موضعان قول الراعى :

يطفن بجون ذى عثانين لم تدع أشاقيص فيه والبديان مصنعا
فثناء الراعى في هذا البيت ، وقال امرؤ القيس^(١) :

أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لَهُ اللَّوْىُ فَوَادَى الْبَدْيِ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ

فَعَدْتُ له وصحبتى بين ضارج وبين تلاع يثلث فالمرىض
هذا الوادى الذى ذكره امرؤ القيس هو الواقع فى القطعة الجنوبية من نجد ، وقال الأعشى :
أتسنين أياما لنا بدحيضة وأيامنا بين البدئ قتهما
وهذا الموضع الذى ذكره الأعشى هو الواقع فى شرق القصيم الذى ذكرنا أن « اللبيد » عنده
أو قريب منه ؛ لأن الأعشى قرنه بدحيضة ، ودحيضة ماء لبى تميم ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم
اليوم ، ولكنها - فيما حدّده أهل المعاجم - واقعة فى القطعة الشرقية الشمالية من نجد .
وأما وادى البدئ الذى يقع فى القطعة الجنوبية من نجد فقد أوضحه لبيد نفسه ، وذلك
حيث يقول :

لاقى البدئ السكّالاب فاعتلجا سيل أتيتها لمن غلبا
فدعدعا سرّة الركاء كما ددع ساقى الأعاجم الغربا
ذكر لبيد أن سيل السكّالاب والبدئ يجتمعان حتى يصبان فى السرّة ، ثم تتجه السيول إلى
الركاء ، أما السكّالاب : فقد تقدم الكلام عليه فى أشعار امرؤ القيس ، وهو اليوم يسمى
« وادى قحطح » على ما ذكرناه وأطلقنا فى الاستدلال لما ذكرناه ، وليس يجتمع بسيل هذا
الوادى - على ما بين لبيد - إلا سيل وادى يقال له اليوم « الجلة » فهو إذن البدئ الذى وقع فى
معلقة لبيد ، ودليلنا على ذلك هذا الذى يقوله لبيد نفسه فى البيتين اللذين أترناهما لك ، وشيء
آخر يدل على أن هذا البدئ هو « الجلة » وذلك أنهم عثروا فى هذا الوادى على بئر قديمة كانت
قد طمرت ، فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب تلك الناحية من بنى شيبان - وهم بطن من
عتيبة - : إن هذه البئر كان يقال لها « البدية » ؛ فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل على أنهم
أضافوها إلى وادى البدئ الذى تقع هى فيه ، وأن الوادى كان له هذا الاسم . وأكثر سيول نجد
الجنوبية تصب فى وادى الركاء ، فأما الأودية التى تصب فى وادى السرّة قبل أن تجتمع بوادى
الركاء فهى : وادى قحطح ، ووادى الجلة ، ووادى البيضا ، وجميع أودية جبل العلم وأودية جبل
دمخ ، كل هذه الأودية تصب فى وادى السرّة ، وأما أودية شريف نجد فهى : وادى شيبكان ،
ووادى الشبكة ، ووادى الشاة ، ووادى الشواة ، ووادى حلبان ، ووادى عليان ، ووادى عصيل ،
جميع تلك الأودية تصب فى وادى السرّة ، وجميع أودية الحرة المجاورة لبلد الروضة روضة المرض
شمالها وادى عصيل ، وجنوبها أودية صبحا والأنسكبر ، جميع هذه الأودية تصب فى السرّة ، ثم
تجتمع سيول تلك الناحية فى بطن السرّة ، وتتجه جنوبا إلى وادى الركاء .

ووادى الركاء متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية، والقاسم بين وادى السرة ووادى الركاء جبل الحصة المشهور في الجاهلية بالخصاء، ووادى الحصة يجعل ذلك الجبل على شماله، ووادى السرة يجعل ذلك الجبل على يمينه، فإذا خلفنا ذلك الجبل اجتماعاً، وانقطع ذكر السرة، وبقى وادى الركاء، ثم اتجه قاصداً مطلع الشمس، ثم يأتيه وادى لجع، ووادى العمق، ووادى بتران، ووادى قران، جميع تلك الأودية تصب في وادى الركاء، ووادى بتران ووادى عمق من أكبر تلك الأودية، وبتران واقع في طرف بلاد بني عامر الجنوبية، قال مجنون بنى عامر صاحب ليلي :

وأشرفت من بتران أنظر هل أرى خيالا لليلي رأية وثرانيا
فلم يترك الإشراف في كل مرقب ولا الدمع من عينيك إلا المآقيا
وقال عمرو بن معديكرب يذكر عمقا :

لَمَن طَلَّلَ بِالْعَمَقِ أَصْبَحَ دَارِمَا تَبَدَّلَ آرَامًا وَعَيْنًا كَوَانَا
بُمُعْتَرَكٍ ضَنْكَ الْحَبِيَّتَا تَرَى بِهِ مِنَ الْقَوْمِ مُحْدُوسَا وَآخِرَ حَادِسَا
تَسَاوَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ حَتَّى كَانَهَا حَتَّى بَرَاهَا السَّيْرُ شُفْنَا بَوَانَا

وقد غلط ناس كثير بين عمق والعمق، فأما العمق فواقع في بلاد بني عبد الله بن غطفان وعمق الذى أوردناه واقع في القطعة الجنوبية من نجد، والعمق ميمه مفتوحة، وهو الذى قال فيه الراجز :

كَانَهَا بَيْنَ شُرُورَى وَالْعَمَقِ وَقَدْ كَسُونِ الْجِلْدَ نَظْمًا مِنْ عَرَقِ
نَوَاحِي تَلَوَى بِجَلْبَابِ خَلْقِ

وبتران والعمق كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، فإذا اختلطت سيول تلك الأودية بوادى الركاء وهو متجه إلى جهة مطلع الشمس انخرج إلى جهة الشرق، ثم يأتيه وادى الرين وهو وادٍ عظيم به قصور ومزارع ونخيل لأهل بلد القويمية، ثم يتجه وادى الركاء وتأتيه أودية صفار بعد أن كل سيله الذى يسير إليه من أودية الزيدى وأودية المريف وأودية جبال السودة وجبال الحصة وجبال صبحا، والأودية الصفار تأتيه من جبال صفيرى المضبة فتصب فيه، ثم يردده كتيب يقال له « نفود الدحي » ويتجه ذلك الوادى إلى الجهة الشرقية الشمالية، فإذا انقطع عنه ذلك الكتيب انخرج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى أعلى وادى برك الواقع في اليمامة، ثم يصب فيه، وتختلط سيول الركاء بسيل وادى برك، وتتجه إلى الجهة الشرقية الشمالية، فنصب في وادى انخرج بعد ما تجوز بلد الحوطة وقراها، ويأتيها وادى ماوان، ووادى نساخ، ووادى الأوسط،

ووادى الحائر ، ووادى حنيفة ، ثم تجتمع تلك السيول العظيمة فى موضع يقال له السهى فى جهة
الخرج الشمالية الشرقية ، وهذا الاسم اسم جاهلى قديم يقال لها السهى ، قال جرير :
كَتَفْتُ صَحْبِيْ اَهْوَآءًا عَلَى نَقَّةٍ اللَّهُ دَرُهُمْ رَكْبًا وَمَا كَلَفُوا
سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْيِ وَدُونِهِمْ فَيَحْزَنُ فَالْحَزَنُ فَالْقَتَمَانُ فَالْوَكْفُ
يُرْجُونَ نَحْوَكَ أَطْلَاحًا مُّخَذَّمَةً قَدْ مَسَّهَا الذَّكَبُ وَالْأَنْقَابُ وَالْعَجْفُ

وقد كنت قبل أن أكتب هذه الكتابة عن سيل وادى الركاء ومسيره واتجاهه أشك فى
أنه يصب فى وادى برك ، وكنت أظن أنه يقف بين كتيب الدحى وجبل العارض ، ولكنى
أخذت هذه الأخبار عن الثقات الواقفين على حقيقة أمره وسيره عند جريانه ، وقد شاهدوه بأعينهم
وهو يصب فى وادى برك ، وقالوا : إن وادى برك أطمئن من وادى الركاء أكثر من مائة وخمسين
مترا ، وكنت أظن قبل ذلك أن وادى الركاء أطمئن من وادى برك بمائتى متر ، ولكنى أخذت الخبر
عن الثقات ، وكتبت بعد التثبت ، فهذا الوادى العظيم - أعنى وادى الركاء - أعلاه تأتبه سيول من
جهة ذقانين والدخول وتنتهى فى أسفل وادى الخرج ، وهذه المسافة قريب شهر لسير حاملات
الأثقال من الإبل ، وقد انتهينا من سيول الرشا وأوديته ، وسيأتى الكلام على سيول الرمة فى
موضعها عند بيان موضع تلك الجهة .

* * *

٨ - وقال لبيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتِّفَهَا بِمَعَالِقِ مُتَشَابِهٍ أَعْلَامُهَا
أَدْعُو بَيْنَ لِمَاقِرٍ أَوْ مُطْفَلٍ بَذَلْتُ لَجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبِطًا تَبَالَةً مُّخَصَّبًا أَهْضَامُهَا

تبالة : وادى فى جهة ييشة ، وهو وادى عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى
الكلام عليه فى أشعار امرئ القيس^(١) .

انتهت معلقة لبيد ، وهى المعلقة الرابعة من العشر .

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء .

٥

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ النَّغْلِيِّ

عمرو بن كلثوم التغلبي

مات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وخسين سنة تقريباً
هو عمرو بن كلثوم التغلبي الذي ينتهي نسبه في تغلب بن وائل ثم يمتد إلى جديلة بن أسد
ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ذكر المواضع الواردة في معلقته :

١ - أَلَا هُبِّي بِصَحْحِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي مُخُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشْتَعَمَةً كَأَنَّ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

الأندرين : اسم قرية ^(١) في جنوبي حَلَبَ ، بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب ، في
طرف البرية ، ليس بعدها عمارة ، وهي الآن خراب ليس فيها إلا بقية جدران ، وأهل تلك
الناحية يعرفونها بهذا الاسم ، وكانت تُباع فيها الخمر في الجاهلية ، وهي التي عنها عمرو بن كلثوم
وقد اختلف أهل اللغة وأهل المعاجم في لفظها : فمنهم من قال : إنها جمع أندري - بياء النسبة -
فلما جمع اجتمع فيه ثلاث ياءات ، فحذف ياء النسبة كما قالوا « الأشعرين » في جمع أشعري ، وقال
الأزهري : الأندر : قرية بالشام فيها كروم ، وجمعها الأندرين .

* * *

٢ - وقال عمرو بن كلثوم :

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مُجْرَاهَا الْيَمِينَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ تَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا نَصْبَجِينَا
وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبِعَابِكَ وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا

بِعَابِكَ : اسم لمدينة من أعمال دمشق ، وكان بها صنم لقوم إلياس النبي عليه السلام ،
وهو الذي قال الله جل ذكره فيه (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلم يطلق هذا الاسم
على هذه المدينة إلا بعد أن وضع هذا الصنم فيها ، وهو معظم عند اليونانيين ، وقد أطل الكلام
عليه أهل المعاجم وذكروا فيه روايات كثيرة ، وهذا الاسم معروف إلى هذا العهد عند جميع أهل
تلك الناحية .

دمشق : معروفة بدمشق الشام ، وهى عاصمة سوريا اليوم ، قال فى معجم البلدان^(١) : دمشق البلد المشهور ، قصبة الشام ، وهى جنة الأرض بلا خلاف ، لحسن عمارة ، ونضارة بُقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب ، هذه عبارة من عبارات المعجم ، وقد أطلال عليها صاحب معجم البلدان ، وبما قيل فى دمشق وحسنها ونضارتها من الثر والنظم قول أبى المطاع ابن حمدان فى وصف دمشق :

سقى الله أرض الفوطيين وأهلها فلى بجَنُوبِ الفُوطَينِ شُجونُ
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني إلى بَرَدَى واليَرَبِينِ حنينُ
وقد كان شكى فى الفراق يروغنى فكيف أكون اليومَ وَهوَ يَقِينُ
فوالله ما فارتقم قاليا لكم ولكن ما يقضى فَسَوْفَ يكون
وقال الصنوبرى :

صَفَتْ دُنْيَا دِمَشْقَ لِقَاطِنِهَا فليست ترى بغير دِمَشْقَ دُنْيَا
تفيض جداول البُلُورِ فيها خلال حدائق يَنبتنِ وشيا
مُكَلَّلَةٌ فَوَاحِشَ أَهْبَى الـ مناظر فى مناظرنا وأهيا
فمن تَفَاحِهِ لم تعد خُدا ومن أُنْجَرَةٍ لم تعد نديا
وقال البحرى :

أما دِمَشْقُ فقد أبدت محاسنها وقد وَفَى لك مُطَرِّبُهَا بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يُشبه البَلَدَا
يُمْنَى السحابُ على أجيالها فرقا ويصبح النبت فى سَحْرَائِهَا بددا
فليست تبصر إلا وَكِفًا خَضِلا أو يانعا خَضِرَا أو طائرا غَرْدَا
كأنما القَيْظُ وَلَّى بعد جَبِينَتِهِ أو الربيعُ دَنَا من بعد ما بَعْدَا

وقال أبو محمد بن عبد الله النقاد يمدح دمشق :

سقى الله ما تحوى دمشق وحَيَّاهَا فما أَطْيَبَ اللَّذَاتِ فِيهَا وأَهْنَاهَا
نَزَلْنَا بِهَا واستوقفتنا محاسن يحنُّ إليها كلُّ قلبٍ ويهواها
لَبِسْنَا بِهَا عيشًا رقيقًا رِداؤُهُ ونلنا بها من صَفْوَةِ اللّهُوِ أَغْلَاهَا
وَكَمَ لَيْلَةٍ نَادَمْتُ بِدَرِّ تَمَامِهَا تَقَضَّتْ وما أَبْقَتْ لَنَا غَيْرَ ذِكْرَاهَا

فَأَمَّا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ وَقُلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ قَوْلَتِي آهًا
فِيَا صَاحِبِي إِنَّمَا حَمَلْتُ رِسَالَةً إِلَى دَارِ أَحِبَابٍ لَنَا طَابَ مَغْنَاهَا
وَقُلْ ذَلِكَ الْوَجْدُ الْمُبْرَحُ ثَابِتٌ وَحَرَمَةُ أَيَّامِ الصَّبَا مَا أَضَعْنَاهَا
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ أُنْسَتْ عَهْدَنَا فَلَسْنَا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى نَتْنَاهَا
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا تَحْطُّ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ وَمَثْوَاهَا
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقَعَّتْ بِقَرَبِهَا فَمَا كَانَ أَحْلَاهَا لَهَا وَأَمْرَاهَا

وقال آخر في ذم دمشق :

إِذَا فَاتَخَرُّوا قَالُوا مِيسَاءَ غَزِيرَةٍ عَذَابٌ وَلِلظَّامِي سُلَافٌ مُرَوِّقٌ
وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ جَنَّةُ الْخَلْدِ جَلَّتْ وَقَدْ كَذَبُوا فِي ذَا الْمَقَالِ وَتَحَرَّقُوا
فَا هِيَ إِلَّا بِلْدَةٌ جَاهِلِيَّةٌ بِهَا تَكْسِدُ الْخَيْرَاتُ وَالْفَسَقُ يَنْفَقُ
فَحَسِبَهُمْ جَيْرُونَ فَخْرًا وَزِينَةً وَرَأْسَ ابْنِ بَنْتِ الْمِصْطَفَى فِيهِ عُلُقُوا

ودمشق باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

قاصرين : بلدة عظيمة مما يلي بالس ، قال في معجم البلدان ^(١) : بالس بلدة بالشام بين حلب والرقّة ، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت على ضفة الفرات الغربية ، فلم يزل الفرات يُشْرِقُ عنها قليلا قليلا حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال .

قال البلاذري في فتوح البلدان : سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين ، وقدم مقدمته إلى بالس ، وبث جيشا عليه حبيب بن مسلمة القهري إلى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أُقْطِعَا الْقُرَى التي بالقرب منهما ، وجُمِلَا حَافِظَيْنِ لما بينهما من مدن الروم ، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء ، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ ، وإنما اتُّخِذَ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف ، ويقال : بل كان له رسم قديم ، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادي ، ثم رفضوا قاصرين ، وبلغ أبو عبيدة إلى الفرات ، ثم رجع إلى فلسطين ، فسكانت بالس والقُرَى المنسوبة إليها كقاصرين وغيرها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعزاء عشيرة ، فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازيا إلى الروم من نحو الثنور أَلْجَزَرِيَّة عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل بوبلس وقاصرين

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٤٦ ثم انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٧ .

وعابدين وصفتين ، وهى قرى منسوبة إليها ، فسألوه جميعاً أن يخفر لهم نهراً من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه ، فخر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشروط ، ورُمّ سور المدينة وأحكمه ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقرّاها لورثته ، فلم تزل فى أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية وقبض عبد الله بن على أموال بني أمية ، فدخلت فى تلك الأموال ، فأقطعها السفاح محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما مات صارت للرشيد فأقطعها ابنه المأمون ، فصارت لولده من بعده .

والداعى إلى ذكر بالس أن قاصرين لم تذكر إلا معها فى تلك العبارات ، وقاصرين باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفها أهل تلك الناحية .



٣ — وقال عمرو بن كلثوم :^(١)

فَمَا وَجَدْتَ كَوْجِدِي أَمْ سَقَبَ أَضَلَّتُهُ فَرَجَعْتَ الْحَيْنَا
وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا
تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ مُحُولَهَا أَصْلًا حُدِينَا
فَأَعْرَضْتُ الْيَمَامَةَ وَأَشْمَخَرْتُ كَأَسْيَافِ بَايَدِي مُصْلِتِينَا

اليمامة : اختلف أهل اللغة فى تسميتها اليمامة واشتقاقها ، قال الأصمى : اليمام ضرب من الحمام البرى ، واحِدَتُهُ يمامة ، واستدل فى آخر هذه العبارة بقول المرار القفصى :

إِذَا خَفَّ مَاءُ الْمَزْنِ فِيهَا تِيَمَمْتُ يِمَامَتَهَا أَيْ الْعِدَادِ تَرُومُ ؟

وكانت فى الزمن القديمة مساكن طنم وجديس والعاليق ، سكنها سنين قديمة ، وقاعدتها حَجَرُ اليمامة ، وتسميتها باليمامة تسمية قديمة ، لأن زرقاء اليمامة مضافة إليها ، وهى امرأة من طنم كانت متزوجة فى جديس ، وهم فى أوائل القرون البائدة ، فإن كان الذى ذكره الأصمى صواباً أن اليمامة الحمامة ، فالجبل المُحِيط باليمامة يقال له طوق اليمامة كطوق الحمامة ، فصغر حتى سمي طويقاً وجو اليمامة : هو الواقع شرق الأكمة الحر مما يلى بلد المزاحمية ، قال جعندر اللص^(٢) فى ذكر جو :

وَإِنَّ امْرَأً يَعْدُو وَحَجَرٍ وَرَاءَهُ وَجَوْ وَلَا يَفْزُوها لَضَعِيفُ

(١) البيتان الأول والثانى متأخران فى رواية المعلقات عن الثالث والرابع

(٢) انظر للمجم ٣ / ١٧٧ .

إِذَا حُلَّةٌ أَبْلَيْتُمَهَا اجْعَثْ حُلَّةٌ بَسَانِيَةِ طَوْعِ الْفِيَادِ عَلِيْفُ
سَعَى الْمَبْدِ إِثْرَى سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ تَذَكُّرُ تَنْوِيرٍ لَهُ وَرَغِيْفُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ ، وَهُوَ الْأَعْشَى يَقُولُهُ وَهُوَ وَافِدٌ عَلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ :
تَجَانَفُ عَنْ جَوْ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا إِسْوَانُكَ

وهو من مساكن هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ الْعَاقِلِ ، وَلَسَكَنَ لَمْ يَنْفَعِهِ
عَقْلُهُ شَيْءٌ ؛ فَقَدْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَأَبَى وَخَرَجَ
إِلَى بِلَادِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهَلَكَ بِهَا ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ الْعَرَبِ ، وَفَدَّ عَلَى كَسْرَى فَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَسَأَلَهُ
وَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ ، قَالَ لَهُ كَسْرَى : كَمْ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : أَحَدٌ عَشَرَ وَلَدًا ، قَالَ : أَيُّهُمْ أَحَبُّ
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَالْغَائِبُ حَتَّى يَثُوبَ ، ثُمَّ التَفَتَ كَسْرَى
إِلَى أَشْرَافِ قَوْمِهِ مِنَ الْعَجَمِ فَقَالَ : أَسَمِعْتُمْ كَلَامَ هَذَا الْعَرَبِيِّ ؟ مَا أَحْسَنَهُ ! ثُمَّ التَفَتَ إِلَى هُوْدَةَ
ابْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ : مَا نَتَاجَ بِلَادُكَ ؟ فَقَالَ : الْبَرَّ ، فَقَالَ : نَعَمْ الْمَأْكُولُ إِنَّهُ يَصْنَعُ الْعَقْلَ وَيَقْوِي الدِّمَاغَ
قَالَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : كُنَّا فِي مَجْلِسٍ وَقَرَأْنَا هَذِهِ الْعِبَارَةَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي ، وَفِي
ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدٍ الدُّوسَرِيُّ قَاضِي الْحَوْطَةِ الْيَوْمَ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَاضِي
بَلَدِ الْقَوَيْمِيَّةِ مَدِينَةِ الْعَرْضِ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا شَيْخُ إِنْ تَسَاجَ بِلَادُكُمْ فِي الْعَرْضِ الْبَرَّ ،
وَلَسَكَنَى لَمْ أَجِدْ عَقْلَ هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ فِيكُمْ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ ، فَضَحَكَ وَالتَفَتَ إِلَيَّ . ثُمَّ قَالَ :
يَا أَخِي إِنْ الْبَرَّ الَّذِي تَنْتَاجُ بِلَادُنَا ثَلَاثَ شَعِيرٍ ، فَإِنْ وَجَدْتَ اخْتِلَافًا فِي الْعَقُولِ فَهُوَ مِنْهُ .
وَلَهُوْدَةُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَارٌ طَوِيلَةٌ تَمَلَأُ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ .

الْيَمَامَةُ : يُطْلَقُ هَذَا الْاسْمُ عَلَى جَمِيعِ أَنْحَاثِهَا ، وَفِي أَخْبَارِ الْمَغَازِي عِبَارَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : افْتَتَحَتْ
الْيَمَامَةُ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَتَلَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ سَنَةَ ٨١٢ ، وَرَتَّبَ الْجَيْشَ
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَخَذَهَا عَنُودٌ ، ثُمَّ صَوَّلُوهَا ، ذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا قَرَّبَ مِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
خَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ وَعَسْكَرُ فِي عَقْرَبَاءَ ، وَعَقْرَبَاءُ مَوْجُودَةٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ،
قَرِيبَ بَلَدِ مُسَيْلِمَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ، قَتَلَهُ وَخَشِي ، وَهُوَ عَبْدُ أَسْوَدَ مَوْلَى الْجُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ ، وَهُوَ قَاتِلُ
حِزَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ وَبَنِي حَنِيفَةَ وَقَاتِعٍ فِي نَوَاحِي عَقْرَبَاءَ كَثِيرَةٌ قَبْلَ قَتْلِ
مُسَيْلِمَةَ ، قَالَ ضَرَّارُ بْنُ الْأَرْزُورِ (١) :

وَلَوْ سُلِّمَتْ عَنَّا جَنْوَبٌ لِأَخْبَرْتُ عَشِيَّةً سَأَلَتْ عَقْرَبَاءَ وَهَلْ لَهَا

(١) معجم البلدان ٦ / ١٠٤ وانظر شرح شواهد الأثمنوني للأستاذ محمد محي الدين ٢ / ٤٤٣

وسال بفرع الواد حتى تفرقت حِجَارَتُهُ فِيهِ مِنَ الْقَوْمِ بِالْذَّمِّ
عَشِيَّةً لَا تُنْفِي الرِّيحَ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلَ إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمَصْتَمُ
فَإِنْ تَبَتَّغَى الْكُفَّارَ غَيْرَ مُنِيبَةٍ جَنُوبَ فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينَ مَسْلَمٌ
أَجَاهِدُ إِذَا كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمَةً وَاللَّهُ بِالرَّءِ الْجَاهِدِ أَعْلَمُ

والقاعدة الثانية بعد قاعدة جَوْ هِيَ قاعدة حَجَرِ الموجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم في بلد
الرياض قاعدة المملكة العربية السعودية اليوم ، وأطال المؤرخون الكلام على حجر . قال
أبو عبيدة معمر بن المثنى ^(١) : خرجت بنو حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل
يتبعون الريف ويرتادون السكلا ، حتى قاربوا اليمامة على السمّت الذي كانت عبد القيس سلكته
لما قدمت البحرين ، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة منتجعاً بأهله
وماله يتبع مواقع القطر حتى هَجَمَ على اليمامة ، فنزل موضعاً يقال له : قارات الحبل ، وهو من
حجر على مسافة يوم وليلة ، فأقام بها أياماً ومعه جاره من اليمن من سعد المشيرة ثم من بني زبيد
فخرج راعي عبيد حتى أتى قاع حَجَرٍ فرأى القصور والنخل وأرضاً عرف أن بها شأنا ، وهي
التي كانت لطعم وجديس ، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً ، فقال : والله إني رأيت أطاماً
طوالاً وأشجاراً حسناً ، هذا حَمْلُهَا ، وأتى بالتمر معه مما وجدته منتبهاً تحت النخيل ، فتناول منه
عبيد وأكل وقال : والله هذا طعام طيب ، وأصبح فأمر بِحِجْرٍ فَنُحِرَتْ ، ثم قال لبنيه وغلماؤه :
احترزوا حتى آتيناكم ، وركب فرسه ، وأردف الغلام خلفه ، وأخذ رمحاً ، حتى أتى حَجْرًا ، فلما
رآها لم يَحُلْ عنها ، وعرف أنها أرض لها شأن ، فوضع رمحاً في الأرض ، ثم دفع الفرس ،
واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حَجْرًا ، وكانت تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد
لها ، فقال في ذلك :

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادوا وحلوا ذات شيد حصونها
فصاروا قَطِينًا للقلادة بِغُرْبَةٍ رميا ، وصرنا في الديار قطينها
فسوف يلبيها بعدنا مَنْ يَحُلُّهَا ويسكن عرضاً سهلها وحزونها

ثم ركز رمحاً في وسطها ، ورجع إلى أهله فاحتلمهم حتى أنزلهم بها ، فلما رأى جاره الزبيدي
ذلك قال : يا عبيد الشرك ، قال : بل الرضا ، فقال : ما بعد الرضا إلا السخط ، فقال عبيد : عليك
بتلك القرية فانزلها ، القرية بناحية حَجَرٍ ، على نصف فرسخ منها ، فأقام بها الزبيدي ثم غرض ^(٢)

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٢١ (٢) غرض - بالفتح المعجمة - أى ضجر وشم ومل .

فأتى عبيداً فقال له : عَوِّضْنِي شَيْئاً فَإِنِّي خَارِجٌ وَتَارِكٌ مَا هُنَا ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ بَسْكَرَةً ، فَخَرَجَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، وَتَسَامَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ بِمَا أَصَابَ عَبِيدَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَأَقْبَلُوا فَنَزَلُوا قَرَى الْيَمَامَةِ ، وَأَقْبَلَ زَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ عَمَّ عَبِيدَ حَتَّى أَتَى عَبِيداً فَقَالَ : أَنْزَانِي مَعَكَ حَجَجْراً ، فَقَامَ عَبِيدٌ ، وَقَبَضَ عَلَى ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَنْزِلُهَا إِلَّا مَنْ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ ، يَعْنِي أَوْلَادَهُ ، فَلَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا وَلَدَهُ ، وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا عَمِيدِي ، وَقَالَ لَعَنَهُ : عَلَيْكَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الزَّيْدِيُّ ، فَأَنْزَلَهَا ، فَنَزَلَهَا فِي أُخْبِيَةِ الشَّعْرِ حَتَّى بَنَوْا الْقُصُورَ ، وَكَانَ عَبِيدٌ يَقُولُ لَوْلَدِهِ : انْطَلِقُوا إِلَى بَادِيَتِنَا ، يَرِيدُ عَمَّهُ ، فَيَمْضُونَ يَتَحَدَّثُونَ هُنَاكَ ، فَنُتِمُّ سَمِيَّتِ الْبَادِيَةِ ، وَهِيَ مَنَازِلُ زَيْدٍ وَحَبِيبٍ وَقُطْنٍ وَابِيدِ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الدَّوْلِ بْنِ حَنِيفَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ عَبِيدٌ يَفْسِلُ النَّخْلَ ، فَيَفْرُسُهَا فَتَخْرُجُ وَلَا تُخْلَفُ ، ففَعَلَ أَهْلُ الْيَمَامَةِ كُلُّهُمْ ذَلِكَ ، فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَسْمِيَّتِهَا حَجَجْراً ، وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشَّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا وَالتَّشْوِيقُ إِلَيْهَا ، فَرَوَى عَنْ نَفْطَوَيْهِ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ مُوسَى السَّكَلَابِيَّةُ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَجَجَرِ الْيَمَامَةِ وَنَقَلَهَا هُنَاكَ :

قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ حَجَجْراً أَنْ أَلْمَ بِهَا وَأَنْ أَعِيشَ بِأَرْضِ ذَاتِ حَيْطَانٍ
لَا حَبْذاً الْغُرَفِ الْأَعْلَى وَسَاكِنَهُ وَمَا يَضْمَنُ مِنْ مَالٍ وَعَبْدَانِ
أَيُّتْ أَرْقُبْ نَجْمَ اللَّيْلِ قَاعِدَةً حَتَّى الصَّبَاحِ وَعِنْدَ الْبَابِ عَلَجَانِ
لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّي أَنْ يُعَاقِبَنِي لَقَدْ دَعَوْتُ عَلَى الشَّيْخِ ابْنَ حَيَّانٍ

ولعل الشيخ ابن حيان هو الذي عَقَدَ لزوجها عليها .

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جِشْمَ بْنِ بَكْرِ يُقَالُ لَهُ جَحْدَرُ اللَّصِّ يُخَيِّفُ السَّبِيلَ بِأَرْضِ الْبَلَمِ ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَلَمِ يُشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَجِدُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى الْحُجَّاجِ بِوَسْطٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلْتُكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : كَذَّبْتُ الزَّمَانَ ، وَجَرَأَةُ الْجَنَانِ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ ، فَخُبِسَ ، فَخِنَ إِلَى بِلَادِهِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ حَجَجَرٍ فَقَالَ :

لَقَدْ صَدَعَ الْفُؤَادَ وَقَدْ شَجَّانِي بِكَاهِ حَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَجَاوَبَتَا بِصَوْتِ أَعْجَمِي عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَّانِ
فَأَسْهَلْتُ الدَّمْعَ بِلَا احْتِشَامٍ وَلَمْ أَكُ بِاللَّيْمِ وَلَا الْجَبَّانِ
فَقُلْتُ : لِصَاحِبِي دَعَا مَلَامِي وَكُفَّاءَ الْيَوْمِ عَنِّي وَاعْذِرَانِي
أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ أَيُّهَا الْبَرَقُ الْيَمَانِي
وَاهْوَى أَنْ أَعِيدَ إِلَيْكَ طَرْفِي عَلَى عُدُوِّهِ مِنْ شَغْلٍ وَشَانِي

أليس الليل يجمع أم عرو وإيانا فذاك لنا تدانى
بلى ، وترى الهلال كما أراه وَيَعْلُوها النهار كما علانى
فا بين التفريق غير سَبْعَ يَقِينَ من المَحْرَمِ أو ثمان
ألم ترى غذيت أخا حروب إذا لم أجنِ كنتُ بحنٍّ جاني
أيا أخوى من جُشَمِ بن بكر أَقْلًا اللوم إن لا تنفعانى
إذا جاوزتما سَعَمَاتِ حَجَرِ وأودية اليمامة فانسيانى
لِقِيَّتَيْنِ إذا سمعوا بَقِيَّةَ بكي شبانهم وبكى الفَوَائِي
وقولا جَعْدَرِ أُمسى رهيننا يحاذر وقع مَصْقُولِ يمانى
ستبكي كلُّ غانية عليه وكلُّ مُخَضَّبِ رَحْصِ البَنَانِ
وكل فتى له أدبٌ وحلم مَعْدِيٌّ كريم غير وانى

فبلغ شعره هذا الحجاج ، فأحضره بين يديه ، وقال له : أيهما أحب إليك أن أفتلك بالسيف
أو ألقيك للسباع ؟ فقال له : أعطى سيفاً وألقنى للسباع ، فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجْتَوِعٍ
فزأر السبع وجاءه ، فقتله بالسيف فقلق هامته ، فأكرمه الحجاج واستتابه ، وخلع عليه ، وفرض
له فى العطاء ، وجعله من أصحابه .

وقد أشد ابنُ الأعرابى فى نوادره لبعض اللصوص وقد طال سجنه فى حَجَرِ :
هل الباب مفروج فأنظر نظرةً بعين قلَّتْ حَجَرًا وطال احتماها ؟
ألا حبذا الدهنا وطيبُ ترابها وأرضُ فضاء يَصْدَحُ الليلَ هامها
وَسَيَرُ المطايا بالعَشِيَّاتِ والضحى إلى بقر وحش العيون أكامها

وحجر اليمامة : هى البلد العظيمة فى الجاهلية والإسلام ، قال ابن بطوطة فى رحلته فى القرن
السابع : دخلت اليمامة وقاعدتها حَجَرُ فوجدت بلداً عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع
وأطال عليها الكلام ، ثم كانت قاعدة تلك الفاحية فى بلد الدرعية ، فى أوائل الدعوة التى قام
بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره ونُصرة تلك الدعوة الإمام محمد بن سعود وابنه الإمام
عبد العزيز بن محمد ومن بعده ابنه الإمام سعود بن عبد العزيز الذى امتدت الفتوحات على يديه
ثم انتقلت قاعدة المملكة إلى بلد الرياض ، وبها سِرٌّ غامِضٌ خبأه الله عن خلقه ، وهو هذا الملك
الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، قال الشاعر الكبير محمد بن عثيمين ، فى قصيدة له
مطلعها وهو يخاطب فيها نفسه على طريق التجريد فيها المعروف عند أهل البلاغة :

قد بَلَغَتْكَ الصَّهَارَى مِنْهُى الأمل فما التَّنْقُلُ مِنْ سَهْلٍ إِلَى جَبَلٍ ؟
أَرِخْ رِكَابَكَ فَالْأَرْزَاقُ قَدْ قَسَمَتْ وليس يَعِدُوكَ مَا قَدْ خُطَّ فِي الْأَزَلِ
فَطَالَمَا أَوْصَمْتَ خَوْصُ الرِّكَابِ بِنَا فِي مَنَمِهِ قَدْ فُيِّ أَوْ تَجَمَّلَ غُفْلِ
سَبَّاسِبُ يَظَلُّبُ الْأَلْوَانُ صَيَّخْدُهَا وَتَارَةً فَوْقَ الْوَاخِ بَذَى زَجَلِ
فَالآنَ لِمَا أَقَالَ اللَّهُ عَثَرْتَنَا فِي دَوْلَةِ الْمُرْتَضَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَنُخْفِضُ الْمَهْمَ وَأُنَمِّ فِي ذُرَى مَلِكٍ وَأَعْفُ الرِّكَابِ مِنْ حَلٍّ وَمُزَّحَلِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

لَوْ كَانَ فَيَصِلُ يَدْرِي قَبْلَ مَيْتِهِ بِأَنْتَ مَنْ صُلْبِهِ اسْتَبْطَى مَدَى الْأَجَلِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَإِنْ كَسَوْتِكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ حُلَّالًا فَأَنْتَ مِنْ قَبْلِهَا أَبْهَى مِنَ الْحَلَالِ

وهي من عزيز الشعر ، وله قصائد في جلالة الملك عذبة الألقاظ ، جيدة المعاني ، مات هذا الشاعر في بلد الحوطة - رحمه الله ! - قريب منتصف القرن الرابع عشر .

وحجر قد أعاد الله عليه تاريخه الأغر بوجود هذا الملك العادل الكريم فقد اطلعت على تاريخ الأمم والملوك في الدولة الأموية والدولة العباسية من منتصف القرن الثاني إلى هذا العهد فلم أجد لأحد منهم ذكرا يضاها ما أرى لهذا الملك من مكارم الأخلاق وعظيم الشيم وبذل المال وإهانتته له ، مع تقى وورع ورفق برعيته ووفاء بالعهد ، فقد كان الملك من الملوك السابقين إذا وضع قسما من زكاة قوم في فقرائهم نطقت الشعراء والخطباء بعده ، فأما الملك عبد العزيز فإنه يفرق الشئ الكثير من الزكاة على الفقراء ، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحلل فتنفق على جميع الجهات في رعيته ، يفرقها أمنا وكثاب على أهل كل جهة ، يأتيهم المقرر لهم وهم في أما كنهم بغير طلب منهم ولا تكلف ، ثم تأتيه الوفود وتتابع إرسالهم إلى تلك العاصمة زرافات وأفواجا ، يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلق وأعراب بخران وأعراب اليمن ، وما بين تلك الجهات من الأمم التي لا يحصى عددها إلا الله ، تأتي إلى هذه السدة الملكية فتمتدح منها كأنها تمتاح من دجلة أو الفرات ، فبعض الأيام يبلغ عدد الوافدين عليه في اليوم الواحد عشرة آلاف رجل وقد يزدون أو ينقصون عن هذا العدد ، ويمتد هذا الترسل ستة أشهر ، فلأن رمل عاجل نقد لنقد ولكن البركة واصله فيما تحوى تلك الكف المباركة ، فلو علم عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدؤل بن حنيفة الذي اكتشف حجرا بما تم لحجر اليوم من العز والشرف لسكانه ، وما

أدركوا من المجد والعلی ، لَسُرَّ بذلك ، وهذا الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور صاحب بلد منفوحة قد فاته أمران :

الأول — وهو أهم من الذي بعده — أنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوجّه إليه وافداً من بلده منفوحة معتقداً الإسلام ، وقال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألم تغتمض عينك ليلة أرمداً وبتّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال :

فأليت لا أرى لها من كلالَةٍ ولا من حَقٍّ حتى تلاقى محمداً
إذا ما أناخت عند باب ابن هاشم أراحت وتلقى من فواضله ندى

فلما قدم مكة رده مشركو قريش ، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ ، فرجع من مكة بعد أن بذلت له قريش الإبل والحلّ ، فلما وصل بلده منفوحة نفرت به راحلته فسقط منها وهلك ، نعوذ بالله من تلك الحالة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته قال : كاد أن يسلم .

الأمر الثاني : لو أدرك الأعشى هذا الوقت وجعله الله من أهل هذا القرن لا استراح من الحِلِّ والترحال ، واستراحت راحلته من الإدلاج والإرقال ، في وقاداته على ملوك بَنِي عَبْدِ الْمَدَّانِ وعلى الملوك اللّخميّين بالعراق وملوك القسّانيين بالشام ، فلو أدرك هذا الوقت لقصرت خطاه ، وكانت وقادته قريبة الانتهاء سرية المأخذ قريبة الامتياح من هذا النهر الفياض الذي أوجده صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من تيار كرمه المتتابع الذي لم يسبقه إليه سابق ، ويتعب على أنزه اللاحق ، فلو كان الأعشى موجوداً لسكان يخرج من بلده منفوحة بعد طلوع الشمس وفي حينه يصل إلى السدّة الملكيّة ويقضى وطّره ويعود إلى بلده قبل أن تشتد ضاحية النهار ، وحينئذ يرى كثرة الوافدين ، ويسمع وسواس النقود وكثرة الرهج والأصوات عند تلك السدة الملكيّة ، وإذن لحادت قريحته بحيد الشعر كما درّت قريحة الشاعر الكبير محمد بن عثيمين حين قال في قصيدة له مطلعها :

رَبِّعْ تَأْبُدُ مِنْ شِبْهِهِ التَّمْهِى الْعَيْنِ وقفت دمعى على أطلاله الجون
إلى أن قال :

مَنْ مُبْلَغِ الصَّحْبِ عَنِ قَوْلِ مَبْتَجِحٍ بما يلاقى قرير القلب والعين
إِنِّي أَوْرِيتُ مِنَ الْعَلَمَا إِلَى حَرَمٍ قبل الإناخة بالبشرى يحينى
يَنْتَابِهَ النَّاسُ أَفْوَاجاً كَأَنَّهُمْ جاءوا لنسكٍ على صُهْبِ الْقَتَانِينِ

ترى الملوك قياماً عند سُدُتِه وتُنظر ابنَ سبيل وابن مسكين
ذا يطلبُ العفو من عُقْبَى جريته وذا يؤمل فضلاً غير ممنون
وهذه القصيدة من عزيز الشعر . .

والملك عبد العزيز - أطال الله بقاءه ! - يعطى القاصي والداني ، والمثري والمعدم ، وفضله لم يفت
إلا القليل من أهل مملكته ، عَمَّرَ المساجد ، وأسس المدارس ، وطهر الحرمين من جميع المحرمات
ونصر المظلوم ، وقمع الظالم ، وأقنذ الله به مَنْ تحت حمايته ، وله تاريخ لو سطر لضاقت به صفحات
الكتب ، والله في خلقه سرٌّ لا يعلمه غيره ، ومنه أذخار هذا المَلِكِ الفاضل في أصلاب هذا العنصر
المبارك إلى هذا الوقت الذي أدركناه حتى فزنا بوجوده .

قال مصنف هذا الكتاب : لقد أدركت الطرق وهي مخوفة بمن أخذ على السالكين مسالكها
من قطاعها ، فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة ، فأما في هذا العهد
فإن المرأة تخرج من بلد إلى بلد بحملها وحملها فلا يحسر أحد أن يدنو منها رافعة يديها إلى
السماء تدعو الله ببقاء هذا الملك . . ومن التصادف العجيب أني قلت في وقعة تربة سنة ١٣٣٧
قصيدة مطلعها :

بسر الفنا والمرهفات القواضب ينال العلى والعز أعلى المراتب

إلى أن قلت :

فلا بد من فتح إذا شاء ربنا به يظهر التوحيد بين الأخاشب
فصدق الله تعالى قولى فى عام ١٣٤٣ من الهجرة حيث افتتحت مكة ونادى النادى بالأمير
بالمعروف والنهى عن المنكر بعد ست سنوات . . وقلت أيضاً لما قدّم صاحب السمو الملكى الأمير
فيصل بجنود أهل نجد مدداً للغزاة المحاصرين لجدة قصيدة هذا مطلعها :

لنجلك السعد قبل اليوم مشهود وفى لواء أطيّد العز معقود

وقادها حزبا من كل ناحية وقد شكت من سرّاه الضمير القود

فصدق الله تعالى هذا وافتتح جدة صاحب هذا اللواء الذى ذكرناه . .

وقال الشاعر البليغ محمد بن عثيمين فى قصيدة مطلعها :

عُجْ بى على الربع حيث الرند والبان وإن نأى عنه أحباب وجيران

إلى أن قال :

أقول للعيس إذ تلوى ذفاريها لإلفها ولها فى الدؤى تحنان

رَدَى مِيَاهًا مِنَ الْمَعْرُوفِ طَامِيَةً نَبَاتُهَا التَّبَرُّ لَا شَيْخُ وَسَعْدَانِ
حَتَّى انْتَقَلَ الشَّاعِرُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرٍ فَقَالَ :

خَبِيثَةُ اللَّهِ فِي ذَا الْوَقْتِ أَظْهَرَهَا وَلِلْمُهَيِّمِينَ فِي تَأْخِيرِهَا شَانِ
وَدَعْوَةُ وَجِبَتْ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ أَمَا تَرَى عَمَهُمْ أَمْنٌ وَإِحْسَانِ
حَاطَ الرِّعْيَةَ مِنْ بَصْرَى إِلَى عَدَنَ وَمِنْ نَهَامَةٍ حَتَّى ارْتَاحَ جَعْلَانِ
فَجَدُّوا الشُّكْرَ لِلْعَوْلَى وَكَلَّاهُمْ يَدْعُو لَهُ بِالْبَقَا مَا بَقِيَ إِنْسَانٌ^(١)

وهذه القصيدة من غرر الشعر ، وللشاعر قصائد كثيرة في جلالة الملك على هذه السلسلة .
فإن الله تعالى لما أوجد جلالة الملك ووسع ملكه في جميع أنحاء بلاد العرب حفظ له الدين والتوحيد
الذى ما عمر هذا الملك إلا حفظهما ، وهذه الدولة لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتسك به . كما
قال الشاعر في قصيدة له قد مرّ مطلعها وقطعة من أبياتها :

قَوْمٌ إِذَا ذُكِرَتْ أَفْعَالُهُمْ فُخِرَتْ بِهِمْ رِبْعَةٌ مِنْ فَاسٍ إِلَى الصَّيْنِ
وَحِينَ خَفِيَتْ رُسُومُ الدِّينِ وَانْظَمَتْ وَسِيمَ أَهْلِ التَّقَى بِالْخُسْفِ وَالْهُونِ
اخْتَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ السَّعَادَةُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
فَكُنْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْقَوَامَ لَهُمْ وَكُنْتُ لِلدِّينِ قِسْطَاسَ الْمَوَازِينِ
أَعْطَوْا بِسَعْدِكَ حِفْظًا مَا تَوَهَّمَهُ فَاكْرَ وَلَمْ يَكْ فِي الدُّنْيَا بِمُظَنُّونَ
قَالَ الْعَزِيزُ الَّذِي أَنْتَ الْعَزِيزُ بِهِ قُمْ وَاسْتَعِزْ بِي فَإِنِّي نَاصِرٌ دِينِي
أَجَبْتَ حِفْظَكَ إِذَا نَادَاكَ مُعْتَزِمًا مَالِدُ رَهْمَاتٍ وَجُرْدٍ كَالسَّرَاحِينِ
إِذَا سَرَّيْنِ بَلْبَلٍ خَلَّتْ أَنْجُمُهُ مِنْ قَدَحَيْنِ الْخَصَى يَشْعَانِ فِي الطَّيْنِ

فثبت هذا الملك وثبتت قواعده على الدين والتوحيد والإنصاف ومناهج الحق ، فإن حُفِظَ
حفظهم الله في الدنيا والآخرة .

فهذه العاصمة القاهرة مَنْ تَجَوَّلَ بِهَا وَرَأَاهَا عَلِمَ أَنَّ مَلِكَهَا مَلِكٌ صَالِحٌ قَدْ أَصْلَحَ اللَّهُ مَلِكَهُ ،
لِجَمِيعِ التِّجَارَةِ النُّجْدِيَّةِ تَجَلَّبَ إِلَيْهَا كَالْإِبِلِ وَالْأَغْنَامِ وَالذَّهْنِ وَالْحُبُوبِ وَالسَّكْلَاءِ وَالْخَطْبِ وَالْفَحْمِ
وَالْمَلْحِ ، أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ جَمِيعَ الْأَقْمَشَةِ الَّتِي تَرْدُ الْحِجَازَ وَتَرْدُ الْخَلِيجَ الْفَارَسِيَّ وَالسُّكْرَ وَالشَّايَ وَالْقَهْوَةَ
وَالْهَلِيلَ ، جَمِيعُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ عَلَى اخْتِلَافِهَا تَرْدُ إِلَى تِلْكَ الْعَاصِمَةِ ، وَقَدْ سَاعَدَ عَلَى نَقْلِهَا آلَاتُ
النَّقْلِ الْحَدِيثَةُ كَالسَّيَّارَاتِ وَغَيْرِهَا ، فَكُلُّ يَوْمٍ تَرْدُ تِجَارَةٌ جَدِيدَةٌ فَتَبَاعُ وَتَشْتَرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَهِيَ
زَهْرَةُ الْبِلَادِ النُّجْدِيَّةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ الزَّاهِرِ ، هَذَا السِّيَاقُ عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَحَجَرُ الْيَمَامَةِ قَدْ دُرْسَ رَسْمُهُ

(١) بقى ، هنا بتسكين القاف للتخفيف ولإقامة الوزن ، وهو عربي جيد .

ولم يبق إلا اسمه الذي كان يعرف به في الزمن القديم ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

كَانَ حُدُوجَ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا حَدَائِقَ دُومِ الْقَادِسِيَةِ أَوْ حَجَرِ

وتلاشي هذا الاسم في اسم الرياض^(١) ، كما يتلاشى الملح في الماء . وقد ذكر صاحب معجم البلدان المصانع الواقعة بين المدينة التي تسمى الرياض اليوم وبين منفوحة ، والمصانع في اللقنة : الآبار والأحواض ، وهذه تصنع عادة للزراع والبساتين ، والمصانع أيضاً : المبانى ، قال غِيلَانُ ذو الرمة :

أَلْفٌ أَجَادَتْ فَتَلَّهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَّالَةٌ بِالمَصَانِعِ

يصف النباتَ والمطرَ الذي أجاد نبتَه حتى اشتبك من سحابة سكبت عليه ماءها في برج الأسد من نوء الذراع حَلَّالَةٌ بالمصانع : ألقت على تلك الرياض المطر ، وقال الله تعالى في البناء : (وتتعذرون مصانع لعلكم تخلدون) وموضع الرياض اليوم ظنى أن البقاع المنخفضة منه المتساوية كانت رياضاً فسمى بها^(١) .

والأسماء المشهورة في الجاهلية بالنيامة : حجر النيام ، وجو النيام ، والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل النيام ، وبنو حنيفة يسكنونه من أعلاه إلى أسفله ، وما حوله بمنة ويسرة قصور ونخيل ومزارع ، أعلاها البرة وما حولها ليحيى بن طالب الحنفي ، وقد مر ذكرها عند الكلام على قرقرى في قصائد زهير ، وضُرِمَى وما حولها من القصور والمزارع إلى الخائر هذه مساكن ثَمَامَةِ الحنفي ، وتسمى إلى هذا العهد بوادي ثمامة ، ومن أعلى الحنسية إلى بلد الخَزَجِ كلها لبني حنيفة ، ثم انتقل منهم بَطُونٌ وجماعات كثيرة بعد الفتوحات إلى جهة العراق والشام ، واستوطنوا في تلك الجهات إلى هذا العهد ، ولهم في ذلك الوادي بقايا من المنصر الحنفي ، وأهل تلك الناحية يُعرَفون بشدة البأس ، والصبر عند القتال ، والثبات في موطنه ، وقد شهِدَ لهم ذلك في مواطن كثيرة ، قالت العرب : فتحننا فارس والروم بعد علم أخذناه عن بني حنيفة في القتال ، والذين قالوا هذا القول من العرب هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه .

والنيامة : جبل معترض في نجد الشرقية ، كما قال عمرو بن كلثوم في صفته ، وإنما يصف وجهه

(١) ظنى أن هذه اللفظة غلبت على حجر ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان عند الكلام على الرياض « روضة القميعة » وذكر رياض السلي ، والقميعة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند موضع الرياض ، والسلي : قريب الرياض ، فلعل هذه الأماكن جمع بعضها إلى بعض فقالوا « الرياض » وهم يعنون جمع روضة ، ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه .

الغربي وأنوفه الشاهقة حين قال :

* كأسياف بأيدي مصلتين *

فلا ترى لهذا الجبل العظيم خشنا شاهقا إلا متيما القبلة كأنه يصلى ، فإذا رأيته وقد أشرقت فيه الشمس تبادر إلى ذهنك بيت عمرو بن كلثوم ، إذا أتيت هذا الجبل من جهته الغربية جازمت أنه من أرفع جبال الأرض ، فإن أتيت من جهته الشرقية ظننت أن ليس هناك جبل ، لأنه يكاد يكون لا طئا بالأرض ، ولهذا الجبل شأن عظيم ، وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور : إما أن تكون فيه ، أو تراه بأعينها جائمة في غربيه أو شرقيه ، وجميع غراس هذه الجهة يشرب من ماء هذا الجبل أو من سيله ، فهي من أجود غراس نجد ، وثمرتها خالصة بغير جلد ولا قشر ، ويكفيه خرا أن هذه العاصمة القهارة العظيمة الرياض قد بركت بأجمعها في وسطه ، وأتت رحلها فيه ، وهي قاسمة بين الناحيتين الشمالية والجنوبية منه ، ما كان منها شمالا إلى نهاية طرفه الشمالي فمروسيها خضرى ، وهو نوع من النخل ، وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وما كان في الناحية الجنوبية منه إلى طرفه الجنوبي فمروسيها يقال لها « الصفري ، والسري » وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وطرفه الشمالي محاذ النجاج ، وطرفه الجنوبي محاذ للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه يضمف إذا خلف بلد « لغاط » مقر السداری أحوال جلالة الملك ، وبلد لغاط قديمة جاهلية واقعة في سفح جبل اليمامة في غربيه ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد قال المهرار بن حكيم الربعي في أرجوزة له^(١) :

والجوف خير لك من لغاطٍ ومن آلات وإلى أراط

وسبط محذم الأوساط ومن جواد الشط ذى انمط

وقال عقبة بن قدامة يمدح بني مازن :

وهم حصدوا بنى سعد بن قيس على القصبات بالبيض القصار

وردوم يغداة لغاط عنهم بأكبائر وأفشدة حرار

والقصبات موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي مزارع وقصور وبلد بها نخل في غربي

عنتك اليمامة يقال لها اليوم القصب .

نرجع إلى ذكر لغاط ، وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر :

وعلى لغاط بات يلفظ سئله ويشج في لبب الكتيب ويصخب

ولقد صدق عمارة في وصف سيل هذا الوادى ، فإنه يشج في لب كذيب أحمر ، وقد رأيت
يشج فيه ، فإذا انعرج جبلُ اليمامة مما يلي موضعاً يقال له « خشم العرنية » ضَمَفَ كأنه عزم على
الهلاك ، فينقطع في موضع يقال له « جزيرة » لأن هذا الجبل العظيم جزر فيه كما يحجزر البحر ،
وتحاذيه مما يلي الغرب أكمة حراء متراكمة ، غربى تلك الأكمة النجاة وقراها ، وشرقيها بلد
الزلفى وقراها ، وهى التى كان يقال لها فى الجاهلية : زليفات ، وزلفة ، وقد غلط صاحب المعجم فى
قوله^(١) : إنها ماء شرقى سمراء ، وقد قال الخطيب فى ذلك يخاطب رجلاً :

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وأراط : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب من جهة غربى اليمامة الشمالى ، ويصب
فى جهتها الجنوبية الشرقية ، ويفيض فى العتق فى جَرَّيَانِه جاعلاً وادى سدير على شماله .
وقال عبيد بن أبى الأص فى ذكر زلفة ، وهو من قطاع الطريق فى تلك الناحية :

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوْمَ أَقْوَاعِ زَلْفَةٍ عَلَى مَا أَرَى خَلْفَ الْقَنَا لَوْ قُورِ
أَرَى صَارِمًا فِى كَفِّ أَشْمَطِ ثَائِرٍ طَوَى سِرَّهُ فِى الصَّدْرِ فَهُوَ ضَمِيرٌ

وقال عبد الرحمن بن حزن فى ذلك الموضع :

سقى جدنا بين الغميم وزلفة أحمُ الذَّرَى وهى العَرَالى مطيرُها
إذا سكنت عنها الجنوب تجاوبت جلال مرابع السحاب وخورها
وإنى لأصحاب القبور لغابط بسوداء إذ كانت صدَى لأزورها
كأنَّ فؤادى يوم جاء نَعِيمُهَا مُلَاءَةٌ قَزَبِينَ أَيْدٍ تُطِيرُهَا

وتلك الناحية هى مساكن مالك بن الرئبِ الرجل المشهور الذى هلك فى خراسان ، وله
قصائد مشهورة ، وقد ذكر أوطان قومه فى تلك الناحية ، وقد مضى كلامنا عليها ، وما ذكره السمين
وهى من تلك القرى ، وكان يقال لها « سمنان » وجميع المواضع الذى ذكرها زياد بن حنبل
بن سعد بن عبيدة بن حريث التميمى النسب وهو فى صنعاء يتشوق إلى أوطانه واقعة فى القطمة
الشمالية من اليمامة ، فمن ذلك قوله فى قصيدة رواها أبو تمام فى ديوان^(٢) الحماة :

وَحَبَّذَا حِينَ تُنْمِى الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِى أَثَرِ وَفَتِيَانٍ بِهِ هُضُمُ
الوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرِمٍ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَّمُوا

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٩٨ .

(٢) انظر شرح التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين (٣ / ٣٢٤) .

وادي أشى : موجود بهذا الاسم في وادي الشقر مما يلي بلد الجمعة المشهورة بهذا الاسم ،
وقال في هذه القصيدة :

مَتَى أَمَرْتُ عَلَى الشَّقَرَاءِ مَعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لِحْمَا زَيْمٍ
وَالْوَشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابِلَهَا مِنْ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلَهَا ثَرَمُ
يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْ جَنْبَى مَكْشَحَةٍ وَحَيْثُ تُبْنَى مِنَ الْخَفَاءِ الْأَطْمُ
عَنِ الْأَشَاءِ هَلْ زَالَتْ تَحَارُمَهَا وَهَلْ تَغْيِرُ مِنْ آرَامِهَا إِدَامُ
وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ الدَّهْرَ حَاضِرَهَا جَبَّارُهَا بِالْنَدَى وَالْحُلِّ مُحْتَزِمُ

ذكر هذه المواضع ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد : الشقراء التي ذكرها هي جبل أشقر بين شقري وذات غسل ، فسميت « شقري » عاصمة بلاد الوشم اليوم بهذا الاسم ، بعد أن حذف حرف التعريف ، والوشم : بلدان معروفة متفرقة يقال لها الوشم إلى هذا العهد ، وقرى الوشم : شقري ، وهي عاصمة تلك النواحي ، ويليهما في الجهة الشمالية من البلاد : أشيقر ، والفرعة ، ويليهما من ناحيتها الشمالية الشرقية الداهنة : الجريفة ، والحريق ، والقصب في جهاتها الشرقية والمشاش في تلك الناحية منها ، ويليهما في الجهة الجنوبية منها : القرين ، وهما قريتان : الوقف ، وذات غسل ، وهي بلد مصنف هذا الكتاب ، ومما يلي القرين في الجهة الجنوبية : أنثية ، وهي بلد جرير الشاعر وذريته ، ويليهما في الجهة الجنوبية منها : مراة ، مساكن بنى امرى القيس التميمي ، وثرمداء ابني سعد وبنى منقر في الجاهلية ، وقد ذكروا أن قيس بن عاصم المنقرى كان يرتاد ثرمداء من باديته ، وهي التي يقول فيها علقمة الفحل :

مَا أَنْتَ أُمَّ مَا ذَكَرَهَا رَبِيعَةً يَخْطُ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءِ قَلِيبِ

وأشيقر وذات غسل وأنثية ومراة وثرمداء والقصب ، جميع هذه المواضع أسماءها جاهلية وهي باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، والوشم يبعد بعضه عن بعض مسافة يوم ، والثنايا التي ذكرها الشاعر ثنايا الأدب ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وخلَّ النقا : معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، في شرقي شقري الشمالي ، ينفذ من الكئيب الأحمر الواقع شرقي شقري ، والأشاة هي أشى الذي تقدم ذكره ، وقال في قصيدته :

* جَبَّارُهَا بِالْنَدَى وَالْحُلِّ مُحْتَزِمُ *

تلك الناحية التي ذكرها لأعلم أعظم من جبارها إلى هذا العهد ، تسمى النخلة العظيمة جبارة ،
وقال في قصيدته :

بل ليت شعري متى أغدو تُعَارِضُنِي جَرْدَاءَ سَابِجَةً أَوْ سَابِجَ قُدُمٍ
نَحْوِ الْأَمِيلِجِ أَوْ سَمْنَانَ مِمَّنْ كَرَا بَفْتِيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَارُ وَالْحَكَمُ
لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أَرْدِيهِ إِلَّا جِيَادُ قَسَى النَّبْعِ وَاللُّجَمِ

الأميلج : موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد في سفح جبل اليمامة يقال له « مليح » نزل في هذا العهد الأخير قسم من مطير رئيسهم ابن سقيان من بنى عبد الله بن غطفان ، وسمنان : قد مضى الكلام عليه في شواهد مالك بن الربيع ، يقال له : سمنان ، والسمينة .

وجبل اليمامة ينقسم ثلاثة أقسام بالاسم : جبل طويق ، وهو يطلق على القطعة الشمالية منه عند أهلها ، وهي تم جميع اليمامة ، ووسطه يقال له : العارض ، وهذا الاسم يعمه كله ، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العوريز ، ثلاثة الأسماء هذه تطلق على جبل اليمامة من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالى ، وهو جبل متحتم منعقد بمغصه ببعض ، طرفه الشمالى يبعد عن طرفه الجنوبي مسافة شهر أو أكثر ، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق : منها وادي العتك الذى فى أعلاه القصب ، وفى هذا الجبل يقع المشقر ، ومنها وادي السكب وفيه قرى عامرة ونخيل منها بلد الجمعة ، وهي عاصمة قرى سدير ، ويلبها بلد حرمة ، وبلد ظلمى وبلد الحائر والحويرت ووشى الذى مر ذكره ، ومنها وادي جلاجل ، ذكروا أنه يسمى وادي المياه ، وبلية بلد التويم ، وفى أعلى تلك الناحية المشبة ، ومنها وادي سدير ، وهو وادٍ عظيم فيه قرى ونخيل ، أعلاه بلد الروضة ، وبلد الحصون ، وبلد الجنوبية ، وبلد الحوطة ، وبلد العطار ، وبلد العودة ، وهي أسفل ذلك الوادى ، وفى شرق ذلك الوادى قرى : منها الخطائم ، وعشيرة ، ونعير فإذا قطعت وادى العتك قاصداً الجنوب أتيت إلى وادى بعيثران ، وفى هذا الوادى مدينة ثادق بلد كثيرة النخل والمزارع ، ثم تسير إلى جهة الجنوب ، وتأتى بلد البير والصمغرات جاعلاً بلد رغبة على يمينك ، ثم تأتى وادياً عظيماً يقال له « أبو قتادة » وفى هذا الوادى بلد حريملا ، وبلد القرينة ، وبلد ملهم ، ونخل تلك الناحية من أكرم النخيل وأحسنها ، وفى جهته الجنوبية سدوس ، وفى أسفل ذلك الوادى بلد دقلة ، وغيانة ، ثم تنفذ من تلك الناحية ، وتأتى وادى حنيضة وقد مضى الكلام عليه ، ثم يأتى وادى الحائر ، ووادى الأوسط ، ووادى نساح ، وهو وادى الخرج ، وسيأتى الكلام على الخرج فى معلقة عنقرة .

فإذا توجهت قاصداً الجهة الجنوبية لعيك وادى ماوان ، وقد مضى الكلام عليه ، ثم يلقاك الواديان العظيمان : برك ، وبريك ، وفى أسفلهما بلد الحوطة ، وبلد الحلوة ، وبلد القويح ، وبلد

العطيان ، وفيهما قرى ومزارع كثيرة ونخيل عظيمة ، وجميع هذه البقعة خالصة لابنى نعيم ، وفي أعلى وادى بريك بلد نعام ، و بلد المفيجر ، و بلد الحريق ، وهى لبني هزان ، ومعهم جماعات من العرب ، و بها نخيل كثيرة ومزارع ، وإذا اتجهت نحو الجنوب لقيك قرى الأفلاج ، وأعلامها فى الجهة الشمالية منها بلد الحر ، وفى شرقها الشمالى وسيلة ، وتليها بلد ايلي ، وهى عاصمة تلك الناحية ، ثم بلد السبيح وهى بلدة كثيرة النخيل ، و بها عيون جارية تنبع من الأرض ، و بينها بلد العمار ، ثم بلد الخرفة ، ثم بلد الروضة ، ثم بلد سويدان ، ثم بلد البديع ، ثم بلد مروان ، ثم بلد الرزقية ، وفى أسفل وادى الحر واسط ، والغيل مما يلى واسط جنوبا ، وحراضة ، وانستارة ثم يتجه هذا الجبل جنوبا ، ثم يلقاك وادى الهدار ، ثم يضمف هذا الجبل بين قرى الأفلاج و بين قرى الوادى ، ثم تلتاك أودية كمدة ، و بها نخيل و غلات كثيرة من نتاج الأثل الذى يسمى الكرمع ، ثم يتجه هذا الجبل إلى جهة الوادىسمى بوادى الدواسر ، فإذا حاذى الوادى ذلك الجبل العظيم خفى من كثرة الرمال ، ويسميه أهل تلك الناحية « المندفن » ثم يتجه إلى جهة مطلع الشمس ، وهو على خفائه ، و بعد الوادى بمسيرة يوم ونصف يوم يظهر رأسه ، ثم يعظم وهو متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الوادى حتى يتصل بجبال نجران ، وجميع قرى الوادى للدواسر وهم بطن من العرب أصلهم من اليمن ، ثم تحالفوا وكانوا أخلاطا وأقساما ، ويعرفون بالدواسر . فأما القرى التى تطل على ذلك الجبل وهى فى غربيه فجميع قرى الزلفى ، وأسفل قرى القصيم ، وقرى الوشم ، وقرى البرة ، وقرى ضرمى ، جميع تلك النواحي ترى ذلك الجبل بأعينها وليس من شرط هذا الكتاب الإطالة ، ولكن لما عرض ذكر الهيامة فى قصيدة عمرو بن كلثوم أوردناها .

* * *

٤ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّدٍ مَغْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ بِتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْمُخْجَرِينَ
تَرَكَنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَغْنَتْهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِدِي طُلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُؤَعِدِينَ

ذو طلوح : موضع موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم يقال له « الطليحي » يعرفه جميع أهل نجد بهذا الاسم ، وهو من منازل الحاج بين العراق ومكة ، يقع شمالى بلدة « قبة » التى سكنها بنو على بطن من بنى حرب فى الأيام الأخيرة ، ورئيسهم محسن الغرم ، وهى على مسافة يوم (٢٧ - صحيح الأخبار ١)

أو أقل ، بينه وبين زرود الأكتبة الحُجر التي كان يقال لها في الزمن القديم « رمال عاج » وفي هذا العهد يقال لها « العروق » وذو طلوح واقع في ضفتها الشرقية ، وزرود في ضفتها الغربية ، وبينهما الكتّيب ، وقد وفد الأعشى ^(١) الشاعر على عمرو بن هند اللخمي ، فوافاه بذى طلوح في تجواله في القنص ، فقال قصيدة منها هذا البيت :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا ورَأَيْنَا الْمَلَكَ عَمراً بَطْلَحَ
وقال أبو ذؤاد الإيادي :

تعرف الدار وَرَسْمًا قد مَصَّحَ وَمَعَانِي الْحَيِّ فِي نَفْثِ طَلَحَ؟
وقال جرير بن عطية :

مَتَى كَانَ الْحَيَامُ بِذِي طَلُوحٍ سُعَيْتِ الْغَيْثَ أَيْتَهَا الْحَيَامُ
وله شواهد كثيرة قديمة وحديثة ، ولكن بقاء هذا الاسم إلى هذا العهد يكفيه شاهداً ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « الطليحي » .

الشامات : كشيان الحُرَّانِ فيها بياض ، وهما أعظم تلك الأكتبة ، لاتبعدان عن ذى طلوح المتقدم ذكره ، ولكنهما إلى زرود أقرب ؛ فتسمى « شامات زرود » ولاتزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهي التي عفاها عمرو بن كلثوم بقوله :

* إلى الشامات ننفي الموعدينا *

* * *

٥ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينًا
وَنَحْنُ غَدَاةٌ أُوقِدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطٍ تَسَفُّ الْجِلَّةُ الْخُورُ الدَّرِينَا

خزاز : جبل معروف في عالية نجد الشمالية ، وبه يوم من أيام العرب ، وأشار عمرو بن كلثوم إلى هذا اليوم ، لأنه لقبيلته ، وهو أول يوم امتنعت فيه العدنانية من البمانية وضفطهم ، وهو الجبل الذي ذكره الحارث بن حازة في معلقته ^(٢) حين قال :

فَقَنُورَتِ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازٍ هِيَاهُ مِنْكَ الصَّلَاةُ
وقد أصاب شاعر من العرب حين قال :

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٥٤ و ٥٦ . (٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٤٢٨ - ٤٣١ .

الشامات

خزاز

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منمعج فضاق بهم ذُرْعًا خَزَازٌ وعَاقِلٌ
 أما بطن منمعج فهو موضع « دخنة » اليوم التي سكنها بطونٌ من حرب في أوائل القرن
 الرابع عشر ، وخزاز واقع في غربيه على مسافة ساعة للماشي على قدميه ، وهو من أجلة الخامر ،
 وعَاقِلٌ قد مضى الكلام عليه وذكرنا أنه قريب الرس ، وأنه يقال له اليوم « العاقلي » وقد
 أكثر الشعراء من ذكر خَزَاز ، وقال النميري وهو رجل من بني ظالم يقال له الدهقان :
 أنشد الدار بعطفي مَنمعج وخَزَازُ نَشْدَةُ الباغِي المِضْل
 قد مضى حَوْلَآن مَذْهَبِي بها واستهلَّتْ نصفَ حَوْلٍ مَقْتَبِل
 فَهَمِّي خَرَسَاءَ إِذَا كَلَّمَهَا وَيَشوقُ العَيْنَ عِرْفَانُ الطَّلَل
 وقال القتال الكلابي :

وسفح كدود الهاجري بجممعج تحفر في أعقارهن الهجارسُ
 موائل ما دامت خَزَازُ مكانها يجبانة كانت إليها المجالسُ
 تمشي بها رُبْدُ النعام كأنها رجال القرى تمشي عليها الطيالسُ
 وقال السفاح التغلبي :

ولَيْلٍ بَتْ أَوْقَدُ في خَزَازٍ هَدَيْتُ كِتَابًا متحيراتِ
 ضلن من الشهاد وكنّ لولا سَهَادُ القوم أحسب هاديَاتِ

ويوم خزاز الذي أوقدت النار فيه بين زرار واليمن ، وعلى ربيعة السفاح التغلبي ، واسمه
 سلمة بن خالد ، وكليب يجمع الجموع من ربيعة ، فقال سلمة : أوقد لي نارا واحدة في أعلى خزاز
 فإن قرب منك العدو فأوقد نارين ، فلما قرب العدو أوقد السفاح نارين ، فاجتمعوا واقتتلوا قتالا
 شديداً ، وانهمزت اليمن ، وفي رواية ثانية عن أبي زياد الكلابي أن رئيس جيوش زرار الأحوص
 ابن جعفر بن كلاب ، وأن موقد النار في خزاز من ربيعة ، ولهذا كان شعراؤها يذكرون تلك النار
 وإيقادها ، وخزاز : باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وذو أراط : موضع معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم ^(١) إلى هذا العهد ، وهو وادٍ
 يصب من جبل طويق متجها إلى جهة مطلع الشمس ، جاعلا وادي سدير على شماله ، وقد مضى

(١) أراط : هو الذي ذكرنا ، وهناك واديان عظيمان بعضهما قريب من بعض ، الأول : بين
 وضاح ونقي ، والثاني : يقع شرقي جبال حليت المعروفة غربي بلد نقي ، يقال لها « الأراطوي » .

الكلام عليه في هذه المطلقة على ذكر اليمامة ، قال راجز من بني نغير^(١) :
 أنى لك اليوم بذى أراط وهنّ أمثالُ السرى الأمرار
 تنجو ولو من خلل الأمشاط يَلْحَنَ من ذى لائب شرواط
 وقال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غداة يوم ذواتِ بهذى لدى الوتداتِ إذ غَشِيَتْ تميمُ
 ضربنا الخيلَ بالأبطالِ حتى توت وهي شاملها السكومُ
 فأشْبَعْنَا ضباعَ ذوى أراط من القَتْلِ والجثثِ الفُئومِ
 قَتَلْنَا يومَ ذالكِكم بيشر فكان كفاه مَقْتَلَكُم حَكِيمُ
 وهذا الوادي موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ترعاه نم جميع قرى سدبر ، وتفضيد السكلاء
 منه ، وهو كالحى تقيم به آباهم وأغنامهم ، وليس في هذا الوادي قرى معمورة ، بل جميع القرى
 المعمورة محاذية لضفته الشمالية الشرقية ، وتبعد عنه تلك القرى مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات
 للماشى على قدميه .

وأراط ، ومبايض ، وذو طلوح ، والنباج ، وزرود ، كل موضع من تلك المواضع به يوم من
 أيام العرب ، وهي باقية بهذه الأسماء من الجاهلية إلى هذا العهد ، ولا يبعد بعضها عن بعض إلا
 مسافة ثلاثة أيام للراكب الجهد ، وأكثر الأيام وقعت بين بني تميم وبكر بن وائل ، وتلك المواضع
 واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد .

قد انتهينا من المواضع التي ورد ذكرها في معلقة عمرو بن كلثوم ، وسنبتدىء في معلقة عنقرة
 ابن شداد العبسي ، ونوضح ما ورد فيها من المواضع .

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٦٨ وفيه أن الذي في رجز النجيري « أراط » بزنة غراب ، وأن
 الذي في شعر الفقيمي « أراطي » بزنة حباري .

٦

عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ الْعَبْسِيُّ

عنتره بن شداد العبسى

هو عنتره بن شداد ، وفى رواية ابن عمرو بن شداد ، ويُعد من أغربة العرب ، سُمُوا أغربة لسوادهم ، كأنهم الغريان ، منهم ثلاثة منسوبون بأسمائهم عنتره^(١) ، وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدى ، وأمه نذبة ، والسليك بن عمير السعدى ، وأمه السلركة ، وإليه ينسبون ، هلك عنتره قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وعشرين سنة تقريباً .

وهذا مطلع معلقته :

١ — هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

إلى أن قال :

يَادَارَ عُبَلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عُبَلَةَ وَأُسَلِّمِي

إلى أن قال :

وَتَحْمِلِ عُبَلَةَ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا بِالْحَزَنِ فَالْقَتَامِ فَالْمُتَكَلِّمِ

الجواء : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرئ القيس .

الجواء

الحزن : قال الأصمى فى كتاب جزيرة^(٢) العرب : الحزون فى جزيرة العرب ثلاثة : حزن

الحزن

بنى يربوع ، وحزن غاضرة من بنى أسد ، وحزن كلب من قُضَاعَة ، والذى عناء عنتره : هو حزن بنى يربوع ، وهو اليوم معروف عند عامة أهل نجد ، ولكنهم أبدلوا نونه لاما فقالوا له «الحزل» وجمعه حزول ، وهو واقع فى شرق الأكمة المتاخمة للجبل طى فى جهتها الشرقية ، وهو الذى عناء جرير بقوله فى مديحه لعبد الملك بن مروان :

سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْبِ وَدُونَهُمْ فَيَعْنَانُ فَالْحَزَنُ فَالْصَّانُ فَالْوَكْفُ

إلى أن قال :

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَخْذُوهَا ثَمَانِيَةً وَلَيْسَ فِي فَضْلِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفُ

وهذا الحزن هو الذى عناء القتال الكلامى بقوله :

وَمَا رَوْضَةُ الْحَزَنِ قَفَرٌ مَجْدُودَةٌ يَمِجُّ النَّدَى رِيحَانُهَا وَصَبِيبُهَا

بِأَطْيَبَ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ أُمِّ طَارِقٍ وَلَا طَمْعُ عَنُقُودٍ عَقَارُ زَبِيبِهَا

(١) لكن إضافة عنتره إلى أمه أقل من إضافة صاحبه إلى أمهما . وانظر الشعراء (١٣١) أوربه

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٩ .

وتلك القطعة الشمالية من نجد تُعدّ من أخصب البلاد إذا أمطرت ، وكانت العرب تقول : من تربّع الحزن وتَشَتَّى الصمان وتَقِيطُ الشرف ، فقد أخصب ، وفي رواية ثانية عن الأصمعي أنه قال : من تشَتَّى الدهناء وتربّع الصمان واصطاف الحنى ، فقد استكمل المربع . وقال محمد ابن زياد الأعرابي : سئلت بنت الخس : أي البلاد أحسن مرعى ؟ فقالت : خياشيم الحزن وجواء الصمان ، وبالصمان موضع يقال له الجويات جوبات الحمل ، وهى التى عَنَتَهَا ، ثم سئلت وقيل لها : ثم ماذا ؟ فقالت : أَجَلَى ، وأجلى : هضبة فى عالية نجد جاثمة على ضفة وادى الجريز الجنوبية ، يتركها سالكُ الطريق من مكة إلى الرياض على شماله ، وهى بين عفيف والدفينة ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والحزن معروف بطيب النبات ، ومشهور عند شعراء العرب بطيب الرائحة فى أيام الربيع ، وهو الذى يقول فيه كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمجج الندى جَمَجَمَتُهَا وَعَرَّارُهَا

بأطيب من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

وقال ابن الأعرابي : سرق رجل من العرب بعيراً ، فوُجد السارق فى أرض الحزن ، ووجد البعير عنده ، فقيل له : إنك سارق هذا البعير ، وكان أهل البعير شمالى الحزن ، فجدد سرقة البعير ، وكانت أرض الحزن مخضبة ، فقال الأعرابي : إني لم أسرقه ، ولكن هاجت ريح الجنوب وشم بعيركم رائحة نبات الحزن ، فنزع إليها وأتاني ، وحفظته لكم ، وقال الأعرابي فى ذلك :

ومالى ذنب إن جَنُوبٌ تنفّست بنفحة حزني من النبت أخضرا

فأخذوا بعيرهم وتركوه ، وهو مشهور اليوم عند عامة أهل نجد بالحزل كما قلنا ، وبه مياه عادية يقال لواحدھا : الحزل ، وجمعها الحزول ، تبعد عن بلد حائل ثلاثة أيام تقريباً ، وهى مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد تقع شرق الأكنبة الشرقية عن الجبلين أجاً وسلمى .

الصمان : قطعة من الأرض معروفة عند عامة أهل نجد ، جهتها الجنوبية يشقها الطريقُ السالك بين اليمامة والأحساء ، وشماليتها يشقه الطريقُ السالكُ بين القصيم والبصرة ، وهذه القطعة الواقعة بين الطريقين هى التى تطلق عليها عند عامة أهل نجد « الصمان » وكانت مفاوز ومَوَامِي فى أيام القبط لا يجوزها حينذاك إلا الإبل التى تحمل الماء ، وفى هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز استنبطت المياه الكثيرة العذبة فى جهتين منها ، بالآلات الحديثة : الأول : ماء فى طريق الأحساء فى روضة « الحنى » وهى فى المنتصف بين الأحساء ومنهل أبى جفان فى جبل العرمة فى شرقيه من جهة الدهناء ، والماء الثانى : فى روضة « الشملول » على طريق الكويت

مما يلي روضة معقلا ، قال في معجم البلدان على ذكر معقلة^(١) : سميت معقلا لأنها تمقل الماء في بطنها كما يعقل الدواء البطن ، وقال في معجم البلدان عن الأزهرى : قد رأيتها ، وفيها خبارى كثيرة تُمسك الماء دهرًا طويلا ، وبها جبال رمال متفرقة يقال لها : الشامليل ، واحداها شملول ، وهذا الاسم الذى به موضع الماء اليوم يقال له الشملول ، وهو اسم جاهلى لم يتغير . ومياه الصمان التى في جهته الجنوبية قريبة المنزع كالعوينة وجودة والنجبية ، وهذه المياه على طريق الأحساء الشمالى ، والعوينة على طريق الجبيل ، وأما مياهه الشمالية فهي نحائت عادية بعيدة المنزع من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، وهى : ماء القرعى ، واللصافة ، واللاهبة ، وتلك المياه لها ذكر في أشعار الجاهلية وهى مياه بنى تميم . يقع في شرقها مياه قريبة المنزع : وبرة ، وهى التى ذكرها النابغة ، وسماها « ثبرة » والوفرى ، وقرية ، أما قرية : فسكنت وعُمرت ، عمرها جماعة من مطير رئيسهم الدويش بن شقير ، واللصافة التى مر ذكرها ووبرة هى التى يقول فيها النابغة وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر ذكرها في قصته :

وَبِالْمُرْقِلَاتِ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرُنْ إِلَّا سِيرُهُنْ تَدَافِعُ

والنهل الشمالى منها هو الحفر حفر أبى موسى الأشعرى .

أما المتنم فابنى لا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا جبلا قدم ذكره في الكلام على معاقبة زهير ، وهو جبل مُتَنَّمٌ رأسه ، يقال له اليوم « جبل أبى ثلوم » ولا يستغرب ذكر الأماكن البعيد بعضها من بعض لأن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال في الجاهلية^(٢) :

لَمِنْ الدَّارِ أَقْفَرَتْ بِمَعَانَ بَيْنَ شَاطِئِ الْيَرْمُوكِ فَالضَّمَّانِ
فَالْقُرَيَّاتِ مِنْ بِلَاسِ فِدَارِيَا فَسَكَاةُ فَالْقُصُورِ الدَّوَانِي

ذكر في هذه الأبيات « معان » ، واليرموك ، والصمان ، والقريات ، والسكاة التى يقال لها السكاكا من قرى الجوف ، وبين بعض المواضع وبعضها مسافة شهرين تقريبا ، فلا يبعد أن عنقرة ذكر الحزن والصمان والتمنم^(٣) ، وهى يطوف عليها الراكب في أقل من عشرين يوما .

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٩٨ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٨٣ . (٣) ظهر لى بعد التأمل أنه إن لم يكن المتنم الجبل المذكور فإنه يكون مقروءا ، وهو فى الصمان ، يتمنم إذا كثرت فيه الماء ، فسمى المتنم كما سميت الحرما بالحرما لحرم الماء لها إذا كثرت .

٢ - وقال عنقرة :

وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَطْنِي غَيْرَهُ مَنِي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكَرَّمِ
كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بَعْنِزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِ

عنيزتين : قد مضى الكلام عليها في مواضع كثيرة ، على معنقة امرى القيس ، وهما موضع عنيزة اليوم .

أما الغيل^(١) فلا أعلم موضعا بهذا الاسم يقال له الغيل آخره ميم ، بل أعرف موضعا يقال له « الغيل » آخره لام ، وهو موضع في البجعة في طرفها الجنوبي ، وهو واد عظيم يلحق بقرى الأفلاج ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال ذؤيب بن يثية^(٢) :

اعمرى لقد أبكت قُرَيْمَ وأوجموا بجزعة بطن الغيل مَنْ كَانَ بِأَكْيَا
وقال آخر :

يبرى لها من تحت أرواق الليل علس ألقى من حى الغيل
وقال البحتري الجمعدى :

أَلَا يَا لَيْلٍ قَدْ بَرَحَ النَّهَارُ وَهَاجَ اللَّيْلُ حَزْنَا وَالنَّهَارُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَجْأُورِ أَلْ لَيْلِي وَلَمْ يَوْقَدْ لَهَا بِالْغَيْلِ نَارُ
والغيل : ابني جمدة لأنها تسكن تلك الناحية ، قال عثمان بن صفصامة الجمعدى وقد مر به حمزة بن عبد الله بن قرة يريد الغيل :

وقد قلت للقرى إن كنت رائحا إلى الغيل فأعرض بالسلام على نُعْمِ
على نُعْمِنا لا نُعْمِ قومٍ سِوَانَا هِىَ الْهَمُّ وَالْأَحْلَامُ لَوْ يَقَعُ الْحَمُّ
فَإِنْ غَضِبَ الْقَرْيُ فِي أَنْ بَعَثْتُهُ إِلَيْهَا فَلَا يَبْرَحُ عَلَى أَنْفِهِ الرَّغْمُ
والغيل بهذا اللفظ لم يذكر أنه موضع محدد في كتب اللغة ، ولا في كتب المعاجم^(٣) .
فأقرب ما يكون لهذه اللفظة التي ذكرها عنقرة أنه قصد بها الغيل .

* * *

٣ - وقال عنقرة :

تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَمَا آوَتْ حَزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طُمِيطِمِ

(١) رواه أبو عبيد البكري « الغيل » بعين مهملة وذكر أنه في ديار عيس (٢ / ٩٧٧) .
وذكره ياقوت (٦ / ٣٢٠) ولم يبين له موقعا (٢) انظر ياقوت ٦ / ٣١٩ .
(٢٨ - صحيح الأخبار ١)

يَتَّبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعْسٍ لَهُنَّ مُخَمَّ
صَعَلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْقُرْوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

ذو العشيرة

المواقع التي تسمى بذى العشيرة كثيرة : منها موضع في أسفل وادى سدبر في جهته الشرقية، ومنها روضة العشر، بين البتراء والصفرى صفرى وشم اليمامة، ومنها عشيرة في وادى العقيق يمر بها الخارج من مكة إلى نجد، وذكروا أن في الصمان موضعا معروفا يقال له « ذو العشيرة » نسب إلى عُسْرَة نابتة فيه . وذكر صاحب المعجم^(١) أن في وادى الرمة موضعا يقال له « ذو العشيرة » يصب من قطن ، وهو في بلاد بنى عبد الله بن غطفان وقال شاعرهم^(٢) :

غَشِبْتُ اللَّيْلِي بِالْبُرُودِ مَنَازِلًا تَقَادَمْنَ وَاسْتَنْتَ بِهِنَ الْأَعَاصِرِ
كَأَنَّ لَمْ يَدْمَنْهَا أَنْيَسٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَعْدَ أَيَّامِ الْهَدْمَلَةِ عَامِرِ
وَلَمْ يَعْتَلِجْ فِي حَاضِرٍ مُتَجَاوِرٍ قَفَا الْفَضْنِ مِنْ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ سَامِرِ

قال في معجم البلدان^(٣) عن أبي عبد الله السكوني : ذات العشيرة من منازل حاج البصرة بين مسقط الرمل وبين الشيعة ، والشيعة : من قرى الجِوَاءِ يقال لها اليوم « الشيعية » ولا أعرف في تلك الناحية التي ذكرها صاحب المعجم موضعا يقال له « ذو العشيرة » وفي عقيق المدينة موضع يقال له « ذو العشيرة » وهي التي عناها عروة بن أذينة في قوله :

يَا ذَا الْعُشَيْرَةِ قَدْ هَجَبْتَ الْقَدَاةَ لَنَا شَوْقًا وَذَكَرْتَنَا أَيَّامَكَ الْأَوَّلَا
مَا كَانَ أَحْسَنَ فَيْكِ الْعَيْشَ مُؤْتِنَقَا غَضًّا وَأَطْيَبَ فِي أَصَالِكَ الْأَصْلَا
والذي ذكره عنتره هو للموضع الذي في الصَّمَّانِ ، لأن عنتره يقول :

صَعَلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْقُرْوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

والنعام لا يبيض إلا في أرض فلاة خالية من الأنيس ، قال في معجم البلدان : إن ذا العشيرة موضع في الصمان تنبت فيه عُشْرَة ، وهو نوع من النبات ، فسمى بها ذلك الموضع ، وأنا لا أعرفه في هذا العهد ، والمواقع المعروفة بهذا الاسم كثيرة في نجد والحجاز وتهامة ، ولكن ذا العشيرة الذي في الصمان قد أكثر الشعراء من ذكره ، قال أبو المسكارم الزبيري :

نَبْصَرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَانٍ بَرُوضِ الْقَطَا يَشْفَنُ كُلَّ حَزِينٍ ؟
جَمَلَانِ يَمِينًا ذَا الْعُشَيْرَةِ كُلَّهُ وَذَاتِ الشَّامِلِ الْخُرْجَ خَرَجَ هَجِينِ

انظر إلى الشاعر فإنه قرن ذا العشرة بروض القطا ، بروض القطا ليس بينه وبين الصمان إلا أكتبة الدهناء ، وعنقرة لم يعن إلا الموضع الذي في الصمان .
ثم إنى أطلت بعد ذلك البحث والتحقيق والسؤال والتدقيق فاهتديت إلى ذى العشرة ، وهو جو عظيم في الصمان كثير الأشجار والنبات ، يقال له اليوم « جو عشرين » معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، ويقع في غربى الصفاة ، يبعد عنها مسافة يوم .

* * *

ع — وقال عنقرة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدَّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
الدحرضان : ماءان لبني تميم : أحدهما : يقال له اليوم حرض ، وهو واقع في طريق الأحساء الدحرضان للسائر من الخرج ، ويقال له حرض إلى هذا العهد ، والثاني « وسيع » وهو ماء واقع في شرق العرمة مما يلي مطلع الشمس على طريق الأحساء ، وكان بنو تميم في الجاهلية يسكنون تلك الناحية وفي لغتهم كشكشة بإبدال السين شيئا فتسمى ذلك المنهل ^(١) وشيما ، فسكنت آل مرة وبطون من يام تلك النواحي فلم تَرِثْ من بنى تميم إلا الكشكشة بإبدال السين شيئا ، فهي تستعملها إلى هذا العهد ، إذا سألتهم في هذا العهد عن هذا المنهل المذكور قالوا : وشيع ، وهي لغة بني تميم ، وكان الزبرقان بن بدر التميمي ينزله وينزل « بديان » المنهل المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد والذي يبعد عن الرياض مسافة يوم ، قال الخطيئة في هجائه للزبرقان ^(٢) :

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بُنْيَانٍ يمنع مائه وماء وشيع ماء عَطَّانٍ مرمل

وفي نوادر أبي زياد أن وشيما ماء لبني الزبرقان قرب البجامة ، وهو معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد يسمى وشيما ، وهو منهل ترده الأعراب وهو دحرض الثاني ، وقد غلب القوم اسم حرض على وشيع فقالوا لها « الدحرضين » وزادوا دالا في أولها ، وباب التغليب باب واسع جداً ، كقولهم لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما « العمران » وقولهم للشمس والقمر « القمران » ومن هذا الكلام يتبين أن « دحرض » هو حرض المنهل المعروف في طريق الأحساء تغير عن الاسم الجاهلي تغيرا بسيطا ، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولها ذكر في أشعار الجاهلية ، منها قول عنقرة ، وقد قرنهما بالديلم ، والديلم : قريب من الموضمين ، وسيأتى الكلام عليه ، وقال الأفوه الأودى وهو شاعر جاهلي مشهور :

(١) المعروف أن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة المؤنثة شيئا . (٢) للجمع ٨ / ٤٢٤ .

الديلم

لنا بالدحرضين محل مجد وأحساب مؤتلة طماح
أما الديلم : فهو بلد عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى عاصمة الخرج ، ولكن
سقط من هذا الاسم حرف الياء ، فصار اسمه « الدلم » وهو بلد عظيم ، كثير المياه ، كثير العيون
الجارية ، كثير النخيل والمزارع ، تنبجه إليه أكثر السيول وتغمر به ، ثم تنبجه إلى موضع السهى
وإلى الخرج ، وهو وادى ناسح الذى يسقيه ، وأما الأودية التى تصب فيه ، فقد مضى الكلام
عليها عند الكلام على قول لبيد :

* جن البدى روايا أقدامها *

وأتمنا القول عليه عند الكلام على معلقة عمرو بن كلثوم فى ذكر اليمامة. وقرى الخرج كثيرة
منها السيج ، ونعجان ، والساحية ، واليمامة ، وزميقة ، والمذار ، وفيه مواضع بعثت فى عهدنا هذا
وهى : الهياثم ، وهو بلد لآل عاصم بطن من قحطان يرأسهم ابن حشر ، والضبيعة ، وهذا الاسم
جاهلى بقى إلى هذا العهد ، قال فى معجم^(١) البلدان : هى قرية باليمامة لبني قيس بن ثعلبة ، سميت
بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عاصم يقال لهم
« مجمان الرخم » يرأسهم ابن هديهد . وقال فى معجم البلدان على ذكر الخرج^(٢) : هو واد فيه
قرى من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل ، وهو خير واد باليمامة ،
أرضه أرض زرع ونخل ونبات كثير ، إذا كثرت الأمطار فى تلك الناحية أخضبت جوانبها ،
قال ذو الرمة فى شطر بيت :

* بِنَفْحَةٍ مِنْ خَزَامَى الْخَرْجِ هَيَّجَهَا *

وقال جرير :

آلُوا عَلَيْهَا يَمِينًا لَا تَكَلَّمْنَا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلَا مِنْ رِيَّةٍ خَلَفُوا
ياحبذا الخرجُ بين الدام والأدنى فالرمث من برقة الروحان فالغرف
وفى الخرج موضع يقال له « الغرافة »^(٣) إلى هذا العهد لا يبعد أن يكون هو المراد بالغرف
فى بيتى جرير المذكورين ، وهما من قصيدة استشهدنا بيت منها على ذكر الحزن وهو قوله :
ساروا إليك من السهى ودونهم فيحان فالحزن فالصمان فالوكف
السهى التى ذكرها جرير فى بيته تجتمع فيها سيول تلك الناحية ، وذكروا أن امرأة من أهل

(١) انظره ٥ / ٤٢٥ (٢) انظره ٣ / ٤١٧

(٣) وهو موضع غير الموضع الحديث الذى يملكه الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير .

تلك النواحي رأت السيول في وادى حنيفة تدنو من بيتها ، فسكنها خشبت أن تهدم بيتها ، فقالت تخاطب السيل : دَعْ بَيْتِي ، فَإِنْ كَانَ بِكَ شِدَّةٌ فَإِنَّ السَّيْبَ تَقَابِلُهَا وَتَحْتَمِلُهَا ، وَالسَّيْبُ تَبْعِدُ عَنْ « الدِّلْمِ » أَقْلَ مِنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ ، وَتِلْكَ الْأَوْدِيَةُ الَّتِي نَصَبَ فِيهَا ذِكْرَ أَهْلِ الْمَعَاجِمِ وَالْأَخْبَارِ أَنَّهَا كَانَتْ عَامِرَةً فِي الْأَزْمَنَةِ الْقَدِيمَةِ ، ذَكَرُوا عَنْ وَادِي حَنِيفَةَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ لَا يَزَالُ يَحْدُثُ الرَّجُلَ وَيَتَنَاقَلُ مَعَهُ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ ارْتِحَالٍ مِنْ بَلَدٍ الْبَرَّةِ إِلَى حَجَّرِ الْجِمَامَةِ عَاصِمَةِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ كَثَرَةِ السَّكَنِ وَالْقُرَى ، وَأَنَّ وَادِي نَسَاحٍ الَّذِي يَصُبُّ فِي الْخُرْجِ عَامِرٌ بِالْمَزَارِعِ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى بَلَدِ الْخُرْجِ ، وَأَنَّ وَادِي بَرْكٍ الَّذِي يَصُبُّ فِيهِ عَامِرٌ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى بَلَدِ الْخُرْجِ ، وَوَادِي حَنِيفَةَ إِذَا سَارَ سَيْلُهُ يَصُبُّ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى جِهَةِ مَطْلَعِهَا ، وَوَادِي بَرْكٍ يَصُبُّ سَيْلُهُ مِنْ مَطْلَعِ الْقُطْبِ الْبَلْبَانِيِّ قَاصِداً مَطْلَعَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى يَصُبَّ فِي الْخُرْجِ ، فَأَمَّا وَادِي نَسَاحٍ الَّذِي يَصُبُّ فِي الْخُرْجِ فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَصُبَّ فِي الْخُرْجِ ، وَهُوَ وَادٍ عَظِيمٌ قَدْ أَكْثَرَ الشَّعْرَاءَ مِنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ عِرْقَلُ بْنُ الْخَطِيمِ ^(١) :

لِعِمْرِكَ لِلرُّمَانِ إِلَى بَشَاءٍ لِحَزْمِ الْأَشِيمِينَ إِلَى صَبَاحٍ
أَحِبُّ إِلَيَّ مَنْ كَفَنِي بِحَجَارٍ وَمَا رَأَيْتُ الْخَوَاطِبَ مِنْ نَسَاحٍ
وَحَجَّرِ وَالْمَصَانِعَ حَوْلَ حَجَّرٍ وَمَا هَضَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَنَاحِ

وحجر والمصانع ومنفوحة كلها واقعة في بلاد الرياض والخرج عمره الله في هذا العهد على يدي جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ أوجد فيه المياه العذبة ، والزروع الكثيرة ، والمباني الشاهقة الحصينة ، وهناك روضة واقعة بين الخرج والسَّهْبِ يُقَالُ لَهَا « رَوْضَةُ الْبَجَادِيَةِ » مَدَّ شَطْرًا مِنْ مِيَاهِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ إِلَيْهَا ، وَجَرَتْ كَأَنْهَرِ التِّيَّارِ ، وَطَافَتْ بِهَا ، وَزُرِعَتْ عَلَى تِلْكَ الْمِيَاهِ وَغُرِسَتْ فِيهَا النَّخِيلُ ، وَهُوَ آخِذُ الْآنَ — بِحَوْلِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ — فِي أَنْ يَصِيرَ إِلَى حَالَةٍ أَحْسَنَ مِنْ حَالَتِهِ الْأُولَى بِهَيْمَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْمَزِيدِ آلِ سَعُودٍ ، وَفِيهِ جِهَاتٌ يَقْتَنِزُوهَا فِيهَا طَيِّبَةُ الْهَوَاءِ ، لِأَنَّ أَرْضَهُ خَصْبَةٌ ، وَيَأْتِيهِ جَلَالَةُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ إِذَا أَرَادَ تَغْيِيرَ الْهَوَاءِ يَسْكُنُ فِي الْقُصُورِ الَّتِي عَمَرَتْ عَلَى الطَّرَازِ الْحَدِيثِ وَأَحَاطَتْ بِهَا الْجَنَانُ وَالْحَدَائِقُ .

قالت العرب عند تخطيط الكوفة : إِنَّ الْعَرَبَ أَهْلُ آبَالٍ وَأَغْنَامٍ ، وَلَسْكَنَ لَا يَصْلَحُ لَهَا مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ إِلَّا مَا يَصْلَحُ لِأَبِلِهَا ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ تَخْطِيطِ الْكُوفَةِ ، فَالْخُرْجُ هُوَ أَصْلَحُ أَرْضٍ لِلْأَبِلِ .

والدليل الذى ذكره عنقرة هو مدينة « الدلم » الواقعة فى وادى الخرج ، وفى بلاد العرب أربعة مواضع يقال لها الخرج : خرج اليمامة ، وهو الذى ذكره ، وخرج هجين موضع بالصمان ، وقد مر ذكره عند الكلام على ذى العشيرة على قول الزبيرى :

جَعَلَنَ بِمِغْنًا ذَا الْعُشَيْرَةِ كُلَّهُ وذات الشمال الخرج خرج هجين

والفرق بين خرج اليمامة وخرج هجين أن خرج اليمامة مفتوحة خاؤه وخرج هجين مضمومة خاؤه ، والخرج الثالث موضع قريب المدينة مما يلي النقيع ، وهو مضموم الخاء كالذى قبله ، وهو مجاور لبلاد بنى سليم ، بينه وبين جبل برام مسافة يوم ، قال كثير :

أَاطْلَالُ دَارٍ مِنْ سَعَادٍ يَبْلُغُن وَقَفْتُ بِهَا وَخَشًا كَأَنَّ كَمْ تَدْمُنُ
إِلَى تَلَمَّاتٍ الْخَرْجِ غَيْرِ رُسْمَهَا هَمَائِمُ هَطَالٍ مِنَ الدُّلُو مُدْجِنُ

وأنت ترى أن كثيرا قد قرن يلبن بالخرج ، وقد قرن يلبن ببرام فى كلمة أخرى ، وبرام مشهور أنه بين النقيع وبلاد بنى سليم ، وهذا قول كثير الذى ذكر فيه يلبن وبرام^(١) :

وَأَسْأَلُ سُلَى وَالشَّبَابَ الَّذِى مَضَى وَفَاةَ ابْنِ لَيْلَى إِذْ أَتَاكَ خَيْرُهَا
فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَإِنْ حِيلَ دُونَهُ وَحَالَ بِأَحْوَاذِ الصَّحَاصِحِ مَوْرَهَا
وَإِنْ نَظَرْتَ مِنْ دُونِهِ الْأَرْضَ وَانْبَرَى لِنَكَبِ رِيَّاحٍ هَبَّ فِيهَا خَيْرُهَا
حَيَاتِي مَا دَامَتْ بِشَرْقٍ يَبْلُغُن بَرَامَ وَأَصْحَتْ لَمْ تَسِرْ صَخُورَهَا
وَقَالَ أَبُو قُطَيْبَةَ وَقَرَنَ يَلْبَنَ بِبَرَامَ :

لَيْتَ شَعْرَى ، وَأَبْنَ مَنِ لَيْتَ أَعْلَى الْعَهْدِ يَلْبَنُ فَبَرَامَ

فالخرج الثالث الذى ذكره كثير موضع حجازى ، وأما الخرج الرابع فهو بفتح الخاء والراء ، وهو جبل أسود شرق منهل سجا ، منقاد إلى الجهة الشمالية حتى يقرب من عفيف ، ويتصل بالجبال السمر الواقعة على ماء عفيف ، تسميها عامة أهل نجد الْخَرْجَ ، والجبل الأسود الذى فى طرف الْخَرْجِ الجنوبي يقال له « خرجاء » وبها بئر حديثة يقال لها « خرجاء » وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه المواضع ، قال الحكم الخضرى :^(٢)

لَوْ أَنَّ الشَّمَّ مِنْ وَرَاءِ زَالَتْ وَجَدْتُ مُودَتِي بِكَ لَا تَزُولُ
فَقُلْ لِحَامَةِ الْخَرْجَاءِ سَقِيًّا لَظَلَّكَ حَيْثُ أَدْرَكَكَ التَّعْيِيلُ

(١) انظر معجم البلدان ٥١٣/٨ وديوان كثير ١٠٧/٢ .

(٢) المعجم ٤١٦/٣

وقال ابن مقبل :

يذكرني حُبِّي حنيف كليهما حمام ترادى في الركني المعورا
ومالي لا أبكي الديارَ وأهلها وقد رادها رُؤاد عك وحيرا
وإن بني الفتيان أصبح سرُّهم بخرجاء عبس آمنا أن يُنفرا

وقد نسب ابن مقبل خرجاء لبني عبس ، وهي ليست في بلادهم ، ولكن يحتمل أن ابن مقبل حين قال هذه القصيدة رأى بني عبس متربعة قريب هذا الجبل ، وأما بلاد عبس فهي واقعة في بلاد غطفان شمالي أبا نين وغربي الجواء وشرقي النفرة ، وقد قال شاعر من العرب :

* ليس لعبس جبل غير قطن *

وقد أوردنا هذا الشطر على ذكر قطن ، ويحتمل أن يكون في بلاد بني عبس موضع غير هذا يقال له « الخرجاء » وأنا لا أعرفه في هذا العهد .
* *

٥ — وقال عنقرة :

أُتِيَ لَهَا طُولُ السَّفَارِ مُقَرَّمَدًا سَنَدًا وَمِثْلَ دَقَائِمِ الْمُتَحَمِّمِ
بَرَكَتٌ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتٌ عَلَى قَصَبٍ أَجَشٍّ مَهْضَمٍ^(١)

الرداع : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد بين هَضَبَاتِ الجُثُومِ وهَضَبَاتِ المَكْبَلِ ، وهي هَضَبَاتُ صَفَارٍ سود يقال لها « الرداع » بها ماء قليلة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، معروفة في بلاد بني عبد الله بن غطفان ، وهذا الموضع الذي ذكرنا تحديده يبعد عن الدَّحْرُضَيْنِ والدَّيْلَمِ ، وذلك مستفاد أيضاً من كلام عنقرة لأنه يقول :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الدَّحْرُضَيْنِ وَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءُ تَنْفِرْنَ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ
ثم قال :

* بركت على جنب الرداع كأنما *

والمسافة بعيدة بين بعض تلك المناهل وبعضها الآخر ، فأما الأعشى - وهو رجل من أهل اليمامة - فإنه يقول^(٢) :

فإنا قد أقمنا إذ فشتم وإنا بالرداع لمن أتنا

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروي « بركت على جنب الرداع »

(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٤٣ .

من النعم التي كخراج أبلى نَحش الأرض شيئا أو هجانا
فيحتمل أن يكون « الرداع » في كلامه موضعاً باليمامة ، لكنك إذا تبصرت وجدته قد
ذكر أبلى في البيت الثاني ، وأبلى قريب من الرداع الذي ذكرنا أنه في بلاد بني عبد الله
ابن غطفان ، وقال ليبد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر
أشار ليبد بن ربيعة العامري إلى قبر شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بوادي
الرداع ، وقبره هناك ، وهو من سادات بني عامر ، وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص
ابن جعفر بن كلاب مات بملحوب ، وفي اليمن يخلاف يقال له « رداع » وهو من الخاليف النافذة
من اليمن إلى جهة نجد ، قال الصليحي اليمني يصف خيلا :

حتى إذا جزنا رداع ألانها بلُّ الجلال بماء ركض مرهج
وذكروا أن وادي النمل في ذلك الخلاف ، وهو الوادي الذي نزل فيه القرآن الكريم
(حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون) والرداع الذي ذكره عنقرة هو الرداع الواقع بين الجنوم والمكيلى شمالي
وادي الجرير الذي كانت العرب تسميه في الزمن القديم « الجريب » على بعد يوم ، وهو باق
بهذا الاسم إلى هذا العهد .

والمواضع التي تسمى الرداء - بإبدال العين هاء - كثيرة في بلاد العرب لا يحصها الحصر .
اتهيننا من المواضع التي ذكرها عنقرة في معلقته .

٧ الحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ الْيَشْكِرِيُّ

الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة الذي ينتهى نسبه إلى يشكر بن بكر بن وائل ، هلك سنة ٥٢ قبل الهجرة وهذا مطلع قصيدته وهى المعلقة السابعة :

١ - آذَنْتَنَّا بَيْنَهِمَا أَسْمَاءَ رَبِّ تَائٍ يُعَمِّلُ مِنْهُ الشَّوَاهِدَ
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِرُقَّةٍ شَمَاءَ فَأَذْنَى دِيَارَهَا الْخُلَصَاءَ
فَالْحَيَّاءَ فَالْمَصْفَاحَ فَأَعْنَا قُ فِتَاقَ فَعَاذِبُ فَاَلْوَفَاءُ^(١)
فَرِيَاضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشَّرِّ بُبٍ فَالشُّعْبَتَانِ فَلَا بِلَاءَ
لَا أَرَى مَنْ عَهَدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي السَّيُومَ ذَلَمًا ، وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ؟^(٢)

برقة شماء : شماء هضبة حمراء من أخيلة الحمى ، سميت شماء لطولها ، وبرقتها مضافة إليها ، وهى واقعة بين شعر وجبل الأكيثال ، وهذا التمجيد هو ما ذكره عنها ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، واسكنى أعرف بهذا الاسم فى هذا العهد تلعة فى شرق جبل نهلان يصب سيلها فى وادى الشعرى يقال لها « تلعة شماء » ولذى يظهر من كلامهم أن شماء هضبة لها برقة مضافة إليها ، وفى اللغة إذا كان الجبل طويلا قيل « جبل أشم » والهضبة الطويلة يقال لها « شماء » وقد ورد لهذه الهضبة ذكر فى غير معلقة الحارث .

الخلصاء : موضع بالدهناء قريب حُرْوَى ، معروف عند أعراب تلك الناحية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال ذو الرمة ^(٣) :

وَلَمْ يَبْقَ بِالْخُلَصَاءِ مِمَّا عَفَتْ بِهِ مِنَ الرُّطْبِ إِلَّا يَبْسُهَا وَهَشِيمُهَا
وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى لَهُ :

أَشْبَهْتَنَ مِنْ بَقَرِ الْخُلَصَاءِ أَغْيَنَتَهَا وَهَنْ أَحْسَنَ مِنْ صِيرَانِهَا صُورًا
وهى معروفة بكثرة الظباء ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الحياة : هضبة شاهقة إلى السماء شرق أبان ، جنوبى النبهانية على ضفة وادى الرمة الجنوبية باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « بحوية » أبدات الألف واوا ، وهى معروفة فى قديم

(١) يروى « فالحيا فالصفاح » ويروى « فأعلى ذى فتاق »

(٢) يروى « وما يرد البكاء ؟ » وهى بمعنى ما أنبتناه (٣) انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥٥

الزمان وحديثه ، قال الراعى ^(١) :

وَنَسَكَبْنِ زُورًا عَنْ مُحَيَاةٍ بَعْدَ مَا بَدَا الْأَثَلُ أَثْلُ الْغَيْفَةِ الْمُتَجَاوِرِ
قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب : قال رُوَيْدُ الْأَسَدِيِّ الَّذِي جَرَّ الْمَهَاجَةَ بَيْنَ بَنِي أَسَامَةَ
- وَهُمْ مِنْ وَالِبَةِ - وَعَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَهُمْ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُعَيْنَ - قَالَ عَلَى لِسَانِ الْأَسَامِيِّ :
نَحْنُ بَنُو أَسَامٍ أَيْسَارُ الشَّامِ فِينَا رَفِيعٌ وَأَبُو مُحْيَاهِ
* وَعَسَمَسٌ نَعَمُ الْفَتَى تَبَيَّاهُ *

أى يأتيه لحاجته ينتجعه ، وبأبى محياة هذا سميت محياة ، وهى ماء لأهل النهاية ، هذا هو
آخر رواية الأصمعي عنها فى كتابه « جزيرة العرب » أما الاسم الذى يعرفه الناس فإنه يطلق على
هضبة يقال لها اليوم « محيوة » وفى أصل تلك الهضبة مياه كثيرة لا يبعد أن تجرى على ظهر الأرض
بعضها الذويبى الحزبى صاحب بلد الشبيكة ، وقد عَزَمَ على غرس النخيل الكثير فيها والزروع
الوافرة لما رأى كثرة ماؤها .

الصفاح - فى الامة يطلق على سفح كل جبل أو كتيب صفحته ، فصفحته : جانبه ، ويطلق
لفظ الصفحة على جانب السيف ، والموضع الذى يقال له الصفاح معروف فى حدود الجبال
المشرقة على وادى المنمى ، وهى آخرها ، يتركها قاصد مكة على شماله ، قال الفرزدق للحسين
ابن على لما لقيه فى توجهه إلى العراق ^(٢) :

أَقِيتُ الْحُسَيْنَ بِأَرْضِ الصَّفَاحِ عَلَيْهِ الْيَلَامُ وَالْدُرُقُ
وقال ابن مقبل فى سرثيته لعثمان بن عفان رضى الله عنه حين قتل :

عَفَا بَطِحَانُ مِنْ سَلِيمٍ فَيُثْرِبُ فَلَقَى الرَّحَالَ مِنْ مِثْنَى فَاَلْمَحَصَّبُ
فَمُسْتَفَانُ مَرَّ السَّرَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ بِسَفَانٍ يَأْوِيهَا مَعَ اللَّيْلِ مِقْنَبُ
فَنَعَفَ وَدَاعَ فَالْصَّفَاحُ فَسَكَّةٌ فَلَيْسَ بِهَا إِلَّا دِمَاءٌ وَمَحْرَبُ

ونعف وداع : موضع قريب نعمان ، والصفاح الذى ينطبق عليه هذا الاسم - هذا الوزن هو هذا
الموضع ، وفى نجد موضع يقال له الصفاح - بضم الصاد ونشديد الفاء - وأصل الصفاح : نوع من
الحجارة العريضة ، قال النابغة : * ويوقد بالصفاح نار الجبابح *

أَعْنَقَ فَتَاقَ - عَنْقُ كُلِّ شَيْءٍ : أعلاه ، وفتق : جبل به ثنية يسلكها القاصد إلى بلد حائل

فتاق

(١) انظر معجم البلدان ٧/٤٠١

(٢) انظر معجم البلدان ٥/٣٦٦ وليس بيت الفرزدق موجوداً في ديوانه ، وعجزه ليس تام الوزن

من القصيم ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عنه الحارث بن حِزَرة ، ذكر أعناق ذلك الجبل ، وفتاق باق إلى اليوم باسم «فتق» وهو قريب جداً من اسمه القديم، قال الأعشى^(١) :

أتانى وغور الخوش بينى وبينه كراديس من جنبى فتاق فأبلقا

وقال الراعى :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن من جنبى فتاق فثمود
وقال زيد الخيل الطائي فى ذكر هذا الموضع ؛ لأنه واقع فى بلاد قومه^(٢) :

منعنا بين شرق إلى المطالى بحى ذى مكابرة عنود
نزلنا بين فتق والخيلافى بحى ذى مذاراة شديد
وحللت سينيس طلع الفبارى وقد رغبت بنضري بنى أبييد

عاذب : موضع فى الثمان ، به مواضع تحتبس المياه ، وقد أكرت الشعراء من ذكره ، وهو قريب من موضع يقال له رهباء وقريب الأوعس ، وجميع هذه المواضع - عاذب ، ورهباء ، والأوعس - كلها فى العمان ، قال جرير فى هجائه للفرزدق^(٣) :

وما ذات أرواق تصدئ لجؤذر بحيث تلاقى عاذب فالأوعس
بأحسن منها يوم قالت : ألا ترى لمن حوّلنا فيهم غيور ونافس
ألم تر أن الله أخزى مجاشعا إذا ما أفاضت فى الحديث المجاليس
فما زال معقولا عقال عن الردى وما زال محبوسا عن المجد حائس
وواحد الأوعس : أوعس ، ومؤنثه : وعساء ، وقال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلالى وبين النقا ، أنت أم أم سالم ؟

جَلال : بلد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به نخل وزروع ، ذكرناه على ذكر اليمامة ، ووادى جلال : بين وادى سدير ووادى المشقر الذى يصب عند بلد الجمعة .
والنقا : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو أكمة مرتكبة فى الدهناء يقال لها النقيان .

الوفاء : معطوف على عاذب ، ولم أعر على موضعه بهذا الاسم ، وصاحب معجم البلدان لم يحدده ، إلا أنه قال^(٤) : هو موضع فى شعر الحارث .

الوفاء

(١) انظر معجم ياقوت ٦/ ٣٣٨ (٢) الذى فى معجم ياقوت فى أبيات زيد الخيل « فتك »
بالكاف موضع القاف (٣) المعجم ٦/ ٩٢ (٤) للمعجم ٨/ ٤٢٨

ورهبى التى تقرن بهذه المواضع أكثر شعراء بنى تميم من ذكرها ، قال شاعر^(١) منهم فى شطر بيت :

* على بُجْد رَهْبَى أو شخوص خيام *

والجد : يطلق على الجبل الصغير ، وقال العجاج فى أرجوزته :

* تُعْطِيهِ رَهْبَاهَا إِذَا تَرَهَّبَا *

وقال جرير :

أَلَا حَتَّى رَهْبَى نَمَ حَى الْمَطَالِيَا	فَقَدْ كَانَ مَانُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذْكُرَ أَوْ تَرَى	تُمَامًا حَوَالَى مَنْصَبِ الْخَلِيمِ بِالْيَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ بِالْفُورِ حَاجَةٌ	وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بِدَالِيَا
إِذَا مَا أَرَادَ الْحَى أَنْ يَنْزِلُوا	وَحَنَّتْ جَمَالُ الْحَى حَنْتَ جَمَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَادَى الَّذِى ضَمَّ سَيْلُهُ	إِلَيْنَا هَوَى ظَمِيَاءَ حَيَّيَّتْ وَادِيَا
نَظَرْتُ بَرَهْبَى وَالظَّمَائِنَ بِاللَّوَى	فَطَارَتْ بَرَهْبَى شَعْبَةً مِنْ فَوَادِيَا

وقال جواس بن القمطل الحناتى :

بَرَهْبَى إِلَى رَوْضِ الْقَذَافِ إِلَى الْمَا إِلَى وَاحِفٍ تَزُورُهَا وَجَاهِلَا

وقد قرن هذا الشاعر رهبى بالمعا ، والمعا معروف بهذا الاسم فى الصمان ، وهو دخل بمسك الماء رياض القطا : قد اختلف أهل الأخبار والمعاجم فى موضعها ، وهى الآن الرياض الواقعة فى رياض القطا ضفة الدهناء الغربية ، تصب عليها سيول العرمة ، وشمالها تصب عليه سيول مجزل ، وهى تمسك الماء منذ الزمن القديم إلى هذا العهد . وهذه يَرْدُهَا القطا ، فسميت « رياض القطا » روضة التنهاة ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، جميع هذه الرياض من رياض القطا ، فأما تنهاة فهى اسم لأكثبة منقطعة من الدهناء ، فأضيفت هذه الروضة إلى هذه الأكثبة فقبل لها « روضة التنهاة » وهى من منازل بنى تميم ، قالت صفية^(٢) بنت خالد المازنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وهى يومئذ بالبشر ، تتشوق إلى أهلها وبلاد قومها وهى من أشعر النساء :

نَظَرْتُ وَأَعْلَامَ مِنَ الْبَشْرِ دُونَهَا	بِنَظَرَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ حُجْنِ الْخِثَالِ
سَمَا طَرَفُهُ وَازْدَادَ لِلْبَرْدِ حَسَدَةً	وَأَمْسَى يَرُومُ الْأَمْرَ فَوْقَ الْمَرَاكِبِ
لَأَبْصُرَ وَهَنًا نَارَ تَنْهَاءِ أَوْقَدَتْ	بَرَوْضِ الْقَطَا وَالْمُخَضَّبِ هَضْبِ التَّنَاضِبِ

(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٨

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٤٢

ليالينا إذ نحن في الحزن جيرة بأفبح حر البقل سهل المزارب
ولم يَحْتَمِلْ إِلَّا أَبَاحَتْ رَمَاحُنَا حَمَى كُلِّ قَوْمٍ أَحْرَزُوهُ وَجَانِبِ
وهذا من أحسن الدلائل وأجودها لأنها حين قالت :

لأبصر وهنا نار تنهية أوقدت بروض القطا والهضب هضب التفاضب
ذكرت أن نار تنهية أوقدت بروض القطا ، وثمة دليل آخر على صدق هذا التحديد ، وهو
قول الأعشى في معلقته :

حتى تَحْتَمِلَ مِنْهُ الْمَاءُ تَسْكَفَةً رَوْضُ الْقَطَا فَكُثِيبُ الْغِينَةِ السَّهْلِ
كثيب الغينة السهل هو الذي يسمي اليوم نفيد بذيابن ، وهو كثيب الغينة ، لأن الغينة تغيّر
اسمها قليلا فصار « غيانة » وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مجاورة لهذا الكثيب ، بها
نخل وزروع ، وقد تقدم الكلام عليها عند ذكر النجاة على ذكر وادى أبو قتادة .
ورياض القطا هى كما حدّدنا فى أول هذه العبارة بين الدهناء والعرمة ، وقد أكثر الشعراء
من ذكرها ، قال ^(١) الخطيم الحرزى :

وهل أهبطنَ رَوْضَ الْقَطَا غَيْرَ خَائِفٍ وَهَلْ أَضْبَحَنَ الدَّهْرَ وَسَطَ بَنَى صَخْرٍ
وقال عمرو بن شاس الأسدى :

غَشِبَتْ خَلِيلِي بَيْنَ قَوَرٍ وَضَارِجٍ فَرَوْضُ الْقَطَا رَسْمًا لَأَمِّ السَّيْبِ
وقال الأخطل :

وبالمرسانيات حلّ وأرزمْتُ بَرَوْضَ الْقَطَا مِنْهُ مَطَافِيلُ حُمَلٍ
وقال أعتى بنى تغلب :

عَفَا كَعْلَمَ فَرِيَاضِ الْقَطَا فُجْنِبِ الْأَسَاوِدِ مِنْ زَيْنَبٍ
وقال الأخطل :

عفا واسط من أهله فَمَذَانِيَّةُ فَرَوْضِ الْقَطَا سَحَاوُهُ فَنَصَائِبُهُ
هذه أشعار شعراء مختلفين فى الألفاظ على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وأوطانهم ، فمنهم من
ذكر روض القطا فى الصمان ، ومنهم من يصفه بأنه واقع فى طريق الحجاز ، ومنهم من ذكر أنه
بطريق الشام ، وللجمع بين هذه الروايات نعتقد أنهم كانوا يسمون كل روضة تمسك الماء فى أى
ناحية من النواحي ويردها القطا بهذا الاسم ^(٢) ، فأما رياض القطا التى وضع لها هذا الاسم فهى

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٢١ (٢) وهكذا رأى ياقوت (انظر المعجم ٤ / ٣٢٢)

المشهورة عند عامة العرب وهي : روضة النخلة ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، وجميع هذه الرياض بين العرمة والدهناء كما قلناه .

قال ياقوت في معجمه ^(١) : أنا وجدت في كتاب أبي جعفر محمد بن إدريس بن أبي حفصة على ذكره مناهل اليمامة قال : إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح ، ثم الخربة ، ثم قارات الحبل ، ثم بطن السلي ، ثم طار ، ثم عيان ، ثم روض القطا ، ثم العرمة ، وهذه كلها من أرض اليمامة .

وقد غلط الرواة في تقديم رياض القطا على العرمة ، ورياض القطا كما ذكرنا بين الدهناء والعرمة وأودية الشرب ، والشعبتان ، والأبلاء : هذه المواضع الثلاثة كلها متصل بعضها ببعض ، أودية الشرب ولا تكون أودية الشرب إلا من أودية الشربة ، وهي واقعة بين الشعبتين اللتين ذكرهما الحارث ، ولا أعلم أحداً من العرب ذكر الشرب بهذا الوزن وهذا اللفظ إلا الحارث في معلقته ، وأرطاة بن سبهية حين قال :

أجليت أهل البرك من أوطانهم والخس من شعبي وأهل الشرب

وأجأت الشاعر الضرورة حتى قال « الشرب » وليس هناك موضع مشهور عند العرب إلا الشربة ، وقد مضى الكلام عليها في أشعار امرئ القيس علي قوله :

تَخَطَّفُ خِرَانُ الشَّرْبَةِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

وهذا البيت من قصيدة مطلعها * ألا عِمَّ صباحا أيها الطلل البالي *

والشربة : قد ذكرناها ، واستقصينا الكلام على ذكرها ، ولكن لما عرض لنا هذا البيت عود إلى ذكر الشربة أحببت أن أزيد القارئ إيضاحاً :

الشربة : أسفلها عريق الدسم الواقع غرب شعبي ، وأعلاها من عدنة إلى أبلي ، أما عدنة المشهورة عند العرب بهذا الاسم فهي اليوم معروفة باسم « بدنة » وجميع هذه الأودية نصب في وادي الجريب من شماليه ، والأودية التي نصب في وادي الرمة من جنوبيه هي من أودية الشربة ولا يبعد أن الأودية التي ذكرها الحارث في تلك الناحية ؛ لأنه قرنهما بأبلي والشعبتين .

أما الشعبتان فعرفتان بهذا الاسم عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، وهما واديان عظيمتان تأتي سيولهما من الجهة الشمالية من جنوبي بلاد طي ، وتُمرُّ ببلاد بني أسد ، وتصب في وادي الرمة ، وهاتان الشعبتان معروفتان لقوم من الأسلم من شمر تملكوهما من العهد القديم إلى هذا العهد

(١) انظر المعجم ٤ / ٣٢٢ (٢) انظر المعجم ٥ / ٢٤٨

ولا يزالون يقتلون فيهما من محل إلى محل ، وتأتيهما السيول من قريب سَلَمَى ورمان ثم تتجه حتى تصب في وادي الرمة ، وتلك القبيلة التي تتربع فيهما وتتجول في نواحيهما يقال لهم آل البعير حتى إن فارسهم في المعارك يمتزى^(١) إليهما وهو على ظهر جواده ، فيقول : خَيَالُ الشعبتين بعيرى فينتسب لآل بعير قبيلته ، وهم بطن من الأسلم من شمر ، وقبيلة شمر تنقسم إلى أقسام منها قبيلتان اختصتا بالجليلين أجاً وسلمى ؛ فقبيلة الأسلم اختصت بسلمى ، وقبيلة عبدة اختصت بأجاً ، وهاتان القبيلتان أهل الجبلين ، والشعبتان معروفتان عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أبلى : قد وعدنا فيما سبق أنا نذكرها عند الكلام على معلقة الحارث بن حلزة ، وإني أعرفها كما أعرف بلادى ، وهى جبال سود متصل بعضها ببعض ، متاخمة لجبل كشب مما يلي جهته الشمالية ، وهى قريب القرى الواقعة في شرقى الحرة ، وهى : صفينة ، والسوبرقية ، وماء الجريسية واقعة في وسط جبال أبلى ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأحييت أن أورد ما ورد فيها قال في معجم البلدان^(٢) : وقال عرام بن أصبغ السلمى في كتابه : تمضى من المدينة مُضْعِداً إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له عريفطان معاً ليس له ماء ولا مرعى ، وحذاؤه جبال يقال لها أبلى ، هذا كلام عرام . وهو صحيح ، ولكن السالك من المدينة إلى مكة يترك أبلى على شماله ، ثم قال : أبلى فيها مياه : منها بئر مَعُونَة ، وذو ساعدة ، وذو جاجم أو حاحم ، والوسباء ، وهذه لبنى سليم وهى قناة متصلة بعضها ببعض ، قال فيها الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم وآرام فاشابة فالحُضْرُ

(١) هذه عادة عامة عند أهل نجد ، بل عند العرب جميعهم ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، وجميع قبائل نجد كل قبيلة لها سمعة تعرف بها في القتال ، فعزوة مليكنا وعشيرته في المعارك وغيرها : خيال المعوجا وأنا ابن مقرن ، ولولا الإطالة لوضحت سمعة كل قبيلة التي تعرف بها ، ولكن أحببت أن أذكر شيئاً من ذلك حتى يتضح للقارىء : من قحطان قبيلة آل روق ، وعزوتهم : مبدع مساريح البكار وأنا ابن روق ، الحنافر : خيال الرحمان وأنا ابن دراج ، آل عاطف عزوتهم : خيال سمحات الوجيه وأنا ابن عاطف ، وسمحات الوجيه فى هذه العزوة الإبل ، ومن قبيلة عتيبة المقطة قبيلة محمد بن هندی عزوتهم : خيال الرحمان كرىزى ، وقبيلة النفعة ذوى زياد : خيال الحرشا زيود ، والحرشا : اسم ناقة ، والمساعديد : خيال الشرفا مسعودى ، الشرفا : اسم ناقة ، ومن قبيلة الروقة آل حيا من الحناتيش : خيال الحردا ، وأنا أخو غزوا ، غزوا : أخت للمعزى ، ومن مطير قبيلة الدوشان : خيال الرحمان وأنا ابن مدوش ، والجليلان من قبيلة مطير : خيال صبحى جبلى ، وصبغا : جبل فى عالية نجد الجنوبية .

(٢) انظره ١ / ٩٠ وفيه « عريفطان معن » .

أبلى

وهل تركت أبلى سوادَ جبالها وهل زال بعدى عن قُدينته الحجر
وعن الزهري أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبِيلَ أرض بنى سليم ، وهو يومئذ
بيئر مَعُونَة بِحَرْفِ أبلى ، وأبلى بين الأرحضية وقَرَّان ، كذا ضبطه أبو نعيم ، هذه رواية صاحب
معجم البلدان ، فأما الأسماء الوارد ذكرها في هذين البيتين : أروم ، وآرام ، وشابة ، والحضر ،
وأبلى ، وقبينة الحجر ، فجميعها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وأنا أعرفها ، وهذه رواية
أبي عبيد البكري في معجم ما استمعتم ^(١) برمتها : أبلى هي جبال سود على طريق الآخذ
من مكة إلى المدينة على بطن نخل ، وأبلى حذاء وادٍ يقال له عريظان ، قد حدّثه في رسم « ظلم »
و بأبلى مياه كثيرة : منها بيئر معونة ، وذو ساعدة ، وذو ججاجم أو ذو حجاجم ، هكذا قال السكوني ،
وحذاء أبلى في غربها قنّة يقال لها انشورة لبني خُفّاف من بني سليم ، وماؤهم آبار يزرع عليها ،
ماء عذب ، وأرض واسعة ، وكانت بها عين يقال لها النازية ، بين بني خُفّاف وبين الأنصار
نصارؤها فسدوها بعد أن قتل في شأنها ناس كثير ، وكانت عينا ثرة ، وطلبها السلطان مرارا
بالتن الجزل فأبوا عليه ، وحذاء أبلى من شرقيها جبل يقال له ذو المَرْقَمَة ، وهو معدن بني سليم ،
تسكون فيه الأروى كثيرا ، وفي أسفله من شرقيه بيئر يقال لها الشقيقة ، وتلقاه عن يمينه من تلقاء
القَيْلَة جبل يقال له أحامر ، وهذه الجبال تضرب إلى الحمرة ، وهى تنبت الغَرْب والغَضُور والثَّام ،
وهناك رِمار والأخرب : جبلان لا يُنبقان شيئا ، قال الشاعر :

بليت ولا يبلى تِعَارٌ ولا أرى بيئر تُمَيِّلُ نائياً يتجدد
ولا الأخربُ الداني كأنَّ قِلَالَهُ بَخَاتٍ عليهنَّ الأجلَّةُ هُجْدُ

وقال كثير :

أحبك ما دامت بِنَجْدٍ وشيعةٌ وما أنبت أبلى به وتعار

وقال الشماخ :

فبانت بأبلى ليلةً ثم ليلةً بحاذة واجتابت نوى عن نواها

(حاذة : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد) ونجاوز عين النازية فترد مياهها يقال لها الهَدْيَة ،
وهى آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر ، فى بقاع واسعة بين حَرَتَيْن ، تكون ثلاث فرائخ عَرْضاً
فى طول ماشاء الله أن يكون ، أكثر نباتها الخُض ، وهى لبني خُفّاف ، ثم تنتهى إلى السَّوَارِقِيه
على ثلاثة أميال من عين النازية ، وهى قرية لبني سليم فيها منبر ، ويستعذبون الماء من وادٍ يقال

(١) انظره ١ / ٩٨ .

له سَوَارِق ، ووَادٍ يقال له الأبطن ، ماء عذبا ، ولهم مزارع واسعة ونخل كثير وفواكه جمة من الموز والتين والعنب والرمان والسفرجل والخلوخ ، وحَدَّهَا ينتهي إلى ضَرِيَّة ، وحواليها قَرْيٌ منها قِيَّا ، بينهما ثلاثة فراسخ ، وهي كثيرة الأهل والمزارع والنخيل ، قال الراجز :

ما أَطْيَبَ المَذْقَ بماء قِيَّا وقد أَكَلْتُ قَبْلَهُ بَرْنِيَّا

وقرية يقال لها الملحَاء ، سميت بالملحاء بطنٍ من حَيْدَان ، وهي في بطن وادٍ يقال له قَوْران يصب من الحرة ، فيه ثلاثة آبار عذاب ونخل وشجر ، وحواليها هَضَابٌ يقال لها هَضَبَات ذِي تَجَر قال الشاعر * بِذِي تَجَرٍ أُسْقِيَتْ صَوْبُ غَوَادِي * وذو مجر : غديرٌ بينهن كبير في بطن قَوْران ، وبأعلاه ماء يقال له لَيْث ، آبار كثيرة عذبة ليس لها مزارع لِفَلْظ موضعها وخشونته وفوق ذلك ماء يقال له شَسَّ ، آبار كثيرة ، وفوق ذلك بئر يقال لها ذات الغار ، أغزرها ماء وأكثرها ، تسقى بواديهم ، قال ابن قَطَّاب السلمي :

لقد رَعْتُمُونِي يوم ذِي الغار رَوْعَةً بأخبار سوء دونهن مَشِيبي
نَعَيْتُم فتي قيس بن عيلان عَنُوة وفارسَهَا ، تَنْعُمُونَهُ الحبيب

وحذاء هذا الجبل جبل يقال له أفرح ، شامخ ، لا يثبت شيئا ، كثير النخور والأروى ، ثم تمضي من الملحَاء فتنتهي إلى جبل يقال له مُعَان ، في جوفه أحساء ماء : منها حِسِي يقال له الهَدَّار ، يفور بماء كثير ، بمحاذاته حاميتان سوداوان ، في جوف إحداها مياه ملحة يقال لها الرَفْدَة حواليها نخلات وآجام يستظل بها المار ، شبيهة بالقصور ، وهي لبني سُكَيْم ، وبازائها شَوَاحط ، وهو مذكور في موضعه ، انتهى من معجم ما استعجم بحروفه .

وهذه الأسماء التي ورد ذكرها في رواية أبي عبيد البكري قد تغير اسم الكثير منها ، وبقيت منها أسماء لم تتغير : منها جبل أحامر ، وهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد غربي أبلي ، والسوارقية : معروفة أيضا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وحاذة : معروفة أيضا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومعدن بن سليم معروف إلى هذا العهد ، وقد بُعث في هذا العهد الحديث ، وتجد فيه اليوم المال بآلاتهم العظيمة والمهندسين لاستخراج الذهب منه بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . فأما ما ذكره أبو عبيد البكري في قوله « وحدها ينتهي إلى ضَرِيَّة » فهذا خطأ بين ، فإن بينها وبين ضرية مسافة خمسة أيام ، جميع الشَّرْبَةِ وأوديتها وما وقع من الأودية والجبال والمياه بين وادي الرمة ووادي الجريب حاجزة بين ضرية وبين أبلي ، وأبلي : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهي واقعة في القطعة الشمالية الغربية من عالية نجد ، شرقيها في

الجاهلية وفي الإسلام لبني عبد الله بن غطفان ، وغريبيها لبني سليم ، ويعد معدن بني سليم قطعة منها ، والجبال المحيطة بها تضاف إليها ، فيقال لها : جبال أبيي ، فأما أبيي نفسها فهي جبال سود متصل بعضها ببعض يقطعها السالك في ساعتين .

* * *

٢ — قال الحارث بن حلزة :

وَبَعَيْنَيْكَ أَوْقَدْتَ هِنْدُ النَّارِ أَصِيلًا تُلَوَّى بِهَا الْعُلَيَاءُ^(١)
فَتَنَوَّرَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى ، هَيْهَاتَ مِنْكَ الصَّلَاةُ^(٢)

العلياء في هذا البيت خاصة : هي أرض مرتفعة من خزازي أو من حوله ، وأما خزاز فقد مضى الكلام عليه في معلقة عمرو بن كلثوم ، وأوضحنا أن يوم خزاز المشهور عند العرب هو أول يوم هزمت فيه بنو عدنان القحطانيين ، وللحارث بن حلزة صاحب هذه المعلقة امتياز على شعراء المعلقات : لأنه لم يحضر يوم خزاز من شعراء المعلقات أحد غيره ، وكانت الرأس في ذلك اليوم لربيعة على جميع العدنانيين .

وذكروا أن كليبا كان في ذلك اليوم هو الرئيس المطاع ، وهو الذي ألب بطون العرب من ربيعة ومضر ، فلما جاء النصر أذعن له العدنانيون ، فكان هو الرئيس المطاع ؛ فتحى بعد ذلك حى ضرية ، ومنع العرب من دخوله ، فسمى الحمى بعد ما حماه « حى كليب » فزاد به العجب والتكبر على العرب ، فكان في بلاد العرب إذا نزل ماء من السماء في الحمى أو في غيره انتجع إليه ، وحماه ، ونزل به ، فلما تجبر صرعه تجبره حتى أورده حمامه ، قتله ابن عمه .

وخزاز هو الجبل المعروف قريب بلد دخنة ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرف به عامة أهل نجد ، وهو يعد من أخيلة الخمار ، وإنما سميت تلك القطعة الخمار لأنها جبال متفرقة وآكام ورضم من دخلها خربها ، وهذه لغة عامة أهل نجد يسمون الوادي الملتف بالشجر خماراً ، وإذا دخلت الأرنب في الشجرة قالوا : أخرت ، وقال في القاموس : خَرَّ - كفرح - توارى كآخر ، وأخرته الأرض عنى ومنى وعلى : وارته ، فسميت الخمار بهذا المعنى ، وهي قطعة من الأرض يبعد بعضها عن بعض مسافة يوم ونصف يوم ، شماليتها مما إلى الرمة ، وجنوبيتها مما إلى وادي نقي ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

(١) هذه رواية التبريزي ، وذكر أنه يروى « أوقدت هند النار أخيراً »

(٢) في رواية التبريزي « بخزاز » وذكر الأخرى

٣ - وقال الحارث بن حلزة :

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخَّصَيْنِ — بِنِ بَعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ

ذكر الحارث بن حلزة أنه تَنَوَّرَ تلك النار وهو في خزاز الذي ذكره ، وهو بين شخصين والعقيق ، فلا تكون النار إلا في جبال بني عبد الله بن غطفان الواقعة بين شمالى كشب والعقيق ، والعلياء - على هذا - لا تكون في خزاز ولا في نَوَاحِيهِ ، بل تكون في تلك الناحية التي أوقدت النار في رأسها .

الشخصان

أما الشخصان فهضبة أصلها واحد ولها رأسان ، وكانت تسمى في الجاهلية بالشخصين ، وهى في هذا العهد تعرف بالشواخص ، ولا تزال باقية بهذا الاسم ، وهى واقعة في شمالى كشب الغربى العقيق : معروف عند عامة أهل نجد ، يَصُبُّ من جبال الحجاز الشرقية ، ويتجه شمالا جاعلاً جبال الحجاز وحِرَارَه على شماله حتى يحتلط بمقيق المدينة ، ومائة عشيرة المعروفة في الطريق بين مكة ونجد ومائة الحديثة ومائة تنضبة ، هذه كلها في بطن وادى العقيق في أعلاه ، في بطن ذلك الوادى إذا اتجه شمالا عيون وآبار كثيرة عذبة ، وهى بالقرب من المدينة ، وسيل ذلك الوادى يصب في وادى الحمض ، ويصبان معا في البحر ، هذا هو الذى بلغني عن الثقات ، وقد مر ذكره في كتابنا هذا ، وذكرنا المواضع التى يطلق عليها لفظ العقيق ، وقد أوضحنا ذلك إيضاحاً تاماً ، قال شاعر مدنى في عقيق المدينة :

العقيق

إِنِّ صررت على العقيق وأهلُهُ يشكون من مَطَرِ الربيع مُزَوِّرًا
ما ضرركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقُكم ممطورا

وجعفر هذا هو جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، رضي الله عنه !

* * *

٤ - وقال الحارث بن حلزة :

أَيُّهَا النَّاطِقُ المُرَقَّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ ؟
لَا تَحْلُنَا عَلَى غَرَائِكَ ، إِنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ
فَبَقَيْنَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنَمِّيْنَا حُصُونُ وَعِزَّةُ قَمَسَاءُ

اختلف أهل اللغة في هذا البيت الأخير ، واختلف الرواة : أما رواية الزوزنى ، فهى « حصون وعزة قمساء » ورواية الخطيب « جدود وعزة قمساء » وأجمع الأكترون على أن الشنائة هى

العداوة والبغضاء ، وهي لغة صحيحة ذكرها الله جل وعلا في محكم كتابه بقوله تعالى (لا يجرمنكم شَتَانُ قَوْمٍ) فإذا صحت رواية الخطيب فالشناة هي البغضاء ، وإذا صحت رواية الزوزنى فالشاعر يقصد إقامته على الشناة ببلد من قرى الرس جاهلية بها نخيل ومزارع ، فهذا الشاعر الذي قد مضى لموته ألف وأربعمائة وتسعة عشر عاما ولم يتغير لفظه إلا بإبدال الهذلة نونا نعى أن « الشناة » هي البلد الذي يسمى اليوم الشناة ، وهي واقعة على ضفة وادي الرمة الجنوبية قريبة الاختلاط ببلد الرس ، لا تبعد عن الرس إلا أقل من مسافة ساعة ونصف .

* * *

٥ - وقال الحارث بن حِزَّة :

أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوْا هَآ إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأَمْثَلَاءُ
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبَ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْتَقَشْ يُجَشِّمُهُ النَّاسُ وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ

ملحة : هضبة معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في شرق بيشة ، شهباء كأنها قطعة ملح ،
فلذلك سميت ملح ، وهي التي عناها الشاعر ، وهناك هضبات تُحَرُّ يقال لها الأميلاح لا تزال
تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي واقعة في شرق جبل الصاقب الجنوبي ، تبعد عن الصاقب
مسافة نصف يوم ، والذي يدل على أنه غنى بملحة الهضبة الواقعة في أسفل بيشة أنه يقول :

* إن نبشتم ما بين ملحـة فالصاقب *

فهذا يدل على أنه يشير إلى المارك وما قتل فيها من الأبطال ، وما بين ملحـة وجبل الصاقب
إلا مسافة ست ليالٍ لحاملة الأثقال .

الصاقب والصاقب : هضبة حمراء شاهقة واقعة في عالية نجد الجنوبية ، ولا يوجد في بلاد العرب هضبة
أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة الصاقب ، وهي واقعة في قطعة مصطحبة من الأرض كأنها
منخفضة يقال لها « جفرة الصاقب » يرعى تلك الجفرة قوم من الأعراب القاطنون في المياه المجاورة
لتلك القطعة ، وهي ماء الهمجة ، وماء الدخول ، الذي ذكره امرؤ القيس في شعره ومضى
الكلام عليه ، وماء محضب ، وماء ورشة ، وهو منهل على طريق رنية ، وهو المنهل الذي يجاوره
جبل حوض الجبل المعروف والذي يجري ذكره في أشعار العرب وأخبارها ، والصاقب : معروف
بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٦ — وقال الحارث بن حلزة :

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ مُنْتَهَبِ النَّاسِ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءٍ
إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَمَفِ الْبَحْرَيْنِ سَيْرًا حَتَّى نَهَاكَا الْحِسَاءُ

البحرين

البحرين : هى البلد المعروفة الواقعة فى سواحل البحر الشرقى ، ويدخل تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وهَجَرُ وجميع قراه ، كلها يطلق عليها أسم البحرين .

الحساء

فأما الحساء الذى ذكره الحارث فهو بكسر الحاء ، وهو غير الحساء الواقع فى نواحي هَجَر ، وهذا الاسم إذا فتح حاؤه يطلق على جميع القرى الواقعة فى بلاد عبد القيس ، لأنه فى نفس البحرين ، وأما الحِساء فإنه يطلق على موضعين : أحدهما فى بلاد عبد الله بن غطفان ، يصبُّ سيّله فى وادى الرمة ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسى عليا » هلكت عنده امرأة يقال لها « علياء » فقبرت على هذا الماء ، وهو الذى يقول فيه زهير :

عَمَّا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءِ فَيُحْنُ فَالْقَوَادِمِ فَالْحِسَاءِ

والثانى : واقع قريب المدينة ، وهو الذى يقول فيه عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يخاطب راحلته :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي مَسَافَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الْحِسَاءِ

* * *

٧ — وقال الحارث بن حلزة :

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْمِ لَ وَلَا يَنْفَعُ الدَّلِيلُ النَّجَاءَ
لَيْسَ يَنْجِي مُوَاتِلًا مِنْ حِذَارِ رَأْسِ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجْلَاءَ

الطود والحرة
الرجلاء

الطَّوْدُ : اسم عام لكل جبل شاهق ، والحرة الرجلاء : هى الصَّعْبَةُ المرتقى لايسلكها خيل ولا إبل ، لايسلكها ^(١) إلا الراجل ، فسميت حرة رجلاء ، والحرة : اسم لما غلظ من الحجارة واخشوشن ، وهى تكون سوداء المنظر ، ذكر فى معجم البلدان فى بلاد العرب ^(٢) ثلاثين حرة كلها مضافة ، فأما الحرة الرَّجْلَاءُ التى ذكرها الحارث فهى واقعة بين المدينة والشام ، وهى المختصة بهذا الاسم ، يقال لها الحرة ، قال الأحنس بن شهاب ^(٣) .

وكلب لها خَبْتُ فَرَمَلَةٌ عَالِجٌ إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حِينَ تَحَارِبُ

وقال الراعى :

يا أهل مابال هذا الليل في صَفَرٍ يزداد طولاً وما يزداد من قصرٍ
في إثرٍ من قطعت منى قرينتهُ يومَ الخدالي بأسبابٍ من القدرِ
كأما شقُّ قلبي يومَ فارقهم قسمين بين أخى نَجْدٍ ومُنَجِّدٍ
هم الأحبة أبكى اليوم إثرهم وكنت أطرب نحو الحيرة الشطُرِ
فقلت والحرّة الرّجلاء دونهم وبطن لُجَّان لما اعتادني ذكري
صَلَّى على عزة الرّحمن وابنتِها ليَلِيَّ وصَلَّى على جاراتها الأُخْرِ
هُنَّ الحرائر لا رِبَاتُ أُخْرَةٍ سودُ المَحَاجِر لا يقرآن بالسورِ^(١)

ويحتمل أن الحارث بن حِلْزَةَ لم يقصد حرّة بعينها ، بل قصد موضعاً وغراً لا يَرْتَقَى لقوله :

لَيْسَ يَنْجِي مَوَاتِلًا مِنْ حِذَارِ رَأْسٍ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجَلَاءِ
قصد حرّة صعبة المَدْخَل لا يدخلها أحد ولو أنه قال « الحرّة الرّجلاء » لكان ذلك أقربَ
إلى أنه يريد الموضع المعين الذي يسمى بهذا الاسم ، فلما ذكرها منسكرة ووصفها بما يدل على
الوعورة قلنا : لعله يريد مطلق حرّة يصعب سلوكها .

* * *

٨ — وقال الحارث بن حِلْزَةَ :

كَتَكَالِيفٍ قَوْمَنَا إِذْ غَزَا الْمُنْسِيذِرُ ، وَهَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ ؟
إِذْ أَحَلَّ الْعَلِيَاءُ قُبَّةً مَيْسُورَ نَ فَأَذَنِي دِيَارِهَا الْعَوَصَاءُ

العلياء : قطعة من الأرض مرتفعة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وليست بموضع معلوم
محدد ، وقول الحارث في هذا البيت كقول زهير بن أبي سلمى :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمَلُنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرْنِمْ
فالعلياء هي الأرض المرتفعة كما لو قلت : عالية نجد .

وقبة ميسون : هي قبة بنيت لميسون ، وميسون : ابنة لبعض ملوك غسان ، قتل أباهَا عمرو قبة ميسون

(١) يروى أكثر الناس « لا ربات أخرة » بالخاء المعجمة على أنه جمع خمار ، وهو خطأ ، فإن
الخمار عند العرب مما يلبسه النساء الحرائر دون غيرهن ، والأحمرّة - بالخاء المهملة - جمع حمراء ،
وهو الدابة المعروفة ، وعليها تعمل الجوارى في نقل المياه من الآبار إلى الدور ونحو ذلك ، فكأنه
قال : هن الحرائر لا الإماء العاملات على الحر ، ولو أقيمت الخاء على إعجامها لتناقض الكلام ؛ لأنه
يصير كأنه قال : هن الحرائر لا الحرائر ؛ إذ كان الخمار لا يلبسه إلا الحرّة . وكانوا يكتنون عن
الحرّة بذات الخمار .

ابن هند وسباها وبنى لها عمرو بن هند قبة في ذلك الموضع فقال الحارث • فأدني ديارها العوصاء •
والعوصاء : قطعة في الحدود الواقعة بين الشام والعراق ، وقد ذكرت العوصاء في أشعار
كثيرة ، قال عمرو بن قيس ^(١) :

أصابك ليلة العوصاء عمداً بينهم الليل ساعدة بن عمرو
ولا أعلم هل هذا الاسم باقٍ إلى هذا العهد أم تغير !

* * *

٩ — وقال الحارث بن حلزة :

فَرَدَدْنَا هُمْ بِطَمْنٍ كَمَا يَخُ رُجٌّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ
وَحَمَلْنَا هُمْ عَلَى حَزْنٍ نَهْلًا نَ شِلَالًا وَدُمِّيَ الْأَنْسَاءِ
وَجَبَّهْنَا هُمْ بِطَمْنٍ كَمَا تُنْ هَزُّ عَنْ نَجْمَةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءِ

أما نهلان : نجبل أسود ، باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد في عالية نجد ، وقد مضى الكلام
عليه في قصيدة أمراء القيس عند الكلام على قوله :

كقيس الظباء الأعفر انضرجت له عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ نِهْلَانِ
الطَّوِيِّ : يطلق العرب على كل بئر صالحة لفظ الطوى !

* * *

١٠ — وقال الحارث بن حلزة :

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَزْ جَعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ
لَمْ يُخْلُوا بَنِي رِزَاحٍ بَيْرَقًا نَطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِ دُعَاءُ

برقاء نطاع : أما نطاع فهو معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو من مياه الطف الشرقية ،
وهو بلد قديم الذكر بين الدهناء والجبيل ، لم يخل من السكان منذ العهد القديم الجاهلي إلى هذا
العهد ، قال في معجم البلدان ^(٢) على ذكر نطاع عن أبي منصور : إن نطاع على وزن قطام ماء في
بلاد بني تميم ، وقد وردتها ، وشربت إبلنا من ماء نطاع ، وهي ركية عذبة الماء غزيرته ، وكانت
به وقعة بين بني سعد بن تميم وهوذة بن علي الحنفي ، أخذت بنو تميم لطانم كسرى التي أجارها
هوذة بن علي ، الواردة من عند باذام والى كسرى على اليمن ، فسكان بعدها يوم الصفة ، وقد
أعر به ربيعة بن مرقوم في قوله :

(١) معجم البلدان ٢٤١/٦ (٢) معجم البلدان ٢٩٦/٨ .

وأقرب منهلٍ من حيث راحا . أنال أو غمازة أو نطاعُ
فأوردها ولونُ الليلِ داجٍ ، ومالغبا وفي الفجر انصداعُ
فَصَبَّحَ من بنى جِلَّانَ صِلًا عَظِيفته وأسمه المتاعُ
إذا لم نخزن لِبَنِيكَ لِمَا غريضا من مَوَادِي الوحشِ جاعوا
وقال أيضا في المعجم^(١) : قال الحفصى : نطاع ، بكسر النون : واد ونخيل لبني مالك بن سعد
بين البحرين والبصرة .
وأنا أقول : قد أصاب الحفصى في هذا التحديد ، وهذا التحديد ينطبق على نطاع الذى نعرفه
اليوم بهذا الاسم .

* * *

١١ — وقال الحارث بن جِلْزَة :
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ النَّسْلِاقِ لَا رَأْفَةً وَلَا إِبْقَاءَ
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءَ
الحياران : لم أجد لهما ذكرا فى أخبار العرب وأشعارهم ، ويظهر لى من كلام الحارث أن به
يوما من أيام العرب ، وأعرف موضعا واحدا يقال له الحيار حيار بنى القعقاع صقع من برية
فنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خُلَيْد ، بينه وبين حَلَبَ يومان ، وقال المتنبي
في مدح سيف الدولة :
وَكُنْتُ السِّيفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغَرَارُ
فَأَمْسَتْ بِالْبِدْيَةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ
وأما المواضع التى بالواو بعد الحاء - كالحوار ، والحوير ، والحوارة - فهى كثيرة فى بلاد العرب
انتهينا من معلقة الحارث بن جِلْزَة اليشكرى ، وما ورد فيها من ذكر المواضع فى بلاد
العرب وغيرها .

(١) انظره أيضا فى ٢٩٦/٨ .

(٢) انظرهما فى المعجم ٣ / ٣٧٥ ، وفى ديوان المتنبي ٢ / ١٠٢ بشرح العكبرى وانظر ثانيهما

وحده فى المعجم ٢ / ٩١

٨
الأعشى ميمون بن قيس

الأعشى ميمون بن قيس

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ، ينتهى نسبه إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، توفى سنة ٧ للهجرة في بلده منفوحة .

وللأعشى أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون ، وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشهورة ، وقد أحببت أن أذكرها في كتابنا هذا ، لما فيها من مدح الرسول والحث على مكارم الأخلاق الشرعية ، وها هي ذى :

ألم تغمض عينك ليلة أرمدًا	وبت كما بات السليم مسهدًا
وما ذاك من عشق النساء ، وإنما	تناسيت قبل اليوم خلّة مهذّدا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائن	إذا صلحت كفاه عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة	فله هذا العيش كيف نرددا
وما زلت أبغى المال مذ أنا ناشئ	وليداً وكهلاً حين شئت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل نفتلى	مسافة ما بين النجير فصرخدا ^(١)
ألا أيها السائل أين يعمت	فإن لها في أم يثرب موعدا
فإن تسألني عني فيارب سائل	خفي عن الأعشى به حيث أوردنا
أجدت برجلها النجاء وجاوزت	يداها خفافا لينا غير أجردنا
وفها إذا ما هجرت عجرفيّة	إذا خلت جرّباء الظهيرة أصيدنا
وأما إذا ما أدلجت فترى لها	رفيبين جدّياً ما يغيب وفرقدنا
فأليت لا أرى لها من كلاله	ولا من خفي حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم	ترأّحى وتلقى من فواضلة ندى
نبي يرى مالا تروى وذكره	أغار لعمري في البلاد وأنجدنا
له نائلات ما تسبب ونائل	وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد	نبي الإله حيث أوصى وأشهدنا

(١) يروى « وأبتذل العيس المراقيل تقتدى » والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد الابل ، والمراقيل : جمع مرقال ، وهو السريع السير .

إذا أنت لم تَرَحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ اللَّوْتِ مِنْ قَدِ تَزُودَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَذَلِكَ وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْضَدَا
وإياك والميتات لا تقرّ بينهما وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُمَا حَدِيداً لِتَقْصِدَا
وذا النُّصَبِ المعبود لَا تَنْسُكَنَّ وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاتَّخِذَا
وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً كَانَ مِيرُهَا عَلَيْكَ حَرَاماً؛ فَانْكَحْنَ أَوْ تَأْبِدا
وذا الرِّحْمِ القَرَبِيِّ فَلَا تَقْطَعْهُ لِفَاقَتِهِ وَأَصْدُقْ وَفَكَّ المَقِيدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ المَشيَّاتِ والضَّحَى وَلَا تَعْبُدِ الأوثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبِدا
وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ سَائِلِ ذِي ضَرُورَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ المَالَ للمرءِ مُخْلِداً

قال ابن هشام : فبلغ خبره قريشاً ، فرصدوه على الطريق ، قالوا : هذا صنّاجة العرب مامدح أحداً إلا رفع من قدره ، فلما ورد عليهم قالوا : أين تريد أبا بصير ؟ قال : أريد صاحبكم لأسلم ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ، وكلّهما بك رافق ! قال : وما هن ؟ قال له أبو سفيان : الزنا ، قال : لقد تركني وتركته ، وماذا ؟ قال : القمار ، قال : اعلیٰ إن لقيته أصبتُ منه عوضاً من القمار ، وماذا ؟ قال : الربا ، قال : ما دنتُ قطُّ ولا ادّنتُ ، وماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه ، أرجعُ إلى ضيابة قد بقيت لي بالمهراس فأشربها ، فقال أبو سفيان : هل لك في خير مما هممتَ به ؟ نحن وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنّةك هذه ، وتنتظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهروا عليه كنت أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيتك ، قال : ما أكره ذلك ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ، والله لن أنى محمداً واتبعه ليضّر من عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها ، وانطلق إلى بلاده ، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله .

هذا من أخبار الأعشى ، وسنبتديء في معلقته .

وهذه القصيدة ورد فيها موضعان : النَجِير ، وصرخد :

أما النَجِير : فهو قصر في اليمن لكندة ، وهو الذي تحصّن فيه الأشعث بن قيس الكندي حين حاصره جيش أبي بكر رضى الله عنه !

وصرخد : قرية في الشام تنسب إليها الخمر العرخذية .

والذي بين النَجِير وصرخد هي جزيرة العرب كلها .

أما معلقته فهذا مطلعها ، وسنأتى على المواضع الواردة فيها .

١ - وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
غَرَاءَ فَرَعَاءَ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا تَنْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَنْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
إلى أن قال :

إِذَا تَقَوْمُ يَضُوعُ إِلَيْكَ أَصُورَةٌ وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شِعْلُ
مَارَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاهُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلُ هَظْلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسُ مِنْهَا نَشْرُ رَائِحَةٍ مُؤَزَّرُ بَعِيمِ النَّبْتِ مُسْكَنْهُلُ^(١)
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَخْسَنَ مِنْهَا إِذْ بَدَأَ الْأَصْلُ

الحزن : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، واستشهدنا عليه بجمع ماورد فيه ، وقد أوردنا عليه بيت جرير وهو الذي ينطبق على هذا الموضع لأنه في طريق الخارج من اليمامة إلى الشام ، قال جرير في عبد الملك بن مروان أو ابنه :

سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ الشَّهْرِ وَدُونَهُمْ فَيَحَانُ فَالْحَزْنُ فَالْصَّامِ فَالْوَكْفُ
وهذا أحسن دليل ، وهو يقال له اليوم « الحزل » .

* * *

٢ - وقال الأعشى :

بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضًا قَدْ بَتَّ أَرْقَبُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شِعْلُ
إلى أن قال :

فَقُلْتُ لِلشَّرَبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ تَمَلُّوا شِيمُوا وَكَيْفَ بِشِيمِ الشَّارِبِ الشَّيْلُ
قَالُوا نُمَارُ فَبَطْنُ الْخَالِ جَادَهَا فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالْأَبْلَاهُ فَالرَّجَلُ
فَالسَّفْحُ يَجْرِي فَخَنْزِيرٌ فَبَرْقَتُهُ حَتَّى تَدَافَعَ مِنْهُ الرَّبُّوُ فَالْحَبْلُ
حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَسْكِنِفَةٌ رَوْضُ الْقَطَا فَكُتْبُ الْغَيْمَةِ السَّهْلُ
يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا زُورًا تَجَانَفُ عَنْهَا الْقَوْدُ وَالرَّسْلُ

دُرْنَا : ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تُباع فيها الخمر في الجاهلية ، وكثرت الأقوال في هذا الموضع ، وثبتت أنها في اليمامة كلام الأعشى عنها ، ومنه هذا البيت ، ومنه قوله :
حَلْ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُو لِي وَحَلَّتْ عَلَوِيَّةُ بِالسَّخَالِ

(١) في رواية التبريزي « يضحك الشمس منها كوكب شرق » وكوكب كل شيء : معظمه ، والمراد به هنا الزهر ، وشرق : أي ريان مملوء .

السَّخَال : هضبات في شمالي كُشْب باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهضبات في طرف السَّخَال الهضب الجنوبي .

ومنها قوله وهو من أقوي الدلائل على أنها باليمامة ، وهو يخاطب فيه عبد القيس القاطنين في هجر ونواحيه^(١) :

فَإِنْ تَمَنُّعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ وَالصَّفَا فَإِنَّا وَجَدْنَا الْخَطَّ جَمًّا نَحْمِلُهَا
وَإِنْ لَنَا دُرْنَا فَكُلَّ عَشِيَّةٍ يَحِطُّ إِلَيْنَا خَمَرُهَا وَخَمِيلُهَا
وَمِنَّمَا مَوْضِعٌ آخِرُ يُقَالُ لَهُ دُرْنَا ، وهو أول قرية من قُرَى العراق مما يلي الحيرة كانت تباع فيها الخمر أيضا ، قال عميرة بن طارق اليربوعي^(١) .

أَلَا أَبْلَغَا أَبَا حِمَارٍ رِسَالَةً وَخَبَّرَهُ أَنِّي عَنْكُمَا غَافِلٌ
رِسَالَةً مِنْ لَوْطَاوَعُوهُ لِأَصْبَحُوا كَسَاةً نَشَاوَى بَيْنَ دُرْنَا وَبَابِلَ
فهذا يدل على أن هناك قرية يقال لها درنا في جهة العراق ، لأنه قرنها ببابل ، وقال مالك بن نويرة اليربوعي^(٢) :

فَأَشْكُرُ مَنْ أَدَّى إِلَيْكُمْ نِسَاءَكُمْ مِنْ الْقَوْمِ قَدْ يَمْتَنُّ دُرْنَا وَبَارِقَا
وقد قرن مالك بن نويرة في بيته درنا وبارقا ، وبارق معلوم بهذا الاسم أنه في نواحي العراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة ، وقد أكثر الشعراء في ذكر بارق ، قال الأسود بن يَغْفَر^(٣) :

أَهْلُ اتَّخَوَّرْنَكَ وَالسَّيْدِيرَ وَبَارِقَ وَالْقَصْرَ ذِي الشَّرْفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ
وقال المتنبّي^(٣) :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمُذَنَّبِ وَبَارِقَ حَجَّرَ عَوَالِينَا وَجَرَى السَّوَابِقِ
وهذه الشواهد واردة في بارق العراق ، وهناك موضع آخر يقال له بارق في تهامة ، بين البحر والسرّة شرق القنفذة ، وهو الذي يقول فيه فراس بن غنم المنتهي نسبُه إلى كنفانه بن خزيمه^(٣) :

أَقْنَا عَلَى قَيْسٍ عَشِيَّةً بَارِقٍ بَيْضِي سَحْدِيثَاتِ الصَّقَالِ بَوَاتِكَ
ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَوَكَّلُوا وَخَلَيْتُ مَنَازِلُ حَبِزَتْ يَوْمَ ذَلِكَ لِمَالِكَ
فأما درنا فقد ذكرنا أنها في اليمامة ، وفي العراق ، وأوردنا الشواهد الواردة في ذكر الموضعين

وأنا لا أعرفها اليوم في اليمامة بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان عن الحفصى ، وروايته عن مواضع اليمامة هي أصح الروايات ، لأنه من أهلها : درنا نُخَيْلات لبني قيس بن ثعلبة ، بها قبر الأعشى ، وذكر الهمداني أن أثافيت التي في اليمن كان يقال لها في الجاهلية درنا ، وقد ذكر في أثافيت ، ومنه قول آخر :

أَنْ طَحَنَتْ دُرْنِيَةَ لِمِائِلَا تَطْبَطَبَ نَذْيَاهَا فِطَارَ طَحِينَمَا

نمار : وادٍ يشقُّ جبلَ العارض يأبى سبله من جهة الغرب ، ويصب في وادي حنيفة ، وهو من أودية العارض المشهورة في طرف حَجَرِ اليمامة ، وله ذكر كثير في أشعار العرب ، والمواضع المشهورة بهذا الاسم كثيرة : منها ما هو في بلاد هذيل ، قال البرقيُّ الهذلي يخاطب تَابَطَ شِراً^(١) : رَمِيتُ بَثَابَتِي مِنْ ذِي نُمَارٍ وَأُرْدِفُ صَاحِبَيْنِ لَهُ سِوَاهُ^(٢)

وفي هذا الجبل الواقع في بلاد هذيل قتل تَابَطَ شِراً ، فقالت أمه تربيته :

فَنِي قَهْمٍ جَمِيعًا غَادِرُوهُ مُقِيًا بِالْحَرِيضَةِ مِنْ نُمَارٍ

ومن روايات معجم البلدان^(٣) عن الحفصى قال : نمار وادٍ لبني جُشَمِ بْنِ الْحَارِثِ ، وبنار عارضٌ يقال له المسكرة ، وأنشد :

وَمَا مَلِكٌ بِأَغْزَرَ مِنْكَ سَيْبًا وَلَا وَادٍ بِأَنْزَرَهُ مِنْ نُمَارٍ

حلات به فَأَشْرَقَ جَانِبَاهُ وَعَادَ اللَّيْلُ فِيهِ كَالنُّمَارِ

ونمار مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب على بلد الرياض ، يشق جبلَ العارض من غربه إلى شرقه حتى يصب في وادي حنيفة .

الحال : جبل على ماءة الدفينة في جنوبها الغربي ، إذا كنت على ماء الدفينة فهو غربي مطلع سهيل أو يطلع عليه سهيل ، وهو معروف منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال الشاعر :

أَهَاجِكَ بِالْحَالِ الْجَمُولِ الدَّوَابِعُ فَأَنْتَ لِمَهْوَاهَا مِنَ الْأَرْضِ نَازِعٌ

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد تعرفه عامة أهل نجد ، والسالك من مكة إلى الرياض إذا نظر وهو في وادي الدفينة على يمينه رآه قريباً منه .

المسجدية : قالوا إنه سوق يكون فيه المَسْجِدُ ، قال في معجم البلدان عن الحفصى^(٤) : المسجدية التي عنها الأعشى بقوله هي ماء لبني سعد ، وأنا أظن أن الذي عنه الأعشى جبالٌ

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٣١٥ (٢) ثابت : اسم تَابَطَ شِراً ، وتَابَطَ شِراً : لقبه

(٣) انظره ٨ / ٣١٦ (٤) انظر معجم البلدان ٦ / ١٧٢

بكشِب يقال لها اليوم العسلجية ، واحداها عسلج ، وكان واحداها في الجاهلية يسمى عسجدا ، قال
رزاح بن ربيعة العذري :

فلما مررن على عَسْجَدٍ وأسْهلن من مستنَاحٍ سبيلا
ومما يدل على أن العسلجيات التي في كشِب هي المسجدية التي ذكرها الأعشى أنك تجده قَرَنها
بالخال وجبال الأبلاء ، والعسلجيات اليوم واقعة بينهما ، قال شاعر حديث يقال له غلغل القشامي
من قصيدة له نبطية :

لى صاحب فى سد هاك المراقب عسلج وضلع هدان وأكباد وأنياب
الأبلاء : قد مضى الكلام عليها وذكرنا ما يتعلق بها في مملكة الحارث بن حلزة عند قوله :
فرياض القَطَا فأودية الشر بب فالكـعبتان فالأبلاء
أما الرجل : فهي كثيرة في بلاد العرب ، وأشهرها رجلتا وادى الرمة : إحداها تصب في
شماله ، والأخرى تصب في جنوبه قريب أبانين ، ورجلتا وادى الرشا : إحداها تصب من
الأسودة مما يلي كويكب ، ويقال لتلك الرحلة رحلة كويكب ، والأخرى تصب مما يلي جبل أبى
دخن الذى يقطعه طريق مكة إلى الرياض قسمين ، وهو جبل أسود متصل به جبيلات سود
متصل بعضها ببعض ليست بالكثيرة ، ويقال لتلك الرحلة رحلة أبى دخن ، ووادى الرمادية بعد
رجلتين ؛ لأن أعلاه ينقسم قسمين ، والرجل كثيرة في بلاد العرب ، قال المثقب العبدى :

مررن على شراف فذات رجل ونكبن الذرانج بالمين
وشراف : موضع في شرقي نجد ، يعنى بهذه الرحلة إحدى رجلى وادى الرشا .
الصفح : موضع يذكر في مواضع اليمامة ، وهو فى الأصل : اسم عام لصفح كل جبل يصفح
معه الماء ، وأما الصفح الذى فى اليمامة فيقال له « صفح أكلب » وقد ذكر فى أخبار طسم
وجديس ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد .

خنزير وبرقة : خنزير جبل معروف متاخم لمائة الصخرة^(١) المعروفة فى عالية نجد ، وهو
معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفه جميع أهل نجد ، منظره بين الحمرة والسواد ليس بالرفيع
يقع جنوبى مائة الصخرة ، على مسافة أقل من نصف يوم ، وبلغنى أن باليمامة موضعا يقال له

(١) عند هذه المائة كتيب مرتكّم يقال له الحنان ، وقد سألت البوادرى والحضر عن هذا الاسم
فقالوا : إن له حينئذ كنينين الإبل إبلان ونهاراً ، فقلت : ما السبب ؟ قالوا : إنه رمال يتهايل ، لا يمسك
بعضه بعضاً ، ويكون له أصوات ، فسمى الحنان ، ولهذا الكتيب ذكر فى معجم البلدان ما أحبيت أن
أورده لأنه ذكر عنه شيئاً لا يتصوره العقل .

«أنف خنزير»^(١) واقع بين خشم العان والسلي فيه أبارق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .
والحبل مي الأكتبة ، كل كتيب يقال له الحبل عند عامة العرب .

الحبل

روض القطا : قد أطلنا الكلام عليه في معلقة الحارث ، واستشهدنا بهذا البيت ، وذكرنا رياض القطا ، وأن منها روضة النضاه ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، واستدلنا بدلائل واضحة على تلك المواضع : منها ما ورد في قصيدة صفية بنت خالد المازنية حين قالت :
لأبصر وهنًا نار تنهاة أوقدت بروض القطا والمهضب هضب التناضب
وليس ثمة دليل أوضح من هذا .

روض القطا

كتيب الغينة : هو نفيد بنبان ، والغينة هي بلد غيانة الواقعة في أسفل وادي أبي قتادة ، والكتيب غالباً يطلق على كل ما تراكم وارتفع من الرمال ، ولا يختص فيكون موضعاً بعينه ، وثمة موضع يقال له «كتاب» في أعلى نجد ، قال الحصين بن عمرو الأحمسي :
ألا هل أتى أهل العراق وبيشة ومن حل أكتاف الكتاب وتنضبا
بأنا كفيما يوم سارت بجمعها سليم إلينا ثم من قد تمعينا

كتيب الغينة

* * *

٣ - وقال الأعشى :

كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ إِنَّا لَأَمْثَالُكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحَنُوصِ صَاحِبَةِ جَنِّي قُطَيْمَةَ لَا مِيلَ وَلَا غَزْلُ
قَالُوا الطَّمَانُ فَقُلْنَا تِلْكَ قَادُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلُ

الحنو

الحنو : به يومان من أيام العرب ، وهذا اللفظ يطلق على موضعين : أحدهما حنو قراقر ، والآخر حنو ذى قار . والحنو الذي يفتخر به الأعشى ويذكره في قصائده حنو ذى قار ، وهو يوم عظيم هزم فيه العربُ الفرس ، وهو لربعة خاصة من دون العرب ، وكانت الرئاسة في ذلك اليوم لبني شيبان ، وفي هذا اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أول يوم انتصرت فيه العربُ على العجم ، وبني نصرنا » قال الأعشى في ذلك اليوم في قصيدة له^(٢) :

فَدَى لَبْنِي ذُهْلُ بْنُ شَيْبَانَ نَاقِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ ، وَقَلَّتْ
كَفَّوْا إِذْ أَتَى الْهَامِرُزُ تَخَفِقُ فَوْقَهُ كَطَلِ الْعَقَابِ إِذْ هَوَتْ وَتَدَلَّتْ
أَذَقُوهُمْ كَأْسًا مِنَ اللَّوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذَخْتَ فِرْسَانَهُمْ وَأَذَلَّتْ

(١) قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» : إن بالجماعة جبلا يقال له خنزير يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، وفي طرفه الشمالي ماء يقال له «هيت» وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .
(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٥٢ وفيه أن حنو قراقر وحنو ذى قار واحد .

فصَّبَحهم بالخنوِ خنوِ قراقر وذي قارها منها الجنود فعلتِ
على كل محبوبك المرأة كأنه عُمَاب سرت من مرقبٍ إذ تدلتِ
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم شَائِبُ موتٍ أسبأت فاستهلَّتِ
تناهت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم فوارسُ من شَيْبان غُلِبَ فولَّتِ

وذو قار موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد بين العراق وحدود الشام التي تلي العراق .
انتهت معلقة الأعشى ، وأنفاظها عذبة ، ومعانيها واضحة ، وهو من أشعر أهل زمانه .
قال صاحب الأغاني : أخبرني أبو حسن الأسدي قال : حدثنا علي بن سليمان النوفلي ، قال :
أثبت اليمامة فررت بمنفوحة التي يقول فيها الأعشى : * بسفح منفوحة فالحاجر *
فقلت : هذه قرية الأعشى ؟ قالوا : نعم ، قلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك ، وأشاروا إليه ،
قلت : وأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته .

والشطر المذكور من قصيدته التي أولها :

شافتك من قبلة أوطانها بالشط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد فقاع منفوحة فالحائر

وجميع هذه الأمكنة التي ذكرها في هذين البيتين باقية .

أما منفوحة فهي باقية إلى هذا اليوم بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان : على شط اليمامة
منفوحة قرية في حَجَر اليمامة قبلها بين الوتر والعرض قد اكتنفها حَجَر اليمامة ، ويظهر لى من هذا
التحديد أن هذه القرية لا تبعد عن موضع الشمسية اليوم ، وشط الوتر : باليمامة ، كان ينزله عبيد
ابن ثعلبة ، وهو حصن عتيق من بقاء جدس تحصن فيه عبيد بن ثعلبة حين خط حَجَرًا .

وقال أيضا عن الخفصى : شط فيروز فيه نخيل ومحارث لبني العنبر باليمامة ، والمواقع المسماة
الشط بشط كثيرة في بلاد العرب وغيرها ، ولا أعلم أهذا الاسم باقٍ في اليمامة أم تغير .

الوتر : وادٍ من أودية اليمامة يصب في وادي حنيفة ، يأتي سيله من جهة القطب الشمالى ،
وهو معروف عند أهل الرياض اليوم باسم أبى رفيع ، أو وادى البطحاء ، أحد الواديين هو الوتر ،
قال الخفصى في رواياته عن اليمامة : ووتر نخيلات من نواحي اليمامة ، وأنشد :

يذودها عن زُعْرَى بوتر صفائح الهند وفتيان غير

والمواقع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة جداً ، ومنها ماهو مثنى ، ومنها ماهو على فعيل كقتيل
وجريح ؛ فالوتران - بالتثنية - موضع في بلاد هَذَل ، قال أبو جندب ^(١) الهذلي :

(١) انظر شواهد هذا والذي بعده في معجم البلدان ٨ / ٣٩٨

فلا والله أَقْرَبُ بطن ضيم ولا الوترَيْن ما نَطَقَ الْحَمَامُ
رأيتهما إذا خلصا أَكْبَأَ على البَيْتِ المجاور والحرام
وقال أبو بَيْثَةَ الباهلي :

جلبناهُم على الوترَيْن شدا على أَسْأَهِم وشَلَّ غزير
قصده في هذا البيت أَنهم بالوا على أَنفسهم ، والوتر : ماء تُخْزَاة في أسفل مكة ، قال عمرو
ابن سالم الخزاعي يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يَا رَبُّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ أَيُّهُ وَأَيُّنَا الْأَنْلَدَا
فَانصِرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا إِن قَرِيشًا أَخْلَقُوكَ الْمَوْعِدَا
وَقَضَوْا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَزَعَمُوا أَن لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَمِ أَدُلُّ وَأَقْلُ عِدَدَا هَم يَبْتَئُونَ بِالْوَتِيرِ هَجْدَا
* وقتلونا رَكْمًا وسجدا *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريش عام الحُدَيْبِيَّةِ أدخل خُزَاعَةَ في حِلْفِهِ ،
ودخلت كنانة في حلف قريش ، فبغت كنانة على خُزَاعَةَ ، وساعدتها قريش ، وكان ذلك سبب
نقض الصلح وفتح مكة ، وكانت الوقعة بين كنانة وخزاعة سنة سبع من الهجرة ، فقال بُدَيْل بن
عبد مناة :

تعاقد قوم يفخرون ولم تدع لهم سيدا يندوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم تجيز الوتير خائفا غير آبل
وقال أبو سَهْم الهذلي :

ولم يدعوا بين عرض الوتير وبين المناقب إلا الذنابا
وقالوا في تفسيره : الوتير ما بين عرفة إلى أدام ، وأدام : موضع معروف بتهامة اليوم ، وقال
أهبان بن لَقَط بن عُرْوَة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدئل ، من كنانة :
ألا أبلغ لديك بني قَرَيْمٍ مَقْلَعَةٌ يَجِيءُ بِهَا الْخَبِيرُ
فَرُدُّوهُ الْمَوَالِي نَم خُلُوا مَرَابِعَكُمْ إِذَا مَطَرُ الْوَتِيرِ

مارد والخائر وأما مارد فله ذكر في أشعار الأعشى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وأما الخائر
فهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد بين منفوحة و بلد الخُرْج ، عامر فيه نخيل وسكان ، يمر به
السالك من الخرج إلى ضَرْمَى . والحاجر الذي ذكر في هذه الأبيات في اليمامة ، ولست أعرفه
بهذا الاسم اليوم انتهى من معلقة الأعشى ميمون بن قيس .

تم الجزء الأول ، ويبدأ الجزء الثاني بالكلام على المواضع التي في شعر النابغة الذباني

